الزجر والبيان

لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان

- الإسلام هو دين الله ليس له دين سواه.
- البيان لبطلان دين اليهود والنصارى.
- حكم الإسلام في الدعوة إلى التقارب بين الأديان.
- فتاوى علماء الإسلام في حكم التقارب بين الأديان.
- الطريق الصحيح في كيفية الحوار مع الكفار والمخالفين.
- المفاسد العظيمة المترتبة على دعوة التقارب بين الأديان.
- شبهات دعوة التقارب الهدامة التي يدعو إليها بعض الدعاة.

تأليف

عبدالحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

دار الإمام أحمد

الطبعة الاولى

دار الإمام أحمد

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : 2010/21202
رقم الايداع الدولي : 4-31-5004-977-978



6شارع عزيز فانوس من منشية لتحرير من جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون/ 0020222414248 تليفاكس/ 0020226365638 جوال/ 0020106014978
www.DarAlemamAhmad.com

فرع الازهر: 11 أ درب الاتراك - خلف الجامع الازهر
جوال : 0020105264020 هاتف : 002022510297

E.MAIL:DAR_ALEMAM_AHMAD@YAHOO.COM

الزجر والبيان

لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة
يحيى بن علي الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ

ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٣].

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وروىٰ مسلم في صحيحه من حديث العباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**».

ففي هذه الأدلة بيان عظيم من الله ﷻ في كتابه ومما أوحاه علىٰ رسوله ﷺ أننا علىٰ شريعة تامة رضيها الله ﷻ لنا ونهانا عن إتباع أهواء الجاهلين الداعين إلىٰ الصد أو التنازل عنها، وإننا إن أطعناهم في ذلك لا منقذ لنا من عذاب الله.

وأن الركون إلىٰ خططهم المضعفة لهذا الدين والممكنة للمغضوب عليهم والضالين ذلك تعرض لمس النار نعوذ بالله منها، وتعرض لمضاعفة الذل علىٰ الأمة وتعرض للخذيلة وحرمان النصر في الدنيا والآخرة.

وهذه الأخطار والأضرار المتوعد بها من خالف هذه الأدلة توجب علىٰ المسلم الذي يرجوا الله والدار الآخرة ويخاف علىٰ نفسه من عذابه وأليم عقابه أن يكون في غاية الخوف والحذر من التعرض لذلك بمودة الكافرين أو الرضا بما هم عليه، أو إضعاف دعوة الحق وزعزعة أهله بالتنازلات إلىٰ أفكار قوم لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل.

ألا وإن من أشر وأخطر الافتئات علىٰ هذا الدين والتعرض للعذاب والمهين لهي: الدعوة إلىٰ تقارب دين الإسلام، أو اتحاده مع الكفر والإلحاد ومشاقة رب العباد.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] الآيات.

ومن أشر ذرائع هذه المهالك وسلوك أقبح المسالك ما يدندن به كثير من دعاة النصارىٰ، ومن المؤسف أن استجاب لهم حشد كثير من جهلة المسلمين وأضرابهم ممن لو دخل الكفار جحر ضب لدخلوه.

فلبّوا فكرتهم إلىٰ ما سموه بالحوار، وإنما هو والله علىٰ ما تقرر من مؤتمراتهم في ذلك إنما هو دمار وانهيار لأنها حوارات مخالفة لطريقة جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في حوار الكافرين ودعوتهم إلىٰ الإسلام والهدىٰ كما تقرر ذلك في كتاب الله وسنة رسوله مما ليس هذا البحث المبارك في إنكار هذا المنكر الشنيع لتلك الحوارات التي لا يستفيد منها إلا دعاة التهود والتنصر إلا بعض منها.

فتلك الحوارات في غاية البعد عن مدلول قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران:٢٨]، لاسيما وقد انبرىٰ لهذه الدعوة البائرة والفكرة الفاجرة علماء سوء لها يبررون ولعوام الناس ودهمائهم يخدعون ويغررون.

لذا رأينا واجبًا علينا نصحًا للأمة وأملًا في تبديد بعض الظلمة أن يكتب في هذا الموضوع ما نرجو أن يتبصر به الجاهل ويلفت نظر العاقل إلىٰ أن هذه

الحوارات القائمة بين حين وآخر مع صنوف من أعداء هذا الدين علىٰ الحال الذين رأيناه وسمعناه هذه حوارات باطلة لا يجوز إقرارها ولا المشاركة فيها؛ لأنها لا تخدم الدين وليست علىٰ طريقة سيد المرسلين ولأنها تشكك في الاقتناع بهذا النور المبين وتقرب الشر وتجلبه إلىٰ أبناء المسلمين.

وإنما حوار النبي ﷺ الذي أمره الله ﷻ به مع الكفار ما أبانه في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

وكقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وكما في صدر سورة فصلت إلىٰ قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣]، الآيات.

وعلىٰ هذا فنقول كما قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر كتابه الطحاوية: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن براء إلىٰ الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه».

ونسأل الله تعالىٰ أن يثبتنا علىٰ الإيمان ويختم لنا به، ويعصمنا عن الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديّة.

وفي الختام أشكر أخانا الفاضل الغيور الشيخ عبد الحميد بن يحيىٰ بن زيد الحجوري -حفظه الله- علىٰ ما أبانه في هذا البحث المفيد من سماحة الإسلام، ووجوب الاقتناع به وما يتضمنه من النصح المبارك للمسلمين بالحذر مما يبعدهم عن مرضاة الله ﷻ ويقربهم من غضبه وأهل غضبه فجزاه الله خيرًا ونفع به.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

في الثامن من شهر محرم ١٤٣٠ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من تزكىٰ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله المصطفىٰ ونبيه المجتبىٰ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، ومن لسنته قفىٰ.

أما بعد:

يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار**».

فمن هذه الأدلة أحببت أن أكتب رسالة إلىٰ المسلمين في كيفية الحوار مع

اليهود والنصارىٰ الكافرين المعرضين عن الدين القويم والصراط المستقيم سأجعلها في فصول وأبواب:

الفصل الأول: بيان أن الإسلام هو الدين الحق المهيمن علىٰ جميع الأديان، وكونه دين الكمال والشمول والتمام المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل المنصور قيام الساعة.

الفصل الثاني: البيان لبطلان دين اليهود والنصارىٰ وما فيه من البهتان.

الفصل الثالث: دعوة الحوار والتقارب والتوحد والاتحاد بين الأديان -أفكار- حركات - مؤتمرات.

الفصل الرابع: كيفية الحوار مع الكفار والمعرضين والمخالفين.

الفصل الخامس: شبهات هذه الدعوة الهدامة التي استدل بها اليهود والنصارىٰ وبعض العصريين المتأثرين بهذه الأفكار.

الفصل السادس: فتاوىٰ العلماء في حكم التقارب بين الأديان.

الفصل السابع: نتيجة القول بوحدة وتقارب واتحاد الأديان وحوارها بالصورة التي يريدونها إبطالٌ لأبواب عظيمة وأحكام جسيمة وشرائع جليلة قويمة من هذا الدين الحنيف الصحيح.

الفصل الثامن: نتيجة البحث ونتائج التقارب.

أسميته: «**الزَّجر والبَيَان لِدُعَاةِ الحِوَار والتَّقَارُب بين الأديَان**».

أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأسأله أن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي وللمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وكان البدء فيه يوم الجمعة ١٠ جماد الأول١٤٢٩هـ.

اليمن -صعدة- دار الحديث بدماج حرسها الله ورحم مؤسسها وحفظ القائم عليها.

كتبه

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد

الحجوري الحاشدي الهمداني الزعكري

الفصل الأول: بيان أن الإسلام هو الدين الحق المهيمن على جميع الأديان وكونه دين الكمال والشمول والتمام المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل المنصور قيام الساعة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩].

هو سبب الهداية: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]، ومن ابتغى غيره فهو مشاق.

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧]، مفارقتة خاسرة في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن

رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

أمرنا بالموت عليه والاعتصام به والدعوة إليه؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣]

سماه الله نعمة؛ فقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

دخول العبد فيه دليل علىٰ إرادة الله ﷻ الخير للعبد، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥-١٢٦].

هو الدين القويم والصراط المستقيم، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

وفي مسند الإمام أحمد: عن النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلىٰ جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة، وعلىٰ باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالىٰ، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالىٰ، وذلك الداعي علىٰ رأس الصراط: كتاب الله ﷻ ، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم**».

وقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وقوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾؛ أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم علىٰ سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾؛ أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا.

فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحَضَر أربعًا وفي السفر تُقصَر إلىٰ ثِنتَين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة، كما ورد به الحديث، وتُصَلىٰ رجالًا وركبانًا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها.

وكذا في النافلة في السفر إلىٰ القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسًا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنبه، إلىٰ غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات.

ولهذا قال عليه السلام: «**بُعِثتُ بالحنِيفيَّة السَّمحة**».

وقال لمعاذ وأبي موسىٰ حين بعثهما أميرَين إلىٰ اليمن: «**بَشِّرا ولاتنفرا ويسرا ولا تعسرا**».

*** دخول كلمة الإسلام المدن والقرىٰ والبوادي بعزة لأهلها وذلة لمن خالفها:**

فعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام وذلًّا يذل الله به الكفر** ».

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية. أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣).

وعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقىٰ علىٰ ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، أما يعزهم الله عَزَّ وَجَلَّ فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها**» أخرجه أحمد (٦ / ٤).

قال علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لا يبقىٰ علىٰ

ظهر الأرض أي وجهها من جزيرة العرب وما قرب منها، فلا ينافي ما قيل إن وراء الصين قومًا لم تبلغهم إلىٰ الآن بعثته -عليه الصلاة والسلام-.

(بيت مدر ولا وبر): أي: المدن والقرىٰ والبوادي وهو من وبر الإبل أي شعرها، لأنهم كانوا يتخذون منه ومن نحوه خيامهم غالبًا، والمدر جمع مدرة وهي اللبنة.

(إلا أدخله) فاعل أدخل هو الله تعالىٰ وإن لم يجر له ذكر بدليل تفصيله بقوله: أما يعزهم الله، وفي بعض النسخ: أدخله الله، كلمة الإسلام مفعوله والضمير المنصوب ظرف.

وقوله: (بعز عزيز) حال أي: أدخل الله تعالىٰ كلمة الإسلام في البيت ملتبسة بعز شخص عزيز أي يعزه الله بها حيث قبلها من غير سبي وقتال، وذل ذليل أي: أو يذله الله بها حيث أباها وهو يشمل الحربي والذمي.

والمعنىٰ: يذله الله بسبب إبائها بذل سبي أو قتال حتىٰ ينقاد إليها كرهًا أو طوعًا، أو يذعن لها ببذل الجزية.

والحديث مقتبس من قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف:٩].

ثم فسر العز والذل بقوله: أما يعزهم الله أي قومًا أعزوا الكلمة بالقبول فيجعلهم من أهلها بالثبات. اهـ

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في العذب النمير في بعض مجالس التفسير (١/ ٤٥٠-٤٥١): ودين الحق هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف:٩].

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾؛ أي: ليظهر دين الإسلام أي يعليه علىٰ جميع الأديان كلها، وهذا الإعلاء يدخل فيه إظهاره بالحجة والبرهان فبراهينه قاطعة وحججه ساطعة لا شك فيه، وكتابه محفوظ فلا شيء يوازيه ولا يشابهه.

قال بعض العلماء: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾؛ أي: ينصره ويغلبه علىٰ جميع الأديان، وقد وفىٰ الله فيما مضىٰ وسيفي به أيضًا في المستقبل؛ لأن الدين فيما مضىٰ ظهر علىٰ جميع الأديان وأذل الدول العظيمة المعروفة كالدولة الكسروية والدولة القيصرية، ولم يبق منها إلَّا من أعطىٰ الجزية عند يد وهو صاغر، وانتشر في أقطار الدنيا في شرقها وغربها، وظاهر علىٰ كل الأديان وأذل أهلها.

وسيأتي ذلك في آخر هذا الزمان أيضًا كما جاء في أحاديث صحيحة كثيرة أنه لا يبقىٰ في آخر الزمان إلَّا من كان مسلمًا ولم يكن في المعمورة غير دين الإسلام، وهذا معنىٰ قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:٩]. اهـ

* لا فلاح إلا بالإسلام:

عَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ قَالَ: كَانَت ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيلٍ فَأَسَرَت ثَقِيفُ

رَجُلَينِ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَسَرَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِن بَنِي عُقَيلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ العَضبَاءَ، فَأَتَىٰ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الوَثَاقِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فقَالَ: «**مَا شَأنُكَ؟**»

فَقَالَ: بِمَ أَخَذتَنِي وَبِمَ أَخَذتَ سَابِقَةَ الحَاجِّ؟

فَقَالَ إِعظَامًا لِذَلِكَ: «**أَخَذتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ**».

ثُمَّ انصَرَفَ عَنهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيهِ فَقَالَ: «**مَا شَأنُكَ؟**».

قَالَ: إِنِّي مُسلِمٌ.

قَالَ: «**لَو قُلتَهَا وَأَنتَ تَملِكُ أَمرَكَ أَفلَحتَ كُلَّ الفَلَاحِ**».

ثُمَّ انصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ.

فَأَتَاهُ فَقَالَ: «**مَا شَأنُكَ؟**».

قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطعِمنِي وَظَمآنُ فَأَسقِنِي.

قَالَ هَذِهِ حَاجَتُكَ فَفُدِيَ بِالرَّجُلَينِ، قَالَ: وَأُسِرَت امرَأَةٌ مِن الأَنصَارِ وَأُصِيبَت العَضبَاءُ، فَكَانَت المَرأَةُ فِي الوَثَاقِ وَكَانَ القَومُ يُرِيحُونَ نَعَمَهُم بَينَ يَدَي بُيُوتِهِم.

فَانفَلَتَت ذَاتَ لَيلَةٍ مِن الوَثَاقِ فَأَتَت الإِبِلَ فَجَعَلَت إِذَا دَنَت مِن البَعِيرِ رَغَا فَتَترُكُهُ حَتَّىٰ تَنتَهِيَ إِلَىٰ العَضبَاءِ فَلَم تَرغُ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ فَقَعَدَت فِي عَجُزِهَا ثُمَّ زَجَرَتهَا فَانطَلَقَت وَنَذِرُوا بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعجَزَتهُم.

قَالَ: وَنَذَرَت لِلَّهِ إِن نَجَّاهَا اللهُ عَلَيهَا لَتَنحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَت المَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ فَقَالُوا: العَضبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَت: إِنَّهَا نَذَرَت إِن نَجَّاهَا اللهُ عَلَيهَا لَتَنحَرَنَّهَا.

فَأَتوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**سُبحَانَ اللهِ بِئسَمَا جَزَتهَا، نَذَرَت لِلَّهِ إِن نَجَّاهَا اللهُ عَلَيهَا لَتَنحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذرٍ فِي مَعصِيَةٍ وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ العَبدُ**، وَفِي رِوَايَةِ ابنِ حُجرٍ: **لَا نَذرَ فِي مَعصِيَةِ اللهِ**». أخرجه مسلم (١٦٤١).

قال النووي في شرح مسلم: قَوله ﷺ لِلأَسِيرَينِ حِين قَالَ: إِنِّي مُسلِم: «**لَو قُلتهَا وَأَنتَ تَملِك أَمرك أَفلَحت كُلّ الفَلَاح**» إِلَىٰ قَوله: «**فَفُدِيَ بِالرَّجُلَينِ**» مَعنَاهُ: لَو قُلت كَلِمَة الإِسلَام قَبل الأَسر حِين كُنت مَالِك أَمرك أَفلَحت كُلّ الفَلَاح، لِأَنَّهُ لَا يَجُوز أَسرك لَو أَسلَمت قَبل الأَسر، فَكُنت فُزت بِالإِسلَامِ وَبِالسَّلَامَةِ مِن الأَسر، وَمِن اِغتِنَام مَالِك.

وَأَمَّا إِذَا أَسلَمت بَعد الأَسر فَيَسقُط الخِيَار فِي قَتلك، وَيَبقَىٰ الخِيَار بَين الِاستِرقَاق وَالمَنّ وَالفِدَاء.

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَد أَفلَحَ مَن أَسلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». أخرجه مسلم (١٠٥٤).

فالشريعة الإسلامية حق، وما سواها باطل، وهي هدىٰ وما سواها ضلال، وهي رحمة وما سواها عذاب، وهي سنة وما سواها بدعة، وهي نور وما سواها ظلام، وهي علم وما سواها جهل، وهي شريعة تمتاز بثلاثة أمور لا تتميز به غيرها إطلاقًا وبتاتًا:

الأول: بالكمال، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥].

ثانيًا: العموم والشمول، قال تعالىٰ لنبيه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ وسيأتي بيان ذلك بتوسع.

ثالثا: البقاء إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلىٰ قيام الساعة**». أخرجاه من حديثه المغيرة ومعاوية ﷺ، وجاء في مسلم عن ثوبان وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله ﷺ .

وهو شريعة حق صالحة لكل زمان ومكان، فهي شريعة حكيمة محكمة في أمورها الصغيرة، والكبيرة الدقيقة، والجليلة ليس فيها نقص ولا فساد ولا اختلاف ولا اختلال.

قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء:٨٧].

وقال أيضًا: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء:١٢٢].

وقال أيضًا: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام:٣٨].

ومما يدل علىٰ أنها حق: هو أن الله أنزلها، وأمر بالاتباع لها، وتكفل

بحفظها، وأخبرنا أنه ما قال إلا الحق، قال ربنا سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

بخلاف ما عليه الكتب المتقدمة من التحريف والتغيير والتبديل، والذكر شامل للقرآن و السنة التي وصف الله ﷻ صاحبها بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر:٧].

وقال أيضًا: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

وقال أيضًا: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وقال أيضًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:٤].

أيها الناس إن الدين الإسلامي دين شامل لجميع جوانب الحياة الدنيوية، والأخروية معًا، نص على ذلك ﷻ في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى غيره ولا إلى غير نبيهم -

صلوات الله وسلامه- عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلىٰ الجن والإنس فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه.

وكل شيء أخبر به فهو حق لا باطل فيه، صدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، أي: صدقًا في الإخبار، عدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين تمت عليهم النعمة. اهـ

وقد قال رسول الله ﷺ: «**تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**».

وقيل لسلمان رضي الله عنه كما عند الإمام مسلم: علمكم رسولكم كل شيء حتىٰ الخراءة؟ قال: نعم، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي بأيماننا، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم.

ونهىٰ رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عمر، وأنس، وأبي ذر وغيرهم رضي الله عنهم، عن البصاق في المسجد.

فتبين مما تقدم: أن رسول الله ﷺ قد علم أصحابه كل ما ينفعهم، وحذرهم عن كل ما يضرهم، كما قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا قبل إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وأن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها فتن ترقق بعضها بعضًا**» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عند مسلم.

* باب الحقوق في الإسلام:

وقول النبي ﷺ: «**إن الله أعطىٰ كل ذي حق حقه**».

أولًا: حق الله تعالىٰ علىٰ العبيد:

إن الله ﷻ خلق الخلق لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقال -جل وعز-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال ﷺ كما في حديث أنس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما في الصحيحين: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟**».

قال معاذ: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

«**أتدري ما حق العباد علىٰ الله؛ إن هم فعلوا ذلك؟**».

قال معاذ: الله ورسوله أعلم.

قال: «**ألا يعذبهم**».

فالله خلق الخلق لطاعته، وحذرهم من معصيته؛ فقال ﷻ مبينًا حال من أطاعه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وقال: (وأطيعوا الله والرسول) في كثير من الآيات.

وتوعد سبحانه من عصاه بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩].

ومن طاعة الله: طاعة رسوله ﷺ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال أيضًا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**من يطيعني فقد أطاع الله. .**».

فكن مؤديًا لهذا الحق إن رمت النجاة من عذاب الله وعقابه.

ثانيًا: حقوق الرسول ﷺ:

بما أن رسول الله ﷺ هو المبلغ لدين الله تعالى، فإن له حقًّا علىٰ كل مسلم، وهو الإتباع والاقتداء به ﷺ، وحب رسول الله يتمثل في تصديقه فيما أخبر، واتباعه في أمره، وترك ما نهىٰ عنه وزجر، كما قال بذلك الزهري رحمه الله .

والأدلة علىٰ هذه الشعيرة:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧].

وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقال -جل ذكره-: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وقال -جل وعز-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

وقوله -جل ذكره-: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥].

وقوله: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة، تكفي منها هذه النبذة اليسيرة.

وأما الأحاديث فمنها:

- قول رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**»، قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله**». أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وقال ﷺ: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة اختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم**». أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وقال ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه في جامع الترمذي:

«أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

وبين أن من عمل عملًا ليس علىٰ هديه فهو مردود؛ لحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه، قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وفي رواية لمسلم، قال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

وترك العمل بسنة رسول الله ﷺ يعد ضلالًا مبينًا، أما إنكارها بالكلية فهو كفرٌ؛ لأنه يعد تكذيب للقرآن.

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم:١-٥].

ومن حقك أيها المسلم علىٰ رسول ﷺ أن يبلغك دين الله، كما قال الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**».

وقد فعل ﷺ ما يجب عليه من تبليغ هذا الدين، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ثالثًا: حقوق الوالدين والأرحام:

كما تقدم أن الإسلام قد أكتمل، وأنه دين شامل، ومن شموليته المحافظة علىٰ الترابط الأسري بدئ بالوالدين، ثم الأرحام، وفي سَوق الأدلة غنية عن التعليق، فقد قال الله ﷻ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:٦].

قرن الله ﷻ بين حقه وحق الوالدين، في كثير من النصوص فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦].

وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الاسراء: ٢٣- ٢٤].

وقال في كثير من الآيات: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:١٥].

وسئل رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عند الشيخين: أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: «**لا يجزي ولدٌ والده إلا أن**

يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه».

وسئل ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**».

وفي رواية: «**أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك**».

وقال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قيل: وهل يسب الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**». أخرجه مسلم.

وقال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وذكر منها: «**عقوق الوالدين**». متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: «**الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه.

فتلاحظ أن الإسلام قد حرص على العلاقة بين الولد ووالديه من الطاعة، والاحترام، وعدم الأذية، ولو بأدنى الكلام: أف.

وهذا قَلَّ أن يوجد في غير المجتمع المسلم، فتجدهم في بلاد الكفار وما أن يكبر أو يسن قليلًا إلا وقد نقلوه إلى دار الأيتام والعجزة يصنعون به خيرًا زعموا!

وجاء من حديث أسماء قالت: قدمت على أمي وهي مشركة فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، قَدِمَت عليَّ أمِّي وهي رَاغِبةٌ، أفأصِلُ أمِّي؟ قال: «**نعم، صِلي أمَّك**».

فأنظر وفقك الله كيف أن الإسلام لم يضيع حقوق الوالدين حتىٰ ولو كانا علىٰ غير الإسلام، مع مراعاة أنهما ألا يطاعان في معصية الله ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:١٥].

رابعًا: حقوق الأرحام:

أما في باب صلة الأرحام من أخوة وأعمام وعمات وأخوال وخالات وجدود وجدات، فكذلك لم ينس حقهم، بل قد أمر به في القرآن بقوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] وغيرها من الآيات.

وقد حثَّ رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث علىٰ تأدية حقوقهم:

- فقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: «**من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليصل رحمه**».

وقال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، من حديث أنس رضي الله عنه متفق عليه.

- وقال ﷺ في الذي يتصدق علىٰ الرحم: «**لهما أجران: أجر الصدقة، وأجر القرابة**»، من حديث زينب الثقفية رضي الله عنها، متفق عليه.

- وقال ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**». متفق عليه.

وقال الله ﷻ محذرًا من قطيعة الرحم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وهذا غيظ من فيض نسوقه ليعرف المسلم شمولية دينه الإسلامي، ويقتنع بما هو عليه من الخير، ولا يغتر بدعاية المغرضين من يهود ونصارىٰ، والله المستعان.

خامسًا: حقوق الجيران:

كما إن الدين الإسلامي الحنيف قد حث علىٰ حقوق الوالدين والأقربين، فكذلك لم ينس حق الجار، بل رغب فيه غاية الترغيب، وحذر من مغبة الإيذاء.

فقال -جل وعز-: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

وقالﷺ كما في حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه**». متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**إذا طبخت مرقة فأكثر مائها وتعاهد جيرانك**». أخرجه مسلم.

وقالﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، ولا يؤمن**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**». متفق عليه، وحديث أبي هريرة زاد مسلم: «**لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه**». والبوائق: الشرور.

وقالﷺ: «**لا يمنعن جارًا جاره أن يغرز عتبةً في جداره**»، أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن حديثه أيضًا عند الشيخين: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**».

وفي رواية: «**فليحسن إلىٰ جاره**»، وفي رواية: «**فلا يؤذي جاره**».

وقال كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عند الترمذي، وهو صححه شيخنا مقبل رحمه الله: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**».

سادسًا: حقوق الزوجين:

تقدم حقوق بعض أفراد المجتمع من الوالدين والأرحام والجار، وأما في جانب الحقوق الزوجية، فقد ركز الإسلام علىٰ هذا الجانب حتىٰ تنشأ أسرة محافظة علىٰ أمور دينها وتربية أولادها، علىٰ غرر ما عليه الكافرين كما سيأتي.

فقال سبحانه مبينًا قوامة الرجل علىٰ المرأة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء:٣٤].

وبين رسول الله ﷺ كيفية حسن العشرة في المضاجعة وخطورة عصيان الزوجة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعي الرجل امرأة إلىٰ فراشه، فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح**».

وفي رواية: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امرأته إلىٰ فراشه فتأبىٰ**

عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها». متفق عليه.

وبين ﷺ أنه لا يجوز لها عملُ شيءٍ غير واجب عليها إلا بأذنه؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»**. متفق عليه.

وقال ﷺ: **«والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»**. أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ كما في حديث طلق بن علي: **«إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت علىٰ تنور»**، رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**. أخرجه الترمذي.

أما حق الزوجة: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء:١٩].

وقال: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩].

وبين رسول الله ﷺ أن المرأة قد يحصل منها بعض الاعوجاج والمعارضة للزوج، ولكن علىٰ الزوج أن يكن معها علىٰ خير.

كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»**. متفق عليه.

واستنكر رسول الله ﷺ ضرب المرأة لغير ما بأس، لما في حديث عبد الله

بن زمعة ﵁: «**يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضجعها من آخر يومه**». متفق عليه.

وأمر الرجل بالإحسان إلىٰ امرأته إن رأىٰ منها خلق يبغضه: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا** رضي **منها آخر**»، أو قال: «**غيره**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﵁.

وقال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**». أخرجه الترمذي، وهو حسن من حديث أبي هريرة ﵁.

وبين ما يجب لها من الكسوة والإطعام كما في حديث معاوية بن حيدة ﵁ عند الإمام أبي داود قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوج أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح إلا في بيت**».

وجاء من حديث عمرو بن الأحوص ﵁ عند الترمذي، وحديث عم أبي حرة الرقاشي ﵁ عند الإمام أحمد، وهو بمجموعها حسن لغيره؛ لأن في حديث عمرو بن الأحوص فيه سليمان بن عمرو بن الأحوص: مجهول، وفي حديث عم أبي حرة الرقاشي. علىٰ بن زيد بن جدعان: ضعيف، والحديث لبعض ألفاظه شواهد من غيرها بعضها قد تقدم.

وهو يشمل حقوق الزوج وحقوق الزوجة، ألقاه رسول الله ﷺ في أكبر مجمع، وهي حجة الوداع لما للعلاقة الزوجية من أهمية في الفرد والمجتمع.

قال ﵁: أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «**واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم

ليس تملكون منهن غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، ألا إن لكم علىٰ نسائكم حقًّا، ولهن عليكم حقًّا، فحقكم عليهن: ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيتوكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم: أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

وكان رسول الله ﷺ وهو سيد الخلق وخاتم الأنبياء يكون في خدمة أهله، ويداعبهن، وحسن العشرة معهن، فانظر إلىٰ سمات هذا الدين في شموليته وكماله.

سابعًا: حقوق الأبناء علىٰ الآباء:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦].

فمن هاتين الآيتين يبين الله ﷻ: أن للأبناء حقوق علىٰ الآباء، وهي تربيتهم التربية الحسنة علىٰ طاعة الله، واجتناب نواهيه لتكون لهم السعادة في الدارين، والأمر هنا من الله للوجوب.

وأما الأحاديث فنذكر منها أن رسول الله ﷺ رأىٰ الحسن بن علي يأكل تمرة من تمر الصدقة، فقال: «**كخ كخ، ارمِ بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظر وتأمل هدانا الله وإياك حرص رسول الله ﷺ علىٰ تعليم الحسن لهذا الخير، ولم يأتِ بالتأويلات أنه صغير أو أنها شيء يسير أو غير ذلك.

وقال رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه المتفق عليه: **«كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده، ومسئول عن رعيته، فكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته»**.

وأخرج الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحديث سبرة بن معبد رضي الله عنه حديث: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»**، الحديث بطريقه صالح للاحتجاج.

وجاء من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه عند الإمام البخاري رحمه الله، والإمام مسلم رحمه الله قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام سم الله تعالىٰ، وكل بيمينك وكل مما يليك»** قال: فما زالت تلك طعمتي بعد.

وعليه الإنفاق عليهم مما يستطيع وعدم تركهم عالة يتكففون الناس كما قال رسول الله ﷺ: **«إذا انفق الرجل علىٰ أهله يحتسبها فهي له صدقة»**. متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عند الإمام مسلم: **«كفىٰ بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته»**.

وعند الإمام أبي داود: **«كفىٰ بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»**.

ومن حقوقهم أيضًا: عدم إطعامهم من الحرام، وعدم إعانتهم علىٰ المنكرات بشراء تلفزيونات أو دشات أو فديوهات، أو غيرها من الأمور المحرمة

التي ليس موضع بسطها هنا.

أما حقوق الآباء علىٰ أبنائهم، فقد تقدم شيءٌ منها في حقوق الوالدين والأرحام، ونسأل الله التوفيق والسداد.

ومن حقوقهم عليه أيضًا: تعليمهم وتفقيههم دين الله ﷻ، لقوله ﷺ: «**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته**».

وعموم قول رسول الله ﷺ: «**ما من راعٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**» في الصحيح من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، ألا ولا غش أعظم من تجهيل الرعية، بدين الله -جل وعز-.

ثامنًا: حقوق المسلمين فيما بينهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ﴾ [التوبة:٧١].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۢ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

وقال أيضًا في سياق صيانة الأعراض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

وقال في بيان تحريم دمائهم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٣٠].

وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الصدد.

أما من السنة فإن رسول الله ﷺ قام يوم عرفة في ذلك المجمع العظيم، وهو يقول: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم، هذا في بدلكم هذا**»، من حديث ابن بكرة في الصحيح وغيره خارج الصحيح، قد ضمنتها بحمد لله كتاب: «تنبيه أولى النهى والمدارك لما في سفك الدم المحرم من المهالك».

وقال ﷺ كما في حديث النعمان بن بشير ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**». متفق عليه.

وقال ﷺ آمرًا بالتراحم فيما بينهم: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»، من حديث جرير متفق عليه.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين قال ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحم**».

وقال ﷺ كما في حديث أنس في الصحيحين: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

وقال ﷺ مبينًا أن المجتمع لا يقوم علىٰ الترابط والإخاء إلا بالنصح: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: «**لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**». أخرجه مسلم من حديث ابن رقية تميم الداري رضي الله عنه موصولًا، وعلقه البخاري رحمه الله.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**حق المسلم علىٰ المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**».

وزاد مسلم في رواية: «**وإذا استنصحك فانصح له**» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، متفق عليه.

وقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوىٰ هاهنا** -ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات-، **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأمر بقضاء حوائجهم كما قال ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»، من حديث بن عمر رضي الله عنه متفق عليه.

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ومن يسر علىٰ معسر يسر الله عليه في**

الدنيا والآخرة».

وأمر بسترهم إن وقع منهم معصية لعلهم أن يتوبوا منها: «**لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أيضًا في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه متفق عليه: «**ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**».

وأمر بالشفاعة لقضاء حوائجهم كما في حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما أحب**». متفق عليه.

وأمر بالإصلاح بينهم: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**». متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن معيط رضي الله عنها.

وقد أمر رسول الله ﷺ بنصره المسلم ظالمًا أو مظلومًا كما في حديث أنس عند البخاري، وحديث جابر رضي الله عنه عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قالوا: يا رسول الله، انصره إذا كان مظلومًا أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجره عن الظلم، فإن ذلك نصره**».

وحذر ﷺ من ظلم العباد فقال لأصحابه: «**أتدرون ما المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال ﷺ: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار**». رواه مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»، أخرجه

البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

وهذا قليلٌ من كثير ولو صنف الصحيح في حقوق الإنسان، لكان مجلدًا ضخمًا، ولكن هذا إشارة لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

تاسعًا: الحقوق الشرعية بين الأغنياء والفقراء من المسلمين:

شرع الله سبحانه فيما شرع أن علىٰ الأغنياء أن يخرجوا قسطًا محددًا من أموالهم تعاد إلىٰ الفقراء ومن علىٰ شاكلتهم، وذلك بعد استيفاء النصاب سواء من الذهب أو الفضة أو الثمار أو الأنعام.

وكذا شرع ورغب في صدقة التطوع، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون:١٠].

وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النور:٥٦].

وقال: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[سبأ:٣٩].

وقال -جل ذكره- مادحًا المؤمنين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨-٩].

وقال مبينًا أين تصرف الصدقات: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣].

وقال -جل وعز-: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٦٠].

وقال -جل ذكره- مبينًا قيمة الإخلاص في هذه العبادة: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٩].

وقال -جل ذكره- في سياق ثنائه على المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وهذا قليل من كثير، سقنا هذا لنبين كيف ربط هذا الدين بين أفراد المجتمع.

والأدلة من السنة كثيرةٌ نورد منها ما تيسر:

١- أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر، أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة.

وهذا من حرص الرسول ﷺ علىٰ إطعام الفقراء في ذلك اليوم، والتوسعة عليهم.

٢- وأخرج أيضًا البخاري ومسلم كما في حديث جابر ﷺ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة وأبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كلوا وادخروا وتصدقوا**». أي: من لحوم الأضاحي، حتىٰ يطعم في ذلك اليوم الأغنياء والفقراء.

٣- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم أنفق ينفق عليك**».

٤- وأخرج الإمام مسلم من حديث ثوبان، وأبي هريرة رضي الله عنهما في فضل الصدقة قول ﷺ: «**أفضل دينار: دينار ينفقه الرجل علىٰ عياله، ودينار ينفقه الرجل علىٰ دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل علىٰ أصحابه في سبيل الله**».

٥- وقال ﷺ كما في حديث ابن موسىٰ رضي الله عنه متفق عليه: «**علىٰ كل مسلم صدقة**».

٦- وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما عند مسلم: «**كل سلامىٰ من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس**».

٧- وأخرج البخاري ومسلم من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها: لو جئتنا بها بالأمس قبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي بها**».

٨- سئل رسول الله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: أي الصدقة أعظم؟ قال: «**أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخش الفقر وتأمل الغنىٰ، ولا تمهل حتىٰ إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان**».

٩- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيها إلا وينزل ملكان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا**».

١٠- وقال ﷺ كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه متفق عليه: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**».

١١- وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه متفق عليه: «**لا يتصدق أحدٌ**

بتمرة من طيب ولا يقبل الله إلا طيب، إلا أخذه الله بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه، أو قلوصه حتىٰ تكون مثل الجبل».

١٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**. . وذكر: **ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها كي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**».

١٣- وقال ﷺ كما في حديث عقبة بن عامر ﷺ وهو في الصحيح المسند: «**كل امرئ تحت ظل صدقته يوم القيامة**».

١٤- وأخرج الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يمنح أهل بيت ناقة تغدوا بعس وتروح بعس، إن أجرها لعظيم**».

١٥- وقال ﷺ كما في حديث أسماء ﵂ في الصحيحين: «**أنفقي أو أنضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك**».

١٦- وبين رسول الله ﷺ أن علىٰ المسلم أن يتصدق مما يسر الله ولا يكلف نفسه ما لا يطيق: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاه**».

والأحاديث كثيرة جدًّا، وسقنا هذا القدر منها لتعلم عبد الله أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والشمولية، وليست الديمقراطية الرأسمالية ولا الاشتراكية: هما الشموليتان، كما يكرر نعاقها.

عاشرًا: حقوق المخدومين والخدام:

سواءٌ كان الخادم مملوكًا أو عاملًا، فإن الإسلام قد أمر بالإحسان إليه، والعطف عليه، والله يقول: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ [النساء:٣٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية (١/ ٥٠٧) [ط. دار المعرفة]: وصيةٌ بالأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحاجة أسير في أيدي الناس، فثبت عن النبي ﷺ أنه كان يوصي أمته في مرض الموت بقوله: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»، فجعل يرددها حتىٰ ما يقضي بها لسانه. اهـ

وأخرج البخاري ومسلم -رحمهما الله- من حديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

وأخرج الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتىٰ أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه**».

ورغب الله سبحانه وتعالى في إعتاقهم فقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٣].

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من

أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضوٍ عضوًا منه من النار، حتىٰ فرجه بفرجه».

وتدخل في هذا الباب عموم أحاديث الرحمة: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**».

وحديث: «**إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء**».

وحديث: «**من لا يرحم لا يرحم**»، وغيرها من الأحاديث.

وقد أمر رسول الله ﷺ بتعليمهم أي المماليك، فقد قال ﷺ: «**ثلاثة لهم أجران فقال: ورجل كانت له جارية، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها**». متفق عليه من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وحافظ الإسلام علىٰ أعراض المملوكين كما تقدم أنه حافظ علىٰ أعراض المسلمين الأحرار، فقال كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين: «**من قذف مملوكة بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كذلك**».

وجاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه**».

كما أنه سبق ذكر أحاديث الإحسان إلىٰ المملوك كذلك قد بين فضل المملوك المستقيم علىٰ شرع الله وعلىٰ طاعة سيده ومولاة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين**». متفق عليه.

وجاء من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه متفق عليه: «**ثلاثة يؤتون أجره مرتين... وذكر منهم: والعبد المملوك، أدي حق الله، وحق مواليه**».

وأخرج الإمام مسلم من حديث جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما

عبدٍ أبق فقد برئت منه الذمة».

وفي لفظ: «**إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة**».

وفي لفظ: «**أيما عبدٍ أبق من مواليه فقد كفر حتىٰ يرجع إليهم**».

وقال رسول الله ﷺ مبينًا أن عليهم مسئولية أمام الله في أعمالهم كما في حديث عبد الله بن عمر: «**والخادم راعٍ في مال سيده، ومسئول عن رعيته**». متفق عليه.

فانظر هدانا الله وإياك كيف يأمر الإسلام بالتعامل بين أفراده، بخلاف أصحاب النظريات المادية من ديمقراطيين وعلمانيين ورأسماليين، أو ما تعانيه الطائفة الأخرىٰ من قهر واضطهاد من قبل الاشتراكيين والشيوعيين، فالحمد لله علىٰ نعمته.

الحادي عشر: الإسلام والأموال:

لما كانت طبيعة الإنسان حب المال، وحب الإكثار منه من حلال أو من حرام، كما قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال أحب أن يكون له ثالثًا**».

أمر الله ﷻ المؤمنين أن يأكلوا من الحلال وأن يَدَعُوا الحرام؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢].

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ**

عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، **وقال تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلىٰ السماء، يا رب، يا رب، ومأكله حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنىٰ يستجاب له».

فمن هذا الحديث يتبين لك أن الله أمر بالأكل من الطيبات، فهي سبب لاستجابة الدعاء، وقبول العبادة، وفي أكل الطيبات اقتداء بالأنبياء.

وحذر رسول الله ﷺ من أكل الحرام كما في حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ليأتين علىٰ الناس زمان لا يبالي من أين أخذ المال من حلال أم من حرام**».

وقد حذر الله تعالىٰ في كتابه الكريم من أكل أموال الناس بالباطل كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

وحرم الربا لما فيه من هذا الباطل كما في كثير من الآيات في القرآن الكريم:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٦].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

والربا عرفه كثيرٌ من العلماء أنه جميع البيوع المحرمة من غرر وعيّنَةٍ وغيرهما.

فانظر عبد الله كيف شرع الله للمسلم ودله علىٰ طلب الرزق من سبله المشروعة، وحذر من مغبة الوقوع في جميع المعاملات المحرمة من قمار وميسر وربا وبيع غرر، وبيع عينة، وبيع الحصاة، وبيع المنابذة وغيرها.

وأحل ما سواها من البيوع المباحة، والطرق التجارية المشروعة، بخلاف الأفكار الجديد من ديمقراطية وشوعية وغيرها؛ فتجد أنهم يشجعون أرباب التجارة في الحرام من الميسر والخمر.

وقد لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة أشياء: بيعها ومبتاعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وشاربها وأكل ثمنها. . الحديث.

وقال رسول الله ﷺ: «**أنها لن تموت نفسٌ حتىٰ تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

وقال رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك**».

فترك البيوع التي تحتوي علىٰ الريبة أولىٰ من الوقيعة فيها كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات، فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام، ومن اتقىٰ الشبهات**

فقد استبرأ لدينه وعرضه».

الثاني عشر: حقوق الحيوان في الإسلام:

تقدم التعليق على قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وأن هذا الدين كامل شامل لجميع جوانب الحياة، ومنها الرفق بجميع المخلوقات.

وإليك بعض الأدلة الدالة على هذا الجانب:

جاء من حديث أبي هريرة ﷺ عند الإمام مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في الجذب فأسرعوا عليها وبادروا بها نقيها»**.

معنى الحديث كما قال الإمام النووي: «**فأعطوا الإبل حظها من الأرض**»، أي: أرفقوا بها في السير، لترعى في حالة سيرها.

وجاء من حديث ابن الحنظلية، وهو من أهل بيعة الرضوان ﷺ قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: **«اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، اركبوها صالحة، وكلوها صالحة»**. أخرجه أبو داود وهو في صحيح شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وجاء من حديث أنس ﷺ قال: كنا إذا نزلنا منزلًا لا نسبح حتى نحل الرحال. أخرجه أبو داود. قال: لا نصلي النافلة حتى نريح الدواب.

وجاء من حديث عبد الله بن جعفر ﷺ عند أبي داود: أن رسول الله ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ جرجر وذرفت عيناه،

فأتاه النبي ﷺ فمسحه، فسكن. ثم قال: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**»، فجاء فتىٰ من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه يشكوا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه**».

وجاء من حديث أبي هريرة ﷺ عند الشيخين قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث بأكل الثرىٰ من شدة العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتىٰ رقىٰ فسقىٰ الكلب، فشكر الله له**»، وفي رواية للبخاري: «**فشكر الله له، فغفر له فأدخله الجنة**».

وفي رواية للشيخين أيضًا: «**بينما كلبٌ يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغيّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به**».

وجاء من حديث شداد بن أوس ﷺ عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**».

ونهىٰ رسول الله ﷺ عن صبر البهائم، كما في حديث أنس عند مسلم ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس عند مسلم: «**لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا**».

وأخرج مسلم من حديث جابر ﷺ: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبرًا».

ومر ابن عمر ﭭ بشبان وهم قد نصبوا دجاجة يترامونها، فلما رأوا ابن عمر ﭭ تفرقوا، فقال ابن عمر ﭬ: من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا.

الثالث عشر: حقوق أهل الذمة:

أهل الذمة هم اليهود والنصارىٰ والمجوس وغيرهم ممن كان له كتاب، فإن لم يكن لهم كتاب كعبدة الأوثان فلا يقرون علىٰ الجزية. «روضة الطالب» (١٠/ ٣٠٤).

فمن يعيش في الدولة الإسلامية بصفة دائمة وعليهم شروط في ذلك، وهي دفع الجزية يلتزمون أحكام الإسلام في معاملات وعقوبات، وينقض عهده بالامتناع عن الجزية أو الاجتماع علىٰ قتال المسلمين، أو سب الله ورسوله، أو سب الدين وغيرها من الأمور. «روضة الطالبين» (١٠/ ٣٣٧).

ومن حقوقهم:

١- الوفاء بالعهد لهم، لقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل:٩١].

٢- عدم إكراههم للدخول في الدين، لقول الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ نسخ هذه الآية بآية القتال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

وذهب بعض العلماء إلىٰ عدم النسخ، وإنما هي في حق أهل الكتاب

خاصة، وأنهم لا يكرهون علىٰ الإسلام إذا أدوا الجزية والذين يُكرهون هم أهل الأوثان. اهـ تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠).

ويؤيد هذا القول صنيع عمر ﷺ مع نصارىٰ بيت المقدس مع ملاحظة شرط مهم وهو عدم إظهارهم لما يخاف دين الإسلام.

٣- حمايتهم والدفاع عنهم ضد أي اعتداء.

٤- تحريم أموالهم ودمائهم.

٥- تحريم ظلمهم وتكليفهم فوق طاقاتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدًا أو أشقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا من غير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة**». أخرجه أبو داود رقم (٣٠٥٢).

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٨٨): لا يكلفون فوق طاقتهم أي من الجزية.

وللإمام ابن القيم كتابًا حافلًا في أحكام أهل الذمة.

قول رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**». البخاري رقم (٣٦٦) من حديث أبي بكرة ﷺ.

ووصية عمر ﷺ إلىٰ الخليفة من بعده: «وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوَّفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم». أخرجه البخاري (٣٠٥٢).

وسيأتي مزيد كلام حول هذا البند في باب -إن شاء الله-.

ومن شمولية هذا الدين: أنه حفظ للناس دينهم، وأموالهم، وأعراضهم، وعقولهم، حتىٰ صاروا آمنين مطمئنين، فجاءت بأحكام وشرائع تضمن للناس كل ما يصبون إليه من خير، وتدفع عنهم كل ما كان فيه ضررٌ عليهم.

فمن تلك الأحكام والشرائع علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

المثال الأول: المرتد:

المرتد الذي ارتد عن دينه، وخالف قول ربه ﷻ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]، كان مستحقًّا للقتل، لقول النبيﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

والحكمة في ذلك: أن ضعاف الإيمان قد يقتدون به، فإذا أقيم حد الله تعالىٰ علىٰ المرتد أرتدع من يريد التلاعب بدين الله ﷻ.

وما تجدر الإشارة إليه: أن كثيرًا من الناس قد جهلوا أمر دينهم، فإذا ما جاء طالب العلم وبين مسألة من المسائل، تنكروا لها، وكأنها منكر عظيم.

ومما جهله كثير من الناس: حصول الردة في أوساط المسلمين، حتىٰ إني في سفرة سافرتها في رمضان سنة (١٤٢٥هـ) التقيت بمدرس بدار القرآن الكريم بعاهم زعموا، وحري بها أن تسمىٰ بدار الحزبية أو دار الجهل، لما تبث من السموم والآثام بين أبناء المسلمين من العقائد السائغة المخالفة لما كان عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-.

فكان مما دار بيننا: الكلام علىٰ الردة، فأنكرها، وقال: من قال بهذا؟ فبينت له أن للبخاري رحمه الله كتاب «استتابة المرتدين»، وكذلك في كتب الفقه فصولًا

لهذا الباب، وقد دلت عليها الأحاديث الصحيحة، وقبل ذلك الآيات الكريمات المبينات.

فأحببت أن أذكر بعض أسباب الردة، لعلّ الله ﷻ أن ينفع بها.

والردة في اللغة: هي الرجوع، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

وفي الاصطلاح: هي الكفر بعد الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

والردة ترجع إلىٰ خمسة أقسام:

١ - **الردة بالقول،** كسب الله تعالىٰ، أو سب رسولهﷺ، أو ملائكته، أو أحد رسله، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢ - **الردة بالفعل،** كالسجود للصنم والحجر والقبور، والذبح لها، وإلقاء المصحف في الأماكن القذرة، وعمل السحر وتعليمه وتعلمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدًا حله.

٣ - **الردة بالاعتقاد،** كاعتقاد الشريك لله ﷻ، أو أن الخمر حلال، أو أن الصلاة غير واجبة مما أجمع المسلمون عليه.

٤ - **الردة بالشك،** كمن شك في تحريم الشرك، أو شك في الأنبياء، أو في صدقهم.

٥ - **الردة بالترك،** كمن ترك الصلاة متعمدًا، لقول رسول الله ﷺ: «**بين**

الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» أخرجه مسلم من حديث جابر.

أحكام الردة:

١ - استتابة المرتد، فإن تاب ورجع في الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبل منه ذلك وترك، وعلىٰ هذا جمهور السلف -رضوان الله عليهم-.

٢- إذا أبىٰ أن يتوب وجب قتله، لحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**» أخرجه البخاري عن ابن عباس.

٣- يمنع من التصرف في ماله مدة استتابته، فإن تاب فهو له، وإن أبىٰ قُتل، ودفع المال إلىٰ بيت المسلمين.

٤- انقطاع التوارث فيما بينه وبين أقاربه.

٥- إذا مات علىٰ ردته فإنه لا يكفن، ولا يغسل، ولا يصلىٰ عليه. انتهىٰ بتصرف من كتاب حكم المرتدين من الحاوي الكبير.

المثال الثاني: القصاص:

وشرع الله القصاص لما فيه من المصالح العظيمة، والحياة الكريمة للأفراد والمجتمعات، وإن كان بالنسبة للمقتص في ذلك إزهاق روحه، أو إتلاف بعض أعضائه.

فالقصاص يمنع أيدي العابثين، والمجرمين من سفك الدماء، ويحمي الأنفس البريئة من الاعتداء عليها، وتطبيق لأحكام الله، واستسلام لأمر الله، فتجد الدولة التي تطبق أحكام الله، تجد القتل فيها قليل، وكذلك كل من يهم أن يقدم

علىٰ جريمة فيها حد يخاف العاقبة، والمآل، إما دنيا وإما أخرىٰ.

بخلاف الدول التي لا تقوم بحدود الله ولا تطبق شرع الله، تجد الجرائم فيها كثيرة، فتكون الدماء مراقة، والأمن مختلًّا، والمجتمع مضطربًا، والعيش فيها نكدًا.

وصدق ربنا سبحانه إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤].

والنسيان يكون عن ذهول وغفلة، ويكون عن تعمد وقصد، فالذين ما حكموا بشريعة الله هم الذين تركوها متعمدين قاصدين إما حبًّا لدنيا، أو مقصد خبيث.

وقال ربنا سبحانه مخاطبًا لنبيه محمدﷺ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء:١٠٥].

وقال أيضًا مخبرًا لنا أن اليهود والنصارىٰ لو أقاموا دين الله، وما أنزل الله عليهم لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، بسبب استجابتهم لربهم سبحانه فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ ﴾ [المائدة:٦٦].

بل نفىٰ عنهم الإيمان، وأخبر بأنهم ليسوا علىٰ شيء إلا إذا أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ

حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة:٦٨].

فالمهم أن الله سبحانه قد نفىٰ الإيمان جملة وتفصيلًا عن الذي يتحاكم إلىٰ غير شرعه معتقدًا حل ذلك وجوازه، أو أنه مساوٍ لشرع الله رب العالمين، أو أنه أفضل من شرع الله رب العالمين، أو حكم بغير شرع الله لكون الشريعة الإسلامية لا تناسب هذا العصر؛ لأن قطع يد السارق تشويه له، ورجم الزاني وقتل كل من يستحق القتل يعتبر إرهابًا. . إلخ.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال أيضًا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

وقال أيضًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان مع نقل كلام لبعض أهل العلم في هذا.

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية (١/ ١٨٤): يقول تعالىٰ وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه سيقتل أنكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة النفوس. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في«بدائع التفسير» (١/ ٣٨١): وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يُقتل قصاصًا قتله كف عن القتل وارتدع وآثر حياته ونفسه، فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله.

ومن وجه آخر وهم أنهم كانوا إذا قتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قتلوا به كل من وجوده من عشيرته وحيه وقبيلته، وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره وتشتد مؤنته، فشرع الله تعالىٰ القصاص، وألا يقتل بالمقتول غير قاتله، ففي ذلك حياة عشيرته وحيه وأقاربه. اهـ

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٦٧): ثم بين تعالىٰ حكمته العظيمة في مشروعية القصاص، فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة:١٧٩]، أي: تحقن بذلك الدماء وتقمع به الأشقياء؛ لأنه من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رؤاي القاتل مقتولًا أنذعر بذلك غيره و أنزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف للشر، وهكذا سائر الحدود الشرعية. اهـ

لكن قد يرد بعض من لا يفقه حكمة الله في ذلك، ويقول: أي حياة في القصاص وهو يزيل حياة القاتل؟

فالجواب كما يلي:

أولًا: آمن بذلك أن في القصاص حياة لنا، وإن لم ندرك حكمة الله فيها.

ثانيًا: إن قتل القاتل فيه حماية للأنفس البريئة من الاعتداء عليها، فكلما همَّ إنسان أن يقتل فيتذكر العاقبة والمصير فيترك.

ثالثًا: كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم كانوا إذا قتل رجل رجلًا من قبيلتهم أو حيهم أو عشيرتهم إن لم يجدوه قتلوا واحدًا من عشيرته وحيه وقبيلته وكل من وجدوه، فأنزل الله أنه لا يقتل بالمقتول إلا قاتله، فيه حياة لعشيرة المقتول وقبيلته وحيه وأقاربه. اهـ

المثال الثالث: نعمة العقل:

إن الله قد أنعم على الإنسان بنعم كثيرة قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، ومن تلك النعم نعمة العقل، والله ﷻ ما يعطي من نعمة إلا ويدل على أسباب بقائها، واستمرارها.

ولما كانت هناك أمور تخل بالعقل كالخمر والمخدرات، وكل ما يذهب بالعقل حرمها وأغلظ العقوبة فيها، فمثلًا الخمر حرمها الله لمفاسدها العظيمة؛ لأن السكران ربما يقع على أمه أو أخته أو ابنته وهو لا يدري، فهو إذا شرب الخمر صار كالمجنون لا يفرق بين الحلال والحرام، وقد يقتل الأنفس البريئة.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

وقد جلد رسول الله ﷺ في الخمر بالجريد والنعال وجلد أربعين، وجلد أبو بكر رضي الله عنه في الخمر أربعين، فلما كان عمر رضي الله عنه جلد في الخمر أربعين ثم جلد ثمانين كما في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**من شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة**».

المثال الرابع: المحافظة على الأعراض:

إن الشريعة الإسلامية اهتمت اهتمامًا بالغًا بالمحافظة على الأعراض فقال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ

مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١١-١٢].

وقال النبي ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أيضًا: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا ألا هل بلغت ألا هل بلغت، اللهم فاشهد**». متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وأمر الله سبحانه بالتثبت قبل أن يقع الإنسان في محذور فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

فمن أجل المحافظة على الأعراض جاءت الشريعة الإسلامية بأحكام وضوابط تضمن للأعراض حقوقها وتكفل لها سلامتها.

فمن تلك الأحكام والضوابط: أن الرجل إذا قذف أخاه ولم يأتِ ببرهان صحيح موافق للشرع فإن الله أعد له عقوبات دنيوية، وأخرى أخروية، ووصفه بصفات شنيعة.

فالعقوبات الدنيوية هي:

١- يجلد ثمانين جلدة.

٢- يعتبر كذبًا.

٣- يعتبر فاسقًا.

٤- لا تقبل له شهادة أبدًا.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور:٤-٥].

وقال أيضًا: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣].

وأما العقوبات الأخروية: فهي كما قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٢٣-٢٥].

فلا يكفي أن يكون الرجل صادقًا عدلًا ولو كان معه شاهدان آخران، فهذا لا يكفي، وتقام عليه العقوبات الدنيوية.

أما إن أتىٰ بأربعة شهود فيقام الحد، فإن كانا بكرين جُلدا مائة وغُربا سنة، وإن كانا محصنين فجلد مائة والرجم حتىٰ الموت، قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٢].

وكل هذه العقوبات الدنيوية والأخروية من أجل تطهير الأعراض من الكلام البذيء والتلطيخ وإشاعة الفاحشة.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ

عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١٩].

انظر أخي المسلم -وفقك الله تعالىٰ لطاعته- كيف صانت الشريعة الإسلامية أعراض المسلمين من أجل ألا تنتهك أو تتلطخ أو يقال فيها ما يقال؟

المثال الخامس: صيانة الأموال:

ومن أجل صيانة الأموال أمر الله سبحانه بقطع يد السارق قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٨].

وقال النبي ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**». متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ولما اعترض بعض الملاحدة وهو المعري بقوله:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

ومعنىٰ كلام هذا الضال: أن اليد فيها نصف دية، إذا جُني عليها، فلماذا تقطع في ربع دينار؟

فرد عليه بعض المسلمين بقوله:

عز الأمانة أعلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

انظر أخي المسلم فاليد لما كانت أمينة كانت ثمينة، ولكن لما خانت هانت.

ولذلك إذا قطعت يد السارق، وأمن الناس علىٰ أموالهم، ولكن لو ترك

السارق من جراء الرحمة الكاذبة، من بعض الناس، فإن البلد كله سيضطرب ويخاف الناس علىٰ بيوتهم، ولذلك أمر الله بقطع يد السارق، حتىٰ يرتدع الآخرون، وينزجر الواقعون في السرقة.

وكذلك جعلت الشريعة الإسلامية ضمانًا للذين يسيرون بأموالهم وأنفسهم في الطرقات، وقد يتعرضون للنهب والسلب والقتل من جراء قطاع الطرق.

والله سبحانه سماهم محاربين وبين الحد الذي يقام عليهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]. وكل هذا من أجل حفظ الأموال، وتأمين الطرق.

فبعد هذه اللمّحة المختصرة عن الشريعة الإسلامية، وما دعت إليه، وما حذرت منه، وعلمت أنها حق وأنها تضمن للخلق كل حقوقهم.

فبالله عليك أخي المسلم هل يحق لأحد أن يقبل ما يُلقىٰ إليه من قوانين وضعية ودساتير كفرية من اختراع البشر يَحكم بها المسلمون -هداهم الله- وهي في غاية الخلل والنقص، وتُترك شريعتنا الإسلامية المتلقاة من الكتاب والسنة وفيها الكمال والتكميل ودفع الشر والفساد، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

فهذه أمثلة سقناها وليس المقصود الاستقصاء، وإنما المراد منها تبين شمولية الدين، وتوضيح صراطه القويم.

فهذا جزء من بعض، وبعض من كل، فكيف لو استقصينا كل ما في الباب من محاسن الإسلام لبلغت الأسفار الكبار، فهو دين الحنفية السمحة المسلمة،

لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية، رفعت به الأغلال والآصار كما هو موضح، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين فنسأل الله أن يميتنا عليه.

* فضل القرآن علي غيره من الكتب:

ثم اعلم أن كتابه أيضًا مهيمنًا علىٰ غيره من الكتب وناسخًا لها؛ لأنه الكتاب المحفوظ المصان عن عبث العابثين وتحريف المبطلين، -حفظه الله- ﷻ ووعد بذلك وأنفذ وعده بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

بعد أن أخبر ﷻ أنه كتاب كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه حيث قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وأيضًا صانه عن الاختلاف لأنه خرج من مشكاة واحدة قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال تعالىٰ في وصفه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: لما ذكر تعالىٰ التوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ كليمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومدحها وأثنىٰ عليها، وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع، وذكر الإنجيل ومدحه، وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه، كما تقدم بيانه.

شرع تعالىٰ في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله علىٰ عبده ورسوله الكريم، فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾؛ أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكرَه ومَدحَه، وأنه سينزل من عند الله علىٰ عبده ورسوله محمدﷺ.

فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائعه وصدقوا رسله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٨]؛ أي: إن كان ما وعدنا الله علىٰ ألسنة الرسل المتقدمين من مجيء محمد عليه السلام، ﴿لَمَفْعُولًا ﴾؛ أي: لكائنًا لا محالة ولا بد.

وقوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال سفيان الثوري وغيره عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس، أي: مؤتمنًا عليه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: المهيمن: الأمين، قال: القرآن أمين علىٰ كل كتاب قبله.

وروي عن عِكرِمَة، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسُّدِّي، وابن زيد، نحو ذلك.

وقال ابن جريج: القرآن أمين علىٰ الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل.

وعن الوالبي، عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أي: شهيدًا. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقال العَوفِي عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أي: حاكمًا علىٰ ما قبله من الكتب.

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنىٰ، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم علىٰ كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها.

وتكفل تعالىٰ بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. اهـ

*** صاحبه في نور:**

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر:٢٢].

*** الداعي إليه والعامل به أفضل الناس قولًا وفعلًا:**

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

*** من كفر به كفر بدين الله الحق:**

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

* أنزل الله القرآن بشارة وتثبيتًا لأهله:

قال: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:١٠١ - ١٠٢].

وأوضح سبحانه وتعالى أنه كتاب لا شك فيه قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

وهذا الكتاب المبارك، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢].

وقال الله تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٦].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

فهذه الآيات التي سوقتها في هذا الباب تبين أن الدين الحق الذي يعبد الله ﷻ به هو دين الإسلام الحق الذي أرسل الله ﷻ به رسوله الكريم محمد الأمين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* فضل أمة محمد ﷺ علىٰ بقية الأمم:

اعلم أن فضلها معلوم في القرآن كما هو معلوم في السنة، وأما القرآن فقد قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: إن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلَت الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي المسند والسنن عن بَهزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها علىٰ الله**».

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرفه الله تعالىٰ علىٰ كل كتاب أنزله، جعله مهيمنًا عليه، وناسخًا له، وخاتمًا له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلىٰ الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارىٰ.

فاليهود استعملهم الله من لدن موسىٰ إلىٰ زمان عيسىٰ، والنصارىٰ من ثمّ إلىٰ أن بعث محمد ﷺ، ثم استعمل أمته إلىٰ قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار،

وأعطىٰ الله المتقدمين قيراطًا قيراطًا، وأعطىٰ هؤلاء قيراطين قيراطين، ضعفي ما أعطىٰ أولئك، فقالوا: أي ربنا، ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ فقال: هل ظلمتكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلىٰ أي: الزائد علىٰ ما أعطيتكم أؤتيه من أشاء.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٨- ٢٩].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توجيه قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: يذكرهم تعالىٰ سَالفَ نعمه علىٰ آبائهم وأسلافهم، وما كان فَضَّلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلىٰ سائر الأمم من أهل زمانهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠].

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب علىٰ عالم من كان في ذلك الزمان؛ فإن لكل زمان عالما.

وقيل: المراد تفضيل بنوع ما من الفضل علىٰ سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقًا، حكاه فخر الدين الرازي وفيه نظر.

وقيل: إنهم فضلوا علىٰ سائر الأمم لاشتمال أمتهم علىٰ الأنبياء منهم،

حكاه القرطبي في تفسيره، وفيه نظر؛ لأن ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: يخبر تعالىٰ عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن مَيسَرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خَيرَ الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يعني عالمي زمانكم، فكأنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:١٦].

وقال تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤٠].

والمقصود: أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم، وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجًا، وأكرم نبيًّا، وأعظم ملكًا، وأغزر أرزاقًا، وأكثر أموالًا وأولادًا، وأوسع مملكة، وأدوم عزًّا.

قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها عند الله، عند قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ من سورة آل عمران.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٥/ ٣٠٦): قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، أي: اصطفاكم، واختاركم يا أمة محمد.

ومعنىٰ هذه الآية أوضحه بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] الآية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

الحرج: الضيق كما أوضحناه في أول سورة الأعراف.

وقد بين تعالىٰ في هذه الآية الكريمة أن هذه الحنيفية السمحة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ أنها مبنية علىٰ التخفيف والتيسير، لا علىٰ الضيق والحرج، وقد رفع الله فيها الآصار والأغلال التي كانت علىٰ من قبلنا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «العذب المنير» (٥/ ٥٦): ﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وضوح ظاهر لا شك فيه أن الإسلام حق لنصر الفئة القليلة الضعيفة علىٰ الفئة الكافرة القوية، وسماه آية في سورة آل عمران في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ الآية، أي: علا علىٰ أن دين الإسلام هو الحق الذي لا شك فيه.

وهذه الآية القرآنية تدل علىٰ أن من علامات دين الإسلام وأنه الدين الحق

الذي لا يقبل الله غيره، كما قال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

تبين أن من خصائص هذا الدين ومن علاماته أن الفئة القليلة المتمسكة به تغلب الفئة القوية الكافرة التي لم تتمسك به.

وقال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

قال الشنقيطي كما في «العذب المنير» (٥/ ٤١٩): لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ وإن قالوا لا إله إلا الله، وأقروا بالقيامة فهم كمن أنكر وجود الله وأنكر وجود القيامة؛ لأنهم لما اتخذوا الأرباب معه وأشركوا به، وقالوا: إن عزيرًا ابنه، وأن المسيح ابنه، هذا قول من لا يؤمن بالله واليوم والآخر؛ لأن الكافر إذا كفر بالله من وجه لا ينفعه الإيمان به من وجه آخر.

وقوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾، الذي هو الإسلام، وفي قوله: ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ وجهان:

الأول: أن الحق هو ضد الباطل، وأن دين الحق من إضافة الموصوف إلىٰ صفته، أي: الدين الذي هو الحق الذي هو دين الإسلام.

الوجه الثاني: أن الحق هو الله، فالحق من أسمائه: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾، ودين الحق، أي: دين الله الذي شرعه علىٰ لسان نبيه محمدًا صلىٰ الله

عليه وعلىٰ آله وسلم.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ في مسلم: « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**» .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الحديث ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ.

وقوله: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة**» ، أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلىٰ يوم القيامة، تنبيهًا علىٰ من سواهما؛ لأن اليهود والنصارىٰ لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب له أولىٰ. اهـ

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨].

وأما في السنة:

فَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعدَيكَ وَالخَيرُ فِي يَدَيك، فَيَقُولُ: أَخرِج بَعثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعَ مِائَةٍ وَتِسعَةً وَتِسعِينَ فَعِندَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ**».

﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟

قَالَ: «**أَبشِرُوا فَإِنَّ مِنكُم رَجُلًا وَمِن يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ أَلفًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرجُو أَن تَكُونُوا رُبُعَ أَهلِ الجَنَّةِ** -فَكَبَّرنَا-؛ فَقَالَ: **أَرجُو أَن تَكُونُوا ثُلُثَ أَهلِ الجَنَّةِ** -فَكَبَّرنَا-؛ فَقَالَ: **أَرجُو أَن تَكُونُوا نِصفَ أَهلِ الجَنَّةِ** -

فَكَبَّرنَا-، فَقَالَ: «مَا أَنتُم فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّودَاءِ فِي جِلدِ ثَورٍ أَبيَضَ أَو كَشَعَرَةٍ بَيضَاءَ فِي جِلدِ ثَورٍ أَسوَدَ». متفق عليه، البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

وعَن عَبدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرضَونَ أَن تَكُونُوا رُبُعَ أَهلِ الجَنَّةِ؟».

قُلنَا: نَعَم.

قَالَ: «أَتَرضَونَ أَن تَكُونُوا ثُلُثَ أَهلِ الجَنَّةِ؟».

قُلنَا: نَعَم.

قَالَ: «أَتَرضَونَ أَن تَكُونُوا شَطرَ أَهلِ الجَنَّةِ؟».

قُلنَا: نَعَم.

قَالَ: «وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرجُو أَن تَكُونُوا نِصفَ أَهلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لَا يَدخُلُهَا إِلَّا نَفسٌ مُسلِمَةٌ، وَمَا أَنتُم فِي أَهلِ الشِّركِ إِلَّا كَالشَّعرَةِ البَيضَاءِ فِي جِلدِ الثَّورِ الأَسوَدِ أَو كَالشَّعرَةِ السَّودَاءِ فِي جِلدِ الثَّورِ الأَحمَرِ». متفق عليه، البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

وَعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَومَ القِيَامَةِ بَيدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبلِنَا ثُمَّ هَذَا يَومُهُم الَّذِي فُرِضَ عَلَيهِم فَاختَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَىٰ بَعدَ غَدٍ». البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

وعَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُم وَمَثَلُ أَهلِ الكِتَابَينِ كَمَثَلِ رَجُلٍ استَأجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَن يَعمَلُ لِي مِن غُدوَةَ إِلَىٰ نِصفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ فَعَمِلَت اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَن يَعمَلُ لِي مِن نِصفِ النَّهَارِ إِلَىٰ صَلَاةِ العَصرِ

عَلَىٰ قِيرَاطٍ فَعَمِلَت النَّصَارَىٰ، ثُمَّ قَالَ: مَن يَعمَلُ لِي مِن العَصرِ إِلَىٰ أَن تَغِيبَ الشَّمسُ عَلَىٰ قِيرَاطَينِ فَأَنتُم هُم، فَغَضِبَت اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَل نَقَصتُكُم مِن حَقِّكُم؟ قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَذَلِكَ فَضلِي أُوتِيهِ مَن أَشَاءُ». أخرجه البخاري (٥٥٧).

وعَن أَبِي مُوسَىٰ ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ المُسلِمِينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ كَمَثَلِ رَجُلٍ استَأجَرَ قَومًا يَعمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَومًا إِلَىٰ اللَّيلِ عَلَىٰ أَجرٍ مَعلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَىٰ نِصفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ أَجرِكَ الَّذِي شَرَطتَ لَنَا وَمَا عَمِلنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُم: لَا تَفعَلُوا أَكمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُم وَخُذُوا أَجرَكُم كَامِلًا فَأَبَوا وَتَرَكُوا.

وَاستَأجَرَ أَجِيرَينِ بَعدَهُم فَقَالَ لَهُمَا: أَكمِلَا بَقِيَّةَ يَومِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطتُ لَهُم مِن الأَجرِ، فَعَمِلُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ حِينُ صَلَاةِ العَصرِ قَالَا: لَكَ مَا عَمِلنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الأَجرُ الَّذِي جَعَلتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِن النَّهَارِ شَيءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا.

وَاستَأجَرَ قَومًا أَن يَعمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَومِهِم فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَومِهِم حَتَّىٰ غَابَت الشَّمسُ وَاستَكمَلُوا أَجرَ الفَرِيقَينِ كِلَيهِمَا، فَذَلِكَ مَثَلُهُم وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِن هَذَا النُّورِ». أخرجه البخاري (٥٥٨).

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَت عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُم الرَّهطُ وَالنَّبِيُّ لَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلتُ: مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ بَل هَذَا مُوسَىٰ وَقَومُهُ، قِيلَ: انظُر إِلَىٰ الأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَملأُ الأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي انظُر هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَد مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ

هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدخُلُ الجَنَّةَ مِن هَؤُلَاءِ سَبعُونَ أَلفًا بِغَيرِ حِسَابٍ».

ثُمَّ دَخَلَ وَلَم يُبَيِّن لَهُم فَأَفَاضَ القَومُ وَقَالُوا: نَحنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعنَا رَسُولَهُ فَنَحنُ هُم أَو أَولَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسلَامِ فَإِنَّا وُلِدنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ.

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «**هُم الَّذِينَ لَا يَستَرقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَالَ عُكَاشَةُ بنُ مِحصَنٍ: أَمِنهُم أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَم**»، فَقَامَ آخَرُ: فَقَالَ أَمِنهُم أَنَا؟ قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**». أخرجه البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٢٢٠).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَدخُلُ مِن أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبعُونَ أَلفًا بِغَيرِ حِسَابٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ادعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجعَلهُ مِنهُم**»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم. قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**». أخرجه مسلم (٢١٦).

وَعَن عِمرَانُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَدخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ أَلفًا بِغَيرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: وَمَن هُم يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**هُم الَّذِينَ لَا يَكتَوُونَ وَلَا يَستَرقُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ: فَقَالَ ادعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم. قَالَ: «**أَنتَ مِنهُم**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ ادعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم. قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**». أخرجه مسلم (٢١٨).

وعَن سَهلِ بنِ سَعدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَدخُلَنَّ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ أَلفًا أَو سَبعُ مِائَةِ أَلفٍ** -لَا يَدرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا- **قَالَ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعضُهُم بَعضًا لَا يَدخُلُ أَوَّلُهُم حَتَّىٰ يَدخُلَ آخِرُهُم وُجُوهُهُم عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ**». أخرجه البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نَحنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَن يُحَاسَبُ يُقَالُ أَينَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ**».

وعن رفاعة الجهني قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ إذا كنا بالكديد أو قال بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلىٰ أهليهم فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر**».

فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا؛ فقال رجل إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه.

فحمد الله وقال حينئذٍ: «**أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة**»،

قال: «**وقد وعدني ربي ﷻ أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وإني لأرجو ألا يدخلوها حتىٰ تبوئا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة**». أخرجه أحمد.

وعن عبد الله بن شقيق قال: جلست إلىٰ رهط أنا رابعهم بإيلياء فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**» قلنا: سواك يا رسول الله؟ قال: «**سواي**» قلت: أنت سمعته؟ قال: نعم، فلما قام قلت من هذا؟ قالوا: بن أبي الجدعاء. أخرجه أحمد.

وعن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إني حلفت هكذا ونشر أصابع يديه حتىٰ تخبرني ما الذي بعثك الله تبارك وتعالىٰ به؟

قال: «**بعثني الله تبارك وتعالىٰ بالإسلام**».

قال: وما الإسلام؟

قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة إخوان نصيران لا يقبل الله -جل وعز- من أحد توبة أشرك بعد إسلامه**».

قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوج أحدنا عليه؟

قال: «**تطعمها إذا أكلت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت**».

ثم قال: «**هاهنا تحشرون هاهنا تحشرون هاهنا تحشرون -ثلاثًا- ركبانًا ومشاة وعلىٰ وجوهكم توفون يوم القيامة سبعون أمة، أنتم آخر الأمم وأكرمها علىٰ الله تبارك وتعالىٰ، تأتون يوم القيامة وعلىٰ أفواهكم الفدام أول ما يعرب عن أحدكم فخذه**».

قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلىٰ الشام فقال: إلىٰ هاهنا تحشرون». أخرجه أحمد.

وعن الصنابحي الأحمسي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إني فرطكم علىٰ الحوض وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلن بعدي**». أخرجه أحمد.

وعن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم وربع أهل الجنة لكم ربعها ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فكيف أنتم وثلثها؟**». قالوا: فذاك أكثر. قال: «**فكيف أنتم والشطر؟**». قالوا: فذلك أكثر؛ فقال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفًّا**». أخرجه أحمد.

عن بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف منهم ثمانون من هذه الأمة**، وقال عفان مرة: **أنتم منهم ثمانون صفًا**».

عَن أَبِي مُوسَىٰ الأَشعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُيِّرتُ بينَ الشَّفَاعَةِ وَبينَ أَن يَدخُلَ نِصفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ فَاختَرتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكفَىٰ أَتُرونَهَا لِلمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَّهَا لِلمُذنِبِينَ الخَطَّائِينَ المُتَلَوِّثِينَ**». أخرجه أحمد.

وعن معاذ قال: رقبنا رسول الله ﷺ في صلاة العشاء فاحتبس حتىٰ ظننا أن لن يخرج والقائل منا يقول قد صلىٰ ولن يخرج، فخرج رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ظننا أنك لن تخرج والقائل منا يقول قد صلىٰ ولن يخرج؛ فقال رسول الله ﷺ: «**اعتموا بهذه الصلاة فقد فضلتم بها علىٰ سائر الأمم ولم يصلها أمة قبلكم**». أخرجه أحمد.

وعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَومُ خَيبَرَ أَقبَلَ نَفَرٌ مِن صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ فُلَانٌ شَهِيدٌ حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا إِنِّي رَأَيتُهُ فِي النَّارِ فِي بُردَةٍ غَلَّهَا أَو عَبَاءَةٍ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابنَ الخَطَّابِ اذهَب فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا المُؤمِنُونَ**»، قَالَ: فَخَرَجتُ فَنَادَيتُ أَلَا إِنَّهُ لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا المُؤمِنُونَ. أخرجه مسلم (١١٤).

وعَن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: هَل بَلَّغتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَم أَي رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَل بَلَّغَكُم فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِن نَبِيٍّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَن يَشهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ فَنَشهَدُ أَنَّهُ قَد بَلَّغَ وَهُوَ قَولُهُ** -جل ذكره-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾»، وَالوَسَطُ العَدلُ. أخرجه البخاري.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: خَيرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِم فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعنَاقِهِم حَتَّىٰ يَدخُلُوا فِي الإِسلَامِ.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٤ / ص٤٥٣):

الوَجهُ التَّاسِعُ: قَوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وَوَجهُ الِاستِدلَالِ بِالآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَخبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُم أُمَّةً خِيَارًا عُدُولًا، هَذَا حَقِيقَةُ الوَسَطِ، فَهُم خَيرُ الأُمَمِ، وَأَعدَلُهَا فِي أَقوَالِهِم، وَأَعمَالِهِم، وَإِرَادَتِهِم وَنِيَّاتِهِم، وَبِهَذَا استَحَقُّوا أَن يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلرُّسُلِ عَلَىٰ أُمَمِهِم يَومَ القِيَامَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقبَلُ شَهَادَتَهُم عَلَيهِم، فَهُم شُهَدَاؤُهُ، وَلِهَذَا نَوَّهَ بِهِم وَرَفَعَ ذِكرَهُم، وَأَثنَىٰ عَلَيهِم.

لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا اتَّخَذَهُم شُهَدَاءَ أَعلَمَ خَلقَهُ مِن المَلَائِكَةِ وَغَيرِهِم بِحَالِ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ أَن تُصَلِّيَ عَلَيهِم وَتَدعُوَ لَهُم وَتَستَغفِرَ لَهُم، وَالشَّاهِدُ المَقبُولُ عِندَ اللهِ هُوَ الَّذِي يَشهَدُ بِعِلمٍ وَصِدقٍ فَيُخبِرُ بِالحَقِّ مُستَنِدًا إِلَىٰ عِلمِهِ بِهِ كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فَقَد يُخبِرُ الإِنسَانُ بِالحَقِّ اتِّفَاقًا مِن غَيرِ عِلمِهِ بِهِ، وَقَد يَعلَمُهُ وَلَا يُخبِرُ بِهِ؛ فَالشَّاهِدُ المَقبُولُ عِندَ اللهِ هُوَ الَّذِي يُخبِرُ بِهِ عَن عِلمٍ؛ فَلَو كَانَ عِلمُهُم أَن يُفتِيَ أَحَدُهُم بِفَتوَىٰ وَتَكُونُ خَطَأً مُخَالَفَةً لِحُكمِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يُفتِي غَيرَهُ بِالحَقِّ الَّذِي هُوَ حُكمُ اللهِ وَرَسُولِهِ إِمَّا مَعَ اشتِهَارِ فَتوَىٰ الأَوَّلِ أَو بِدُونِ اشتِهَارِهَا كَانَت هَذِهِ الأُمَّةُ العَدلُ الخِيَارُ قَد أَطبَقَت عَلَىٰ خِلَافِ الحَقِّ.

بَل انقَسَمُوا قِسمَينِ قِسمًا أَفتَىٰ بِالبَاطِلِ وَقِسمًا سَكَتَ عَن الحَقِّ، وَهَذَا مِن

المُستَحِيلِ؛ فَإِنَّ الحَقَّ لَا يَعدُوهُم وَيَخرُجُ عَنهُم إِلَىٰ مَن بَعدَهُم قَطعًا، وَنَحنُ نَقُولُ لِمَن خَالَفَ أَقوَالَهُم: لَو كَانَ خَيرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيهِ.

الوَجهُ العَاشِرُ: أَنَّ قَوله تَعَالَىٰ: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ**﴾ فَأَخبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ اجتَبَاهُم، وَالِاجتِبَاءُ كَالِاصطِفَاءِ، وَهُوَ افتِعَالٌ مِن اجتَبَىٰ الشَّيءَ يَجتَبِيه إِذَا ضَمَّهُ إِلَيهِ وَحَازَهُ إِلَىٰ نَفسِهِ.

فَهُم المُجتَبُونَ الَّذِينَ اجتَبَاهُم اللهُ إِلَيهِ وَجَعَلَهُم أَهلَهُ وَخَاصَّتَهُ وَصَفوَتَهُ مِن خَلقِهِ بَعدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ، وَلِهَذَا أَمَرَهُم تَعَالَىٰ أَن يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ، فَيَبذُلُوا لَهُ أَنفُسَهُم، وَيُفرِدُوهُ بِالمَحَبَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ، وَيَختَارُوهُ وَحدَهُ إِلَهًا مَعبُودًا مَحبُوبًا عَلَىٰ كُلِّ مَا سِوَاهُ كَمَا اختَارَهُم عَلَىٰ مَن سِوَاهُم، فَيَتَّخِذُونَهُ وَحدَهُ إِلَهَهُم وَمَعبُودَهُم الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ إِلَيهِ بِأَلسِنَتِهِم وَجَوَارِحِهِم وَقُلُوبِهِم وَمَحَبَّتِهِم، وَإِرَادَتِهِم، فَيُؤثِرُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ عَلَىٰ مَن سِوَاهُ، كَمَا اتَّخَذَهُم عَبِيدَهُ، وَأَولِيَاءَهُ، وَأَحِبَّاءَهُ وَآثَرَهُم بِذَلِكَ عَلَىٰ مَن سِوَاهُم.

ثُمَّ أَخبَرَهُم تَعَالَىٰ أَن يَسَّرَ عَلَيهِم دِينَهُ غَايَةَ التَّيسِيرِ، وَلَم يَجعَل عَلَيهِم فِيهِ مِن حَرَجٍ أَلبَتَّةَ لِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ لَهُم وَرَأفَتِهِ وَرَحمَتِهِ وَحَنَانِهِ بِهِم.

ثُمَّ أَمَرَهُم بِلُزُومِ مِلَّةَ إِمَامِ الحُنَفَاءِ أَبِيهِم إِبرَاهِيمَ، وَهِيَ إِفرَادُهُ تَعَالَىٰ وَحدَهُ العُبُودِيَّةِ وَالتَّعظِيمِ وَالحُبِّ وَالخَوفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالإِنَابَةِ وَالتَّفوِيضِ وَالِاستِسلَامِ؛ فَيَكُونُ تَعَلُّقُ ذَلِكَ مِن قُلُوبِهِم بِهِ وَحدَهُ لَا بِغَيرِهِ.

ثُمَّ أَخبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ نَوَّهَ بِهِم وَسَمَّاهُم كَذَلِكَ بَعدَ أَن أَوجَدَهُم اعتِنَاءً بِهِم

وَرِفعَةً لِشَأنِهِم، وَإِعلاءً لِقَدرِهِم.

ثُمَّ أَخبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُشهِدَ عَلَيهِم رَسُولَهُ وَيَشهَدُوا هُم عَلَىٰ النَّاسِ؛ فَيَكُونُونَ مَشهُودًا لَهُم بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ الأُمَمِ بِقِيَامِ حُجَّةِ اللهِ عَلَيهِم، فَكَانَ هَذَا التَّنوِيهُ، وَإِشَارَةُ الذِّكرِ لِهَذَينِ الأَمرَينِ الجَلِيلَينِ وَلِهَاتَينِ الحِكمَتَينِ العَظِيمَتَينِ.

وَالمَقصُودُ أَنَّهُم إِذَا كَانُوا بِهَذِهِ المَنزِلَةِ عِندَهُ تَعَالَىٰ فَمِنَ المُحَالِ أَن يَحرِمَهُم كُلَّهُم الصَّوَابَ فِي مَسأَلَةٍ فَيُفتِي فِيهَا بَعضُهُم بِالخَطَأِ، وَلَا يُفتِي فِيهَا غَيرُهُ بِالصَّوَابِ، وَيَظفَرُ فِيهَا بِالهُدَىٰ مِن بَعدِهِم، وَاللهُ المُستَعَانُ.

الوَجهُ الحَادِي عَشَرَ: قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ وَوَجهُ الِاستِدلَالِ بِالآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَخبَرَ عَنِ المُعتَصِمِينَ بِهِ بِأَنَّهُم قَد هُدُوا إِلَىٰ الحَقِّ؛ فَنَقُولُ: الصَّحَابَةُ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم- مُعتَصِمُونَ بِاللهِ فَهُم مُهتَدُونَ، فَاتِّبَاعُهُم وَاجِبٌ.

أَمَّا المُقَدِّمَةُ الأُولَىٰ فَتَقرِيرُهَا مِن وُجُوهٍ، أَحَدُهَا: قوله تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ**﴾ وَمَعلُومٌ كَمَالُ تَوَلِّي اللهِ تَعَالَىٰ لَهُم وَنَصرُهُ إِيَّاهُم أَتَمَّ نُصرَةٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُم اعتَصَمُوا بِهِ أَتَمَّ اعتِصَامٍ، فَهُم مَهدِيُّونَ بِشَهَادَةِ الرَّبِّ لَهُم بِلَا شَكٍّ، وَاتِّبَاعُ المَهدِيِّ وَاجِبٌ شَرعًا وَعَقلًا وَفِطرَةً بِلَا شَكٍّ، وَمَا يَرِدُ عَلَىٰ هَذَا الوَجهِ مِن أَنَّ المُتَابَعَةَ لَا تَستَلزِمُ المُتَابَعَةَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِم فَقَد تَقَدَّمَ جَوَابُهُ.

الوَجهُ الثَّانِي عَشَرَ: قَوله تَعَالَىٰ عَن أَصحَابِ مُوسَىٰ: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ فَأَخبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ جَعَلَهُم أَئِمَّةً

يَأتَمُّ بِهِم مَن بَعدَهُم لِصَبرِهِم وَيَقِينِهِم؛ إذ بِالصَّبرِ وَاليَقِينِ تُنَالُ الإِمَامَةُ فِي الدِّينِ.

فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَتِمُّ لَهُ أَمرُهُ إِلَّا بِيَقِينِهِ لِلحَقِّ الَّذِي يَدعُو إِلَيهِ وَبَصِيرَتِهِ بِهِ وَصَبرِهِ عَلَىٰ تَنفِيذِ الدَّعوَةِ إِلَىٰ اللهِ بِاحتِمَالِ مَشَاقِّ الدَّعوَةِ وَكَفِّ النَّفسِ عَمَّا يُوهِنُ عَزمَهُ وَيُضعِفُ إِرَادَتَهُ، فَمَن كَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ كَانَ مِن الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَهدُونَ بِأَمرِهِ تَعَالَىٰ.

وَمِن المَعلُومِ أَنَّ أَصحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَقُّ، وَأَولَىٰ بِهَذَا الوَصفِ مِن أَصحَابِ مُوسَىٰ، فَهُم أَكمَلُ يَقِينًا، وَأَعظَمُ صَبرًا مِن جَمِيعِ الأُمَمِ، فَهُم أَولَىٰ بِمَنصِبِ هَذِهِ الإِمَامَةِ، وَهَذَا أَمرٌ ثَابِتٌ بِلَا شَكٍّ بِشَهَادَةِ اللهِ لَهُم وَثَنَائِهِ عَلَيهِم، وَشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَهُم بِأَنَّهُم خَيرُ القُرُونِ، وَأَنَّهُم خِيرَةُ اللهِ وَصَفوَتُهُ، وَمِن المُحَالِ عَلَىٰ مَن هَذَا شَأنُهُم أَن يُخطِئُوا كُلُّهُم الحَقَّ، وَيَظفَرَ بِهِ المُتَأَخِّرُونَ. اهـ

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ وَعَن رِبعِيِّ بنِ حِرَاشٍ عَن حُذَيفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَضَلَّ اللهُ عَن الجُمُعَةِ مَن كَانَ قَبلَنَا فَكَانَ لِليَهُودِ يَومُ السَّبتِ وَكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يَومُ الأَحَدِ فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَومِ الجُمُعَةِ فَجَعَلَ الجُمُعَةَ وَالسَّبتَ وَالأَحَدَ وَكَذَلِكَ هُم تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيَامَةِ نَحنُ الآخِرُونَ مِن أَهلِ الدُّنيَا وَالأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ المَقضِيُّ لَهُم قَبلَ الخَلَائِقِ»**. أخرجه مسلم (٨٥٦).

*** حكم عيسىٰ ﷺ في آخر الزمان بشريعة النبي محمدﷺ دليل علىٰ نسخ دينه الذي جاء به وعلىٰ اتباعه للنبي محمدﷺ وعلىٰ أن شريعة النبي محمدﷺ لا تُنسخ بشريعة أخرىٰ بحال وبيان استمراريتها إلىٰ قرب قيام الساعة:**

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٦١].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩].

قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنىٰ ذلك، فقال بعضهم: معنىٰ ذلك: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعني بعيسىٰ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾؛ يعنىٰ: قبل موت عيسىٰ، يُوَجه ذلك إلىٰ أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام.

قال الشوكاني في فتح القدير: قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ، والمعنىٰ: وما من أهل الكتاب أحد إلا والله ليؤمنن به قبل موته، والضمير في (به) راجع إلىٰ عيسىٰ، والضمير في (موته) راجع إلىٰ ما دلّ عليه الكلام، وهو لفظ أحد المقدّر أو الكتابي المدلول عليه بأهل الكتاب.

وفيه دليل علىٰ أنه لا يموت يهودي أو نصراني إلا وقد آمن بالمسيح.

وقيل: كلا الضميرين لعيسىٰ، والمعنىٰ: أنه لا يموت عيسىٰ حتىٰ يؤمن به كل كتابيّ في عصره.

وقيل: الضمير الأول لله.

وقيل: إلىٰ محمد.

وقد اختار كون الضميرين لعيسىٰ ابن جرير، وقال به جماعة من السلف، وهو الظاهر، والمراد الإيمان به عند نزوله في آخر الزمان، كما وردت بذلك الأحاديث المتواترة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسىٰ علىٰ أهل الكتاب ﴿شَهِيدًا﴾ يشهد علىٰ اليهود بالتكذيب له، وعلىٰ النصارىٰ بالغلوّ فيه حتىٰ قالوا هو ابن الله. اهـ

وعن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَن يَنزِلَ فِيكُم ابنُ مَريَمَ حَكَمًا عَدلًا فَيَكسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقتُلَ الخِنزِيرَ وَيَضَعَ الجِزيَةَ وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّىٰ لَا يَقبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجدَةُ الوَاحِدَةُ خَيرًا مِن الدُّنيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيرَةَ وَاقرَءُوا إِن شِئتُم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. أخرجه مسلم (١٥٥).

قال النووي علىٰ مسلم: وَقَوله ﷺ: (فَيَكسِر الصَّلِيب) مَعنَاهُ يَكسِرهُ حَقِيقَة وَيُبطِل مَا يَزعُمهُ النَّصَارَىٰ مِن تَعظِيمه.

وَأَمَّا قَوله ﷺ: (وَيَضَع الجِزيَة) فَالصَّوَاب فِي مَعنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقبَلهَا وَلَا يَقبَل مِن الكُفَّار إِلَّا الإِسلَام وَمَن بَذَلَ مِنهُم الجِزيَة لَم يَكُفّ عَنهُ بِهَا، بَل لَا يَقبَل إِلَّا الإِسلَام أَو القَتل. هَكَذَا قَالَهُ الإِمَام أَبُو سُلَيمَان الخَطَّابِيُّ وَغَيره مِن العُلَمَاء -رَحِمَهُم الله تَعَالَىٰ-.

وَحَكَىٰ القَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللهُ عَن بَعض العُلَمَاء مَعنَىٰ هَذَا ثُمَّ قَالَ: وَقَد يَكُون فَيض المَال هُنَا مِن وَضع الجِزيَة وَهُوَ ضَربهَا عَلَىٰ جَمِيع الكَفَرَة فَإِنَّهُ لَا يُقَاتِلهُ أَحَد فَتَضَع الحَرب أَوزَارَهَا، وَانقِيَاد جَمِيع النَّاس لَهُ إِمَّا بِالإِسلَامِ وَإِمَّا بِإِلقَاءِ يَد فَيَضَع عَلَيهِ الجِزيَة وَيَضرِبهَا.

وَهَذَا كَلَام القَاضِي وَلَيسَ بِمَقبُولٍ، وَالصَّوَاب مَا قَدَّمنَاهُ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَقبَل مِنهُ إِلَّا الإِسلَام.

فَعَلَىٰ هَذَا قَد يُقَال: هَذَا خِلَاف حُكم الشَّرع اليَوم، فَإِنَّ الكِتَابِيّ إِذَا بَذَلَ الجِزيَة وَجَبَ قَبُولهَا وَلَم يَجُز قَتله وَلَا إِكرَاهه عَلَىٰ الإِسلَام؟

وَجَوَابه: أَنَّ هَذَا الحُكم لَيس بِمُستَمِرٍّ إِلَىٰ يَوم القِيَامَة، بَل هُوَ مُقَيَّد بِمَا قَبل عِيسَىٰ عليه السلام، وَقَد أَخبَرَنَا النَّبِيّ ﷺ فِي هَذِهِ الأَحَادِيث الصَّحِيحَة بِنَسخِهِ وَلَيس عِيسَىٰ عليه السلام هُوَ النَّاسِخ، بَل نَبِيّنَا ﷺ هُوَ المُبَيِّن لِلنَّسخِ؛ فَإِنَّ عِيسَىٰ يَحكُم بِشَرعِنَا، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الِامتِنَاع مِن قَبُول الجِزيَة فِي ذَلِكَ الوَقت هُوَ شَرع نَبِيّنَا مُحَمَّد ﷺ.

وَأَمَّا قَوله: ثُمَّ يَقُول أَبُو هُرَيرَة اِقرَءُوا إِن شِئتُم: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ فَفِيهِ دَلَالَة ظَاهِرَة عَلَىٰ أَنَّ مَذهَب أَبِي هُرَيرَة فِي الآيَة أَنَّ الضَّمِير فِي مَوته يَعُود عَلَىٰ عِيسَىٰ عليه السلام.

وَمَعنَاهَا وَمَا مِن أَهل الكِتَاب يَكُون فِي زَمَن عِيسَىٰ عليه السلام إِلَّا مَن آمَنَ بِهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ عَبد الله وَابن أَمَته وَهَذَا مَذهَب جَمَاعَة مِن المُفَسِّرِينَ.

وَذَهَبَ كَثِيرُونَ أَو الأَكثَرُونَ إِلَىٰ أَنَّ الضَّمِير يَعُود عَلَىٰ الكِتَابِيّ وَمَعنَاهَا: وَمَا مِن أَهل الكِتَاب أَحَد يَحضُرهُ المَوت إِلَّا آمَنَ عِند المَوت قَبل خُرُوج رُوحه بِعِيسَىٰ ﷺ، وَأَنَّهُ عَبد الله وَابن أَمَته، وَلَكِن لَا يَنفَعهُ هَذَا الإِيمَان لِأَنَّهُ فِي حَضرَة

المَوت وَحَالَة النَّزع، وَتِلكَ الحَالَة لَا حُكم لِمَا يُفعَل أَو يُقَال فِيهَا فَلَا يَصِحّ فِيهَا إِسلَام وَلَا كُفر وَلَا وَصِيَّة وَلَا بَيع وَلَا عِتق وَلَا غَير ذَلِكَ مِن الأَقوَال؛ لِقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٔـٰنَ﴾.

وَهَذَا المَذهَب أَظهَر فَإِنَّ الأَوَّل يَخُصّ الكِتَابِيّ وَظَاهِر القُرآن عُمُومه لِكُلِّ كِتَابِيّ فِي زَمَن عِيسَىٰ وَقَبل نُزُوله.

وَتُؤَيِّد هَذَا قِرَاءَة مَن قَرَأَ: (قَبل مَوتهم).

وَقِيلَ: إِنَّ الهَاء فِي (بِهِ) يَعُود عَلَىٰ نَبِيِّنَا ﷺ وَالهَاء فِي (مَوته) تَعُود عَلَىٰ الكِتَابِيّ. وَالله أَعلَم.

قَوله: (أَن يَنزِل فِيكُم) أَي فِي هَذِهِ الأُمَّة، فَإِنَّهُ خِطَاب لِبَعضِ الأُمَّة مِمَّن لَا يُدرِك نُزُوله.

قَوله: (حَكَمًا) أَي: حَاكِمًا، وَالمَعنَىٰ أَنَّهُ يَنزِل حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَة فَإِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَة بَاقِيَة لَا تُنسَخ، بَل يَكُون عِيسَىٰ حَاكِمًا مِن حُكَّام هَذِهِ الأُمَّة.

وَفِي رِوَايَة اللَّيث عَن اِبن شِهَاب عِند مُسلِم: حَكَمًا مُقسِطًا، وَلَهُ مِن طَرِيق اِبن عُيَينَةَ عَن اِبن شِهَاب: إِمَامًا مُقسِطًا، وَالمُقسِط العَادِل بِخِلَافِ القَاسِط فَهُوَ الجَائِر.

وَلِأَحمَد مِن وَجه آخَر عَن أَبِي هُرَيرَة: أَقرِئُوهُ مِن رَسُول الله السَّلَام، وَعِند أَحمَد مِن حَدِيث عَائِشَة: وَيَمكُث عِيسَىٰ فِي الأَرض أَربَعِينَ سَنَة، وَلِلطَّبَرَانِيّ مِن حَدِيث عَبد الله بن مُغَفَّل: يَنزِل عِيسَىٰ بن مَريَم مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ عَلَىٰ مِلَّته.

وما يدل علىٰ نزوله ﷺ وقتله للدجال ما أخرجه مسلم (٢٩٣٧): عن

النَّوَّاسِ بنِ سَمعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسولُ اللّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَداةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ ورَفَّعَ حَتّىٰ ظَنَنّاهُ في طائِفَةِ النَّخلِ، فَلَمّا رُحنا إلَيهِ عَرَفَ ذَلِكَ فينا، فقالَ: «**ما شَأنُكُم؟**».

قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، ذَكَرتَ الدَّجّالَ غَداةً فَخَفَّضتَ فيهِ وَرَفَّعتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ في طائِفَةِ النَّخلِ!

فَقالَ: «**غيرُ الدَّجَّالِ أخوَفُني عَلَيكُم؟ إن يَخرُج وَأنا فيكُم فَأَنا حَجِيجُهُ دونَكُم، وإن يَخرُج وَلَستُ فيكُم فَامرُؤٌ حَجِيجُ نَفسِهِ وَاللّهُ خَلِيفَتي عَلىٰ كُلِّ مُسلِمٍ.**

إنَّهُ شابٌّ، قَطَطٌ، عَينُهُ طافِئَةٌ، كَأَنّي أُشَبِّهُهُ بِعَبدِ العُزَّىٰ بن قَطَنٍ، فَمَن أَدرَكَهُ مِنكُم فَلَيَقرَأ عَلَيهِ فَواتِحَ سُورَةِ الكَهفِ.

إنَّهُ خارِجٌ خَلَّةً بَينَ الشّامِ وَالعِراقِ، فَعاثَ يَميناً وعاثَ شِمالًا، يا عِبادَ اللّهِ فَاثبُتوا».

قُلنا: يا رسولَ اللّهِ، وما لَبثُهُ في الأَرضِ؟

قالَ: «**أَربَعونَ يَومًا، يومٌ كَسَنَةٍ، ويَومٌ كَشَهرٍ، وَيَومٌ كَجُمُعَةٍ، وَسائِرُ أيّامِهِ كَأَيّامِكُم**».

قُلنا: يا رسولَ اللّهِ، فَذَلِكَ اليومُ الّذي كَسَنَةٍ أَتكفينا فيهِ صَلاةُ يَومٍ؟

قالَ: «**لا، أُقدروا لَهُ قَدرَهُ**».

قُلنا: يا رسولَ اللّهِ، وما إسراعُهُ في الأَرضِ؟

قالَ: «**كالغَيثِ استَدبَرَتهُ الرِّيحُ، فَيَأتي عَلىٰ القَومِ فَيَدعوهُم فَيُؤمِنونَ بِهِ وَيَستَجيبونَ لَهُ، فَيَأمُرُ السّماءَ فَتُمطِرُ، والأَرضَ فَتُنبِتُ، فَتَروحُ عَلَيهِم سارِحَتُهُم أطولَ ما كانَت ذُرًا وأسبَغَهُ ضُروعًا وأمَدَّهُ خَواصِرَ.**

ثُمَّ يَأتي القَومَ فيَدعوهُم فيَرُدُّونَ عَلَيهِ قَولَهُ، فيَنصَرِفُ عَنهُم فيُصبِحُونَ مُمحِلِينَ لَيسَ بِأَيديهِم شَيءٌ مِن أموالِهِم، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فيَقولُ لَها أَخرِجي كُنوزَكِ، فتَتبَعُهُ كُنوزُها كيَعاسيبِ النَّحلِ.

ثُمَّ يَدعو رَجُلًا مُمتَلِئًا شَبابًا فيَضرِبُهُ بالسَّيفِ فيَقطَعُهُ جِزلَتَينِ رَميَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدعوهُ فيُقبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجهُهُ يَضحَكُ.

فَبَينَما هُوَ كذلِكَ إذ بَعَثَ اللّهُ المَسِيحَ بنَ مَريَمَ، فيَنزِلُ عِندَ المَنارَةِ البَيضاء شَرقِيَّ دِمَشقَ بَينَ مَهرودَتَينِ واضِعًا كَفَّيهِ عَلىٰ أجنِحَةِ مَلَكَينِ، إذا طَأطَأَ رَأسَهُ قَطَرَ، وإذا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنهُ جُمانٌ كاللُّؤلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكافِرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِهِ إلَّا ماتَ، وَنَفَسُهُ يَنتَهي حَيثُ يَنتَهي طَرفُهُ، فيَطلُبُهُ حَتّىٰ يُدرِكَهُ بِبابِ لُدٍّ فيَقتُلُهُ.

ثُمَّ يَأتي عيسىٰ بنَ مَريَمَ قَومٌ قَد عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ فيَمسَحُ عَن وُجُوهِهِم وَيُحَدِّثُهُم بِدَرَجاتِهِم في الجَنَّةِ.

فَبَينَما هُوَ كَذلِكَ إذ أَوحىٰ اللّهُ إلىٰ عيسىٰ أَنّي قَد أَخرَجتُ عِبادًا لي لا يَدانِ لأحَدٍ بِقِتالِهِم فَحَرِّز عِبادي إلىٰ الطُّورِ، ويَبعَثُ اللّهُ يَأجوجَ وَمَأجوجَ وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ، فيَمُرُّ أَوائِلُهُم عَلىٰ بُحَيرَةِ طَبَريّة فيَشرَبونَ ما فيها، وَيَمُرُّ آخِرُهُم فيَقولونَ لَقد كان بِهَذهِ مَرّةً ماءٌ، وَيُحصَرُ نَبِيُّ اللهِ عيسىٰ وأصحابُهُ، حَتّىٰ يَكونَ رَأسُ الثَّورِ لأحَدِهِم خيرًا مِن مِائَةِ دينارٍ لأحَدِكُمُ اليَوم.

فيَرغَبُ نَبِيُّ اللّهِ عيسىٰ وَأَصحابُهُ، فيُرسِلُ اللهُ عَلَيهِمُ النَّغَفَ في رِقابِهِم، فيُصبِحونَ فَرسىٰ كَمَوتِ نَفسٍ واحِدَةٍ، ثُمّ يَهبِطُ نَبِيُّ اللّهِ عيسىٰ وأصحابُهُ إلىٰ الأَرضِ فلا يَجِدونَ في الأرضِ مَوضِعَ شِبرٍ إلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُم ونَتَنُهُم.

فيَرغَبُ نَبِيُّ اللهِ عيسىٰ وَأَصحابُهُ إلىٰ اللهِ فيُرسِلُ اللّهُ طَيرًا كأَعناقِ البُختِ

فَتَحمِلُهُم فَتطرَحُهُم حَيثُ شاءَ اللهُ، ثُمّ يُرسِلُ اللّهُ مَطَرًا لا يَكُنّ مِنهُ بَيتُ مَدَرٍ ولا وبَرٍ، فَيَغسِلُ الأرضَ حَتّىٰ يَترُكَها كَالزَّلَفةِ، ثُمَّ يُقالُ لِلأَرضِ أَنبِتي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيومَئِذٍ تَأكُلُ العِصابَةُ مِنَ الرُّمانَةِ ويَستَظِلُّونَ بِقِحفِها ويُبارَكُ في الرِّسلِ، حَتّىٰ إنَّ اللِّقحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكفي الفِآمَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكفي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكفي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ.

فَبينَما هُم كَذَٰلِكَ إذ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأخُذُهم تَحتَ آباطِهِم فَتَقبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ وكُلِّ مُسلِمٍ، ويَبقىٰ شِرارُ النَّاسِ يَتَهارَجونَ فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيهِم تَقومُ السّاعَةُ».

وأخرج (٢٩٤٠): عَن عَبدَ اللهِ بنَ عَمرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَىٰ كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ: سُبحَانَ اللهِ أَو لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَو كَلِمَةً نَحوَهُمَا، لَقَد هَمَمتُ أَلا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلتُ: إِنَّكُم سَتَرَونَ بَعدَ قَلِيلٍ أَمرًا عَظِيمًا يُحَرَّقُ البَيتُ وَيَكُونُ وَيَكُونُ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمكُثُ أَربَعِينَ لَا أَدرِي أَربَعِينَ يَومًا أَو أَربَعِينَ شَهرًا أَو أَربَعِينَ عَامًا، فَيَبعَثُ اللهُ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ كَأَنَّهُ عُروَةُ بنُ مَسعُودٍ فَيَطلُبُهُ فَيُهلِكُهُ، ثُمَّ يَمكُثُ النَّاسُ سَبعَ سِنِينَ لَيسَ بَينَ اثنَينِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِن قِبَلِ الشَّأمِ فَلَا يَبقَىٰ عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ أَحَدٌ فِي قَلبِهِ مِثقَالُ ذَرَّةٍ مِن خَيرٍ أَو إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتهُ، حَتَّىٰ لَو أَنَّ أَحَدَكُم دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتهُ عَلَيهِ حَتَّىٰ تَقبِضَهُ».

قَالَ: سَمِعتُهَا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَيَبقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيرِ

وَأَحلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعرِفُونَ مَعرُوفًا وَلَا يُنكِرُونَ مُنكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُم الشَّيطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَستَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأمُرُنَا فَيَأمُرُهُم بِعِبَادَةِ الأَوثَانِ وَهُم فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزقُهُم حَسَنٌ عَيشُهُم.

ثُمَّ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَن يَسمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَصعَقُ وَيَصعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ أَو قَالَ يُنزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَو الظِّلُّ -نُعمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنبُتُ مِنهُ أَجسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنفَخُ فِيهِ أُخرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾.

قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ أَخرِجُوا بَعثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِن كَم؟ فَيُقَالُ: مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعَ مِائَةٍ وَتِسعَةً وَتِسعِينَ قَالَ: فَذَاكَ يَومَ يَجعَلُ الوِلدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَومَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ.

وعَن ثَوبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ أَمرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ**».

وعَن المُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَن يَزَالَ قَومٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ يَأتِيَهُم أَمرُ اللهِ وَهُم ظَاهِرُونَ**».

وعَن جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ، عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَن يَبرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيهِ عِصَابَةٌ مِن المُسلِمِينَ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

وعَن جَابِرَ بنَ عَبدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ**».

وعَن مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي**

قَائِمَةً بِأَمرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أَو خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ أَمرُ اللهِ وَهُم ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ».

وعَن عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ شِمَاسَةَ المَهرِيُّ قَالَ: كُنتُ عِندَ مَسلَمَةَ بنِ مُخَلَّدٍ وَعِندَهُ عَبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العَاصِ فَقَالَ عَبدُ اللهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ الخَلقِ هُم شَرٌّ مِن أَهلِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدعُونَ اللهَ بِشَيءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيهِم.

فَبَينَمَا هُم عَلَىٰ ذَلِكَ أَقبَلَ عُقبَةُ بنُ عَامِرٍ فَقَالَ لَهُ مَسلَمَةُ: يَا عُقبَةُ اسمَع مَا يَقُولُ عَبدُ اللهِ؛ فَقَالَ عُقبَةُ: هُوَ أَعلَمُ، وَأَمَّا أَنَا: فَسَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِن أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِم لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم حَتَّىٰ تَأتِيَهُم السَّاعَةُ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ»**.

فَقَالَ عَبدُ اللهِ: أَجَل ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ فَلَا تَترُكُ نَفسًا فِي قَلبِهِ مِثقَالُ حَبَّةٍ مِن الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتهُ، ثُمَّ يَبقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيهِم تَقُومُ السَّاعَةُ.

وعَن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَزَالُ أَهلُ الغَربِ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»**.

وعَن جَابِرَ بنَ عَبدِ اللهِ قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ، قَالَ فَيَنزِلُ عِيسَىٰ بنُ مَريَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُم تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعضَكُم عَلَىٰ بَعضٍ أُمَرَاءُ تَكرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»**.

عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتىٰ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: **«أمتهوكون فيها يا بن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم**

بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسىٰ ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني». أخرجه أحمد.

قال القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢ / ٦٤): فقال -عليه الصلاة والسلام- زجرًا له ولأمثاله: أمتهوكون أي: أمتحيرون في دينكم حتىٰ تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم.

أنتم: للتأكيد.

كما تهوكت اليهود والنصارىٰ أي: كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم.

لقد جئتكم: جواب قسم محذوف بها أي بالملة الحنيفية بقرينة الكلام.

بيضاء: أي واضحة حال من ضمير بها ففيه صفة بيضاء أي ظاهرة صافية خالصة خالية عن الشرك والشبهة.

وقيل: المراد بها أنها مصونة عن التبديل والتحريف والإصر والإغلال خالية عن التكاليف الشاقة؛ لأن في دين اليهود إخراج ربع مالهم زكاة وقطع موضع النجاسة بدلًا عن الغسل وغير ذلك، كتحتم القصاص في دين اليهود وتحتم الدية في دين النصارىٰ.

وأخر نقية لأنها صفة بيضاء، إذ يقال أبيض نقي دون العكس.

وقال الطيبي: بيضاء نقية حالان مترادفان من الضمير المفسر بالملة. اهـ

قيل: ووصف الملة بالبياض تنبيها علىٰ كرمها وفضلها وكرمها إفادتها كل ما يحتاج إليه لأن البياض لما كان أفضل لون عند العرب عبر به عن الكرم والفضل.

والحاصل: أنه -عليه الصلاة والسلام- أشار بذلك إلىٰ أنه أتاهم بالأعلىٰ

والأفضل واستبدال الأدنىٰ عنه مظنة للتحير، ولو كان موسىٰ حيًّا ما وسعه أي ما جاز له إلا إتباعي في الأقوال والأفعال، فكيف يجوز لكم أن تطلبوا فائدة من قومه مع وجودي؟

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية.

قال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله تعالىٰ نبيًّا آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد، وأخذ العهد علىٰ قومه ليؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه.

وهذا معنىٰ قول ابن عباس كذا في تفسير البغوي؛ فيكون التنكير في رسول للتعظيم فهو نبي الأنبياء وإمام الرسل ولذا قال: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة.

* وسطية الإسلام:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجواب الصحيح (٢ -١٣٥/ ١٦٥): إن المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون إلىٰ غلو ولا إلىٰ تقصير.

وأما اليهود والنصارىٰ فهم علىٰ طرفي نقيض، هؤلاء ينحرفون إلىٰ جهة وهؤلاء إلىٰ الجهة التي تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ، وكذلك تقابلهم في التحريم والتحليل والطهارة والنجاسة؛ فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون في اجتناب النجاسات حتىٰ إن الحائض لا يؤاكلونها ولا يساكنونها ولا يجامعونها[1]، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها

(١) يدل علىٰ ذلك حديث أنس ﷺ عند مسلم (٣٠٢)، أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة... الحديث.

ويستخرجون الدم من العروق إلىٰ غير ذلك من الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارىٰ ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئًا حرامًا ولا نجسًا إلا ما كرهه الإنسان بطبعه، ويصلون مع الجنابة والحدث وحمل النجاسات، ويأكلون الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير إلا من كره منهم شيئًا فتركه.

والمسلمون وسط كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: عدلًا خيارًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

ولهذا كان من انحرف من المسلمين إلىٰ شبه اليهود والنصارىٰ مأمورًا بترك ذلك الانحراف، واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، غير المغضوب عليهم كاليهود وغير الضالين كالنصارىٰ. .

وكذلك المسلمون وأهل السنة في المسلمين وكذلك في التوحيد، فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها، والنصارىٰ شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق

وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلا الله تبارك تعالىٰ.

فقال من قال من اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وهو بخيل، وقالوا: إنه خلق العالم فتعب فاستراح، وحكي عن بعضهم أنه قال: بكىٰ علىٰ الطوفان حتىٰ رمد وعادته الملائكة، وأنه ناح علىٰ بعض من أهلكه من عباده كما ينوح المصاب علىٰ ميته، وأمثال ذلك مما يتعالىٰ الله عنه ويتقدس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله، ويعصون أمره ويتعدون حدوده، ولا يجوزون له أن ينسخ ما شرعه، بل يحجرون عليه.

والنصارىٰ يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق؛ فيجعلونه رب العالمين خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء عليم وعلىٰ كل شيء قدير: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

واتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله، كما فعل عباد الأوثان كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:١٨].

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ [السجدة:٤٠].

والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، وينزهونه عن النقائص التي تمتنع علىٰ الخالق ولا يتصف بها إلا المخلوق.

فيصفونه بالحياة والعلم والقدرة والرحمة والعدل والإحسان، وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء.

ويعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شيء من صفات الكمال؛ فلا أحد يعلم كعلمه ولا يقدر كقدرته، ولا يرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه، ولا يبصر كبصره ولا يخلق كخلقه، ولا يستوي كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

ولا يصفون أحدًا من المخلوقين بخصائص الخالق جل جلاله، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير إليه عبد له، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء ويسأله كل أحد، وهو غني بنفسه لا يحتاج إلىٰ أحد في شيء من الأشياء كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٨٨-٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ

سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣].

وكذلك هم في المسيح؛ فالنصارىٰ يقولون هو الله، ويقولون أيضًا هو ابن الله، وهو إله تام وإنسان تام، واليهود يقولون هو ولد زنا وهو ابن يوسف النجار، ويقولون عن مريم إنها بغيٰ بعيسىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

وأما المسلمون: فيقولون هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول، وروح منه وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيه غلو النصارىٰ ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود.

وكذلك قولهم في سائر الأنبياء والمرسلين وفي أولياء الله؛ فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس والنصارىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ومع هذا فقد شارك النصارىٰ اليهود في نقص حق كثير من الأنبياء فيقولون

أن سليمان لم يكن نبيًّا، ويقولون إن الحواريين مثل موسىٰ وإبراهيم، ويقولون: إن من عمل بوصايا الله من غير الأنبياء صار مثل الأنبياء، وكان له أن يشرع شريعة وبعض اليهود غلوا في العزير حتىٰ قالوا إنه ابن الله.

ولهذا قال نبينا في الحديث الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله**».

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

وأيضًا فالإنجيل ليس فيه حكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، بل عامته مواعظ ووصايا وأخبار المسيح بخلاف التوراة والقرآن، فإن فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الإنجيل.

وأيضًا فإنه قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ﴾.

وذلك يقتضي أن الله هدىٰ الذين آمنوا بعد اختلاف الذين أوتوا الكتاب بغيًا بينهم لما اختلفوا فيه من الحق، وهذا ذم لمن أوتوا الكتاب فاختلفوا.

والنصارىٰ داخلون في هذا الذم ولو كان المراد الإنجيل لكانوا هم المذمومين دون غيرهم وليس كذلك، بل اليهود وغيرهم من المختلفين مذمومون أيضًا؛ وإنما الممدوح هم المؤمنون الذين هداهم الله لما اختلف أولئك فيه من الحق بإذنه.

وهذا يتناول أمة محمد قطعًا، وقد يتناول كل من آمن من الأمم المتقدمة كالذين كانوا علىٰ دين موسىٰ والمسيح وإبراهيم الخليل كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وأما أمة محمد فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأمم قبلهم من الحق بإذنه، وهذا بين فإنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل، وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى في التوحيد والأنبياء والأخبار والتشريع والنسخ والحلال والحرام والتصديق والتكذيب وغير ذلك.

أما التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص الذي يختص بها المخلوق، فقالوا: إن الله فقير وبخيل وإنه يتعب وغير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال الذي يختص بها الخالق؛ فقالوا عن المسيح: إنه خالق السموات والأرض القديم الأزلي علام الغيوب القادر على كل شيء، و اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله الآية.

والمسلمون هداهم الله لما اختلفوا فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال ونزهوه عن النقائص، وأقروا بأنه أحد ليس كمثله شيء وليس لَه كفوا أحد في شيء من صفات الكمال، فنزهوه عن النقائص خلافًا لليهود، وعن مماثلة المخلوق له خلافًا للنصارى.

وأما الأنبياء -عليهم السلام- فإن اليهود قتلوا بعضًا وكذبوا بعضًا كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

والنصارىٰ أشركوا بهم وبمن هو دونهم فعبدوا المسيح، بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وجعلوا الحواريين رسلًا لله، وزعموا أن الإنسان يصير بطاعته بمنزلة الأنبياء، وصوروا تماثيل الأنبياء والصالحين وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم، وإذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا وصوروا فيه تماثيلهم.

وفي الصحيحين: أن النبي ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**» .

وأما المسلمون فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه فآمنوا بأنبياء الله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارىٰ، ولا قصروا في حقهم تقصير اليهود.

وكذلك قتل اليهود الذين يأمرون بالقسط من الناس والنصارىٰ يطيعون من يأمر بالشرك، وإن الشرك لظلم عظيم ويطيعون من يحرم الحلال ويحلل الحرام، والمسلمون يطيعون من يأمر بطاعة الله ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله، والنصارىٰ فيهم الشرك بالله واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال تعالىٰ في النصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقال في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقًا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقًا تَقۡتُلُونَ﴾.

والإسلام هو أن يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما أمره، به فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فلهذا كان جميع الأنبياء وأممهم مسلمين لله يعبدونه وحده بما أمرهم به وإن تنوعت شرائعهم؛ فالمسيح لم يزل مسلمًا لما كان متبعًا لشرع التوراة، ولما نسخ الله له نسخة منها ومحمد لم يزل مسلمًا لما كان يصلي إلىٰ بيت المقدس ثم لما صلىٰ إلىٰ الكعبة، ولما بعثه الله إلىٰ الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته، فمن لم يطعه لم يكن عابدًا لله فلم يكن مسلمًا.

وأما التشريع: فإن اليهود زعموا أن ما أمر الله به يمتنع منه أن ينسخه، والنصارىٰ زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه فهدىٰ الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق، فقالوا إن الله سبحانه له أن ينسخ ما شرعه خلافًا لليهود، وليس للمخلوق أن يغير شيئًا من شرع الخالق خلافًا للنصارىٰ.

وأما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة: فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وشددت عليهم من أمر النجاسات حتىٰ منعوا من مؤاكلة الحائض والجلوس معها في بيت، ومن إزالة النجاسة وحرم عليهم شحم الثرب والكليتين وكل ذي ظفر وغير ذلك، والمسيح عليه السلام أحل لهم بعض الذي حرم عليهم.

فقابلهم النصارىٰ فقالوا ليس شيء محرم لا الخنزير ولا غيره، بل ولا شيء نجس لا البول ولا غيره، وزعموا أن بعض أكابرهم رأىٰ ملاءة صور له فيها صور الحيوان، وقيل له كل ما طابت نفسك ودع ما تكره، وأنه أبيح لهم جميع الحيوان

ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك، فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم، فهدىٰ الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق فأحل لهم الله الطيبات وحرم عليهم الخبائث وأزال عنهم الآصار والأغلال التي كانت علىٰ بني إسرائيل خلافًا لليهود، وأمرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافًا للنصارىٰ.

والمسيح عليه السلام جعلته اليهود ولد زنا كذابًا ساحرًا، وجعلته النصارىٰ هو الله خالق السموات والأرض، فهدىٰ الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فشهدوا أنه عبد الله مخلوق خلافًا للنصارىٰ، وأنه رسول وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين خلافًا لليهود.

وأما التصديق والتكذيب: فإن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق والنصارىٰ من شأنهم التصديق بالباطل، فإن اليهود كذبوا من كذبوه من الأنبياء وقد جاءوا بالحق كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

والنصارىٰ يصدقون بمحالات العقول والشرائع كما صدقوا بالتثليث والاتحاد ونحوهما من الممتنعات.

* فضل النبي ﷺ علىٰ جميع الرسل وذكر طرف من فضائله:

من المعلوم أن رسول الله ﷺ هو دعوة إبراهيم عليه السلام؛ حيث قال ربنا مخبرًا عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

وهو بشارة عيسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

وفي حديث عَبدِ اللهِ بن عَمرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما عند البخاري أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ التي في القُرآنِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٥] قَالَ في التَّورَاةِ: «**يَا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرسَلنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنتَ عبدي ورسولي سَمَّيتُكَ المُتوَكِّلَ لَيسَ بِفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ ولَا سَخَّابٍ بِالأَسوَاقِ وَلَا يَدفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِن يَعفُو وَيَصفَحُ وَلَن يَقبِضَهُ اللهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوجَاءَ بِأَن يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَفتَحَ بِهَا أَعيُنًا عُميًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلفًا**».

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلتُ عَلَىٰ الأَنبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ طَهُورًا وَمَسجِدًا، وَأُرسِلتُ إِلَىٰ الخَلقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**». أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

وعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ الأَنصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعطَهُنَّ أَحَدٌ قَبلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبعَثُ إِلَىٰ قَومِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحمَرَ وَأَسوَدَ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ وَلَم تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبلِي، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدرَكَتهُ الصَّلَاةُ صَلَّىٰ حَيثُ كَانَ، وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ بَينَ يَدَي مَسِيرَةِ شَهرٍ وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ**» . أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

وعَن حُذَيفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فُضِّلنَا عَلَىٰ النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَت صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ وَجُعِلَت لَنَا الأَرضُ كُلُّهَا مَسجِدًا، وَجُعِلَت تُربَتُهَا**

لَنا طَهُورًا إِذَا لَم نَجِد المَاءَ وَذَكَرَ خَصلَةً أُخرَىٰ». أخرجه مسلم (٥٢٢)

وفي رواية قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «بُعِثتُ بِجَوامِعِ الكَلِمِ وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ وَبَينَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرضِ فَوُضِعَت بَينَ يَدَيَّ».

وعَن ثَوبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الأَرضَ فَرَأَيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنهَا، وَأُعطِيتُ الكَنزَينِ الأَحمَرَ وَالأَبيَضَ، وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَّا يُهلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن سِوَىٰ أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعطَيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهلِكَهُم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن سِوَىٰ أَنفُسِهِم يَستَبِيحُ بَيضَتَهُم وَلَو اجتَمَعَ عَلَيهِم مَن بِأَقطَارِهَا أَو قَالَ مَن بَينَ أَقطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعضُهُم يُهلِكُ بَعضًا وَيَسبِي بَعضُهُم بَعضًا». أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

وعن بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت بالسيف حتىٰ يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم». أخرجه أحمد.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحمٍ فَرُفِعَ إِلَيهِ الذِّرَاعُ وَكَانَت تُعجِبُهُ فَنَهَشَ مِنهَا نَهشَةً ثُمَّ قَالَ : «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ وَهَل تَدرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسمِعُهُم الدَّاعِي وَيَنفُذُهُم البَصَرُ، وَتَدنُو الشَّمسُ فَيَبلُغُ النَّاسَ مِن الغَمِّ وَالكَربِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَونَ مَا قَد بَلَغَكُم أَلَا تَنظُرُونَ مَن يَشفَعُ لَكُم إِلَىٰ رَبِّكُم؟

فَيَقُولُ بَعضُ النَّاسِ لِبَعضٍ عَلَيكُم بِآدَمَ فَيَأتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنتَ

أَبُو البَشَرِ خلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَد بَلَغنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ وَإِنَّهُ قَد نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيتُهُ نَفسِي نَفسِي نَفسِي اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي اذهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.

فَيَأتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهلِ الأَرضِ وَقَد سَمَّاكَ اللهُ عَبدًا شَكُورًا اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي ﷻ قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ وَإِنَّهُ قَد كَانَت لِي دَعوَةٌ دَعَوتُهَا عَلَىٰ قَومِي نَفسِي نَفسِي نَفسِي اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي اذهَبُوا إِلَىٰ إِبرَاهِيمَ.

فَيَأتُونَ إِبرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبرَاهِيمُ أَنتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِن أَهلِ الأَرضِ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُم إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ وَإِنِّي قَد كُنتُ كَذَبتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ نَفسِي نَفسِي نَفسِي اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي اذهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ.

فَيَأتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَىٰ أَنتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ وَإِنِّي قَد قَتَلتُ نَفسًا لَم أُومَر بِقَتلِهَا نَفسِي نَفسِي نَفسِي اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي اذهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ.

فَيَأتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ يَا عِيسَىٰ أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ وَكَلَّمتَ النَّاسَ فِي المَهدِ صَبِيًّا اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ

فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَىٰ إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ قَطُّ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ وَلَم يَذكُر ذَنبًا نَفسِي نَفسِي نَفسِي اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي اذهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ.

فَيَأتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنبِيَاءِ وَقَد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ، فَأَنطَلِقُ فَآتِي تَحتَ العَرشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وَحُسنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِ شَيئًا لَم يَفتَحهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارفَع رَأسَكَ سَل تُعطَه وَاشفَع تُشَفَّع فَأَرفَعُ رَأسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدخِل مِن أُمَّتِكَ مَن لَا حِسَابَ عَلَيهِم مِن البَابِ الأَيمَنِ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ وَهُم شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِن الأَبوَابِ

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَينَ المِصرَاعَينِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَينَ مَكَّةَ وَحِميَرَ أَو كَمَا بَينَ مَكَّةَ وَبُصرَىٰ». أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٤٩).

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَن يَنشَقُّ عَنهُ القَبرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

وعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا فَأَكمَلَهَا وَأَحسَنَهَا إِلَّا مَوضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَولَا مَوضِعُ اللَّبِنَةِ». أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، وأخرجه مسلم (٢٢٨٧).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِن قَبلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيتًا فَأَحسَنَهُ وَأَجمَلَهُ إِلَّا مَوضِعَ لَبِنَةٍ مِن زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ

يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَت هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

ومن فضائله: أنه صاحب الحوض المورود.

عن جندب قال: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوضِ**». أخرجه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).

وعن سهل بن سعد قال: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوضِ مَن وَرَدَ شَرِبَ وَمَن شَرِبَ لَم يَظمَأ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقوَامٌ أَعرِفُهُم وَيَعرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَينِي وَبَينَهُم**». أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).

وعن عَبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوضِي مَسِيرَةُ شَهرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبيَضُ مِن الوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطيَبُ مِن المِسكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَا يَظمَأُ بَعدَهُ أَبَدًا**». أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وعن أَسمَاءُ بِنتُ أَبِي بَكرٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنِّي عَلَىٰ الحَوضِ حَتَّىٰ أَنظُرَ مَن يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُم وَسَيُؤخَذُ أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِن أُمَّتِي فَيُقَالُ أَمَا شَعَرتَ مَا عَمِلُوا بَعدَكَ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعدَكَ يَرجِعُونَ عَلَىٰ أَعقَابِهِم**» قَالَ: فَكَانَ ابنُ أَبِي مُلَيكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَن نَرجِعَ عَلَىٰ أَعقَابِنَا أَو أَن نُفتَنَ عَن دِينِنَا. أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُبَيدِ اللهِ بنِ أَبِي مُلَيكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَينَ ظَهرَانَي أَصحَابِهِ : «**إِنِّي عَلَىٰ الحَوضِ أَنتَظِرُ مَن يَرِدُ**

عَلَيَّ مِنكُم فَوَاللهِ لَيُقتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلأَقُولَنَّ أَي رَبِّ مِنِّي وَمِن أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدرِي مَا عَمِلُوا بَعدَكَ مَا زَالُوا يَرجِعُونَ عَلَىٰ أَعقَابِهِم». أخرجه مسلم (٢٢٩٤).

وعَن أُمِّ سَلَمَةَ زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَت: كُنتُ أَسمَعُ النَّاسَ يَذكُرُونَ الحَوضَ وَلَم أَسمَع ذَلِكَ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يومًا مِن ذَلِكَ وَالجَارِيَةُ تَمشُطُنِي فَسَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**أَيُّهَا النَّاسُ**» فَقُلتُ لِلجَارِيَةِ استَأخِرِي عَنِّي قَالَت: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَم يَدعُ النِّسَاءَ، فَقُلتُ إِنِّي مِنَ النَّاسِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَكُم فَرَطٌ عَلَىٰ الحَوضِ فَإِيَّايَ لَا يَأتِيَنَّ أَحَدُكُم فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ البَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ فِيمَ هَذَا فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ فَأَقُولُ سُحقًا**». أخرجه مسلم (٢٢٩٥).

وعَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يومًا فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَىٰ المَيِّتِ ثُمَّ انصَرَفَ إِلَىٰ المِنبَرِ فَقَالَ : «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُم وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيكُم وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنظُرُ إِلَىٰ حَوضِي الآنَ، وَإِنِّي قَد أُعطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرضِ أَو مَفَاتِيحَ الأَرضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيكُم أَن تُشرِكُوا بَعدِي وَلَكِن أَخَافُ عَلَيكُم أَن تَتَنَافَسُوا فِيهَا**». البخاري(٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

وعَن عَبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوضِ وَلَأُنَازِعَنَّ أَقوَامًا ثُمَّ لَأُغلَبَنَّ عَلَيهِم، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصحَابِي أَصحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ**». البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧).

وعَن حَارِثَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ حَوضُهُ مَا بَينَ صَنعَاءَ وَالمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ المُستَورِدُ أَلَم تَسمَعهُ؟ قَالَ: الأَوَانِي، قَالَ لَا فَقَالَ المُستَورِدُ تُرَىٰ فِيهِ الآنِيَةُ مِثلَ الكَوَاكِبِ. البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).

وعَن ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ أَمَامَكُم حَوضًا مَا بَينَ نَاحِيَتَيهِ كَمَا بَينَ جَربَاءَ وَأَذرُحَ**». البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ الصَّامِتِ عَن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الحَوضِ؟ قَالَ : «**وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكثَرُ مِن عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيلَةِ المُظلِمَةِ المُصحِيَةِ آنِيَةُ الجَنَّةِ، مَن شَرِبَ مِنهَا لَم يَظمَأ آخِرَ مَا عَلَيهِ يَشخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِن الجَنَّةِ مَن شَرِبَ مِنهُ لَم يَظمَأ، عَرضُهُ مِثلُ طُولِهِ مَا بَينَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيلَةَ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَنِ وَأَحلَىٰ مِن العَسَلِ**». أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

وعَن ثَوبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِنِّي لَبِعُقرِ حَوضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهلِ اليَمَنِ أَضرِبُ بِعَصَايَ حَتَّىٰ يَرفَضَّ عَلَيهِم**»، فَسُئِلَ عَن عَرضِهِ فَقَالَ : «**مِن مَقَامِي إِلَىٰ عَمَّانَ**»، وَسُئِلَ عَن شَرَابِهِ فَقَالَ : «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَنِ وَأَحلَىٰ مِن العَسَلِ يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِن الجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِن ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِن وَرِقٍ**». أخرجه مسلم (٢٣٠١).

ومنها: أنه صاحب المقام المحمود.

فَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «نَعَم، قَالَ هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحوًا لَيسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَل تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ صَحوًا لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ؟».

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ : «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَومَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِع كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَت تَعبُدُ فَلَا يَبقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعبُدُ غَيرَ اللهِ سُبحَانَهُ مِن الأَصنَامِ وَالأَنصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يَبقَ إِلَّا مَن كَانَ يَعبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهلِ الكِتَابِ، فَيُدعَىٰ اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُم مَا كُنتُم تَعبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعبُدُ عُزَيرَ ابنَ اللهِ فَيُقَالُ كَذَبتُم مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبغُونَ قَالُوا عَطِشنَا يَا رَبَّنَا فَاسقِنَا فَيُشَارُ إِلَيهِم أَلَا تَرِدُونَ فَيُحشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحطِمُ بَعضُهَا بَعضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يُدعَىٰ النَّصَارَىٰ فَيُقَالُ لَهُم مَا كُنتُم تَعبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعبُدُ المَسِيحَ ابنَ اللهِ فَيُقَالُ لَهُم كَذَبتُم مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيُقَالُ لَهُم مَاذَا تَبغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشنَا يَا رَبَّنَا فَاسقِنَا قَالَ فَيُشَارُ إِلَيهِم أَلَا تَرِدُونَ فَيُحشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحطِمُ بَعضُهَا بَعضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

حَتَّىٰ إِذَا لَم يَبقَ إِلَّا مَن كَانَ يَعبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِن بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُم رَبُّ العَالَمِينَ ﷻ فِي أَدنَىٰ صُورَةٍ مِن الَّتِي رَأَوهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنتَظِرُونَ تَتبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَت تَعبُدُ قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقنَا النَّاسَ فِي الدُّنيَا أَفقَرَ مَا كُنَّا إِلَيهِم وَلَم نُصَاحِبهُم، فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُم فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللهِ مِنكَ لَا نُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا مَرَّتَينِ أَو ثَلَاثًا ،حَتَّىٰ إِنَّ بَعضَهُم لَيَكَادُ أَن يَنقَلِبَ.

فَيَقُولُ: هَل بَينَكُم وَبَينَهُ آيَةٌ فَتَعرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم فَيُكشَفُ عَن سَاقٍ فَلَا يَبقَىٰ مَن كَانَ يَسجُدُ لِلَّهِ مِن تِلقَاءِ نَفسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبقَىٰ مَن

كَانَ يَسجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جعَلَ اللهُ ظَهرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَن يَسجُدَ خرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرفَعُونَ رُءُوسَهُم وَقَد تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُم فَيَقُولُونَ أَنتَ رَبُّنَا.

ثُمَّ يُضرَبُ الجِسرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الجِسرُ قَالَ دَحضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجدٍ فِيهَا شُوَيكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعدَانُ، فَيَمُرُّ المُؤمِنُونَ كَطَرفِ العَينِ وَكَالبَرقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيرِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخدُوشٌ مُرسَلٌ وَمَكدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ المُؤمِنُونَ مِن النَّارِ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي استِقصَاءِ الحَقِّ مِن المُؤمِنِينَ لِلَّهِ يَومَ القِيَامَةِ لِإِخوَانِهِم الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُم أَخرِجُوا مَن عَرَفتُم فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُم عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخرِجُونَ خَلقًا كَثِيرًا قَد أَخَذَت النَّارُ إِلَىٰ نِصفِ سَاقَيهِ وَإِلَىٰ رُكبَتَيهِ.

ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّن أَمَرتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارجِعُوا فَمَن وَجَدتُم فِي قَلبِهِ مِثقَالَ دِينَارٍ مِن خَيرٍ فَأَخرِجُوهُ فَيُخرِجُونَ خَلقًا كَثِيرًا.

ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَم نَذَر فِيهَا أَحَدًا مِمَّن أَمَرتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارجِعُوا فَمَن وَجَدتُم فِي قَلبِهِ مِثقَالَ نِصفِ دِينَارٍ مِن خَيرٍ فَأَخرِجُوهُ فَيُخرِجُونَ خَلقًا كَثِيرًا.

ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَم نَذَر فِيهَا مِمَّن أَمَرتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارجِعُوا فَمَن وَجَدتُم فِي قَلبِهِ مِثقَالَ ذَرَّةٍ مِن خَيرٍ فَأَخرِجُوهُ فَيُخرِجُونَ خَلقًا كَثِيرًا.

ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَم نَذَر فِيهَا خَيرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ يَقُولُ: إِن لَم

تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ فَاقرَءُوا إن شِئتُم: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظلِمُ مِثقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفهَا وَيُؤتِ مِن لَدُنهُ أَجرًا عَظِيمًا ﴾.

«فَيَقُولُ اللهُ ﷻ شَفَعَت المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المُؤمِنُونَ وَلَم يَبقَ إِلَّا أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقبِضُ قَبضَةً مِن النَّارِ فَيُخرِجُ مِنهَا قَومًا لَم يَعمَلُوا خَيرًا قَطُّ قَد عَادُوا حُمَمًا فَيُلقِيهِم فِي نَهَرٍ فِي أَفوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخرُجُونَ كَمَا تَخرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ أَلَا تَرَونَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الحَجَرِ أَو إِلَىٰ الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمسِ أُصَيفِرُ وَأُخَيضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبيَضَ».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّكَ كُنتَ تَرعَىٰ بِالبَادِيَةِ.

قَالَ: «فَيَخرُجُونَ كَاللُّؤلُؤِ فِي رِقَابِهِم الخَوَاتِمُ يَعرِفُهُم أَهلُ الجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدخَلَهُم اللهُ الجَنَّةَ بِغَيرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ ادخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيتُمُوهُ فَهُوَ لَكُم فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعطَيتَنَا مَا لَم تُعطِ أَحَدًا مِن العَالَمِينَ فَيَقُولُ لَكُم عِندِي أَفضَلُ مِن هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيءٍ أَفضَلُ مِن هَذَا فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسخَطُ عَلَيكُم بَعدَهُ أَبَدًا».

وعن جابر عند مسلم (١٩١)، وفيه: فإنه مقام.

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١٦٦): قَولُهُ: (وَهُوَ المَبعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الجِنِّ وَكَافَّةِ الوَرَىٰ، بِالحَقِّ وَالهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ).

ش: أَمَّا كَونُهُ مَبعُوثًا إِلَىٰ عَامَّةِ الجِنِّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَن قَولِ الجِنِّ: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ وَكَذَا سُورَةُ الجِنِّ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ أُرسِلَ إِلَيهِم أَيضًا.

قَالَ مُقَاتِلٌ: لَم يَبعَثِ اللهُ رَسُولًا إِلَىٰ الإِنسِ وَالجِنِّ قَبلَهُ.

وَهَذَا قَولٌ بَعِيدٌ؛ فَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ

مِّنكُمۡ ﴾، وَالرُّسُلُ مِنَ الإِنسِ فَقَط، وَلَيسَ مِنَ الجِنِّ رَسُولٌ، كَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيرُهُ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: الرُّسُلُ مِن بَنِي آدَمَ، وَمِنَ الجِنِّ نُذُرٌ.

وَظَاهِرُ قَولِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنِ الجِنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُوسَىٰ مُرسَلٌ إِلَيهِم أَيضًا. وَاللهُ أَعلَمُ.

وَحَكَىٰ ابنُ جَرِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ: أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ فِي الجِنِّ رُسُلًا، وَاحتَجَّ بِهَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ.

وَفِي الِاستِدلَالِ بِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهَا مُحتَمَلَةٌ وَلَيسَت بِصَرِيحَةٍ، وَهِيَ -وَاللهُ أَعلَمُ- كَقَولِهِ: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ وَالمُرَادُ: مِن أَحَدِهِمَا.

وَأَمَّا كَونُهُ مَبعُوثًا إِلَىٰ كَافَّةِ الوَرَىٰ، فَقَد قَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أَي: وَأُنذِرَ مَن بَلَغَهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾، الآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾.

وَقَالَ ﷺ: «**أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنبِيَاءِ قَبلِي: نُصِرتُ**

بِالرُّعبِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدرَكَتهُ الصَّلَاةُ فَليُصَلِّ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ، وَلَم تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبلِي، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَىٰ قَومِهِ خَاصَّةً وَبُعِثتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً»، أَخرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَينِ.

وَقَالَ ﷺ: «**لَا يَسمَعُ بِي رَجُلٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»، رَوَاهُ مُسلِمٌ.

وَكَونُهُ ﷺ مَبعُوثًا إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً مَعلُومٌ مِن دِينِ الإِسلَامِ بِالضَّرُورَةِ.

وَأَمَّا قَولُ بَعضِ النَّصَارَىٰ أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَىٰ العَرَبِ خَاصَّةً، فَظَاهِرُ البُطلَانِ، فَإِنَّهُم لَمَّا صَدَّقُوا بِالرِّسَالَةِ لَزِمَهُم تَصدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا يُخبِرُ بِهِ، وَقَد قَالَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً، وَالرَّسُولُ لَا يَكذِبُ، فَلَزِمَ تَصدِيقُهُ حَتمًا، فَقَد أَرسَلَ رُسُلَهُ وَبَعَثَ كُتُبَهُ فِي أَقطَارِ الأَرضِ إِلَىٰ كِسرَىٰ وَقَيصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ وَالمُقَوقِسِ وَسَائِرِ مُلُوكِ الأَطرَافِ، يَدعُو إِلَىٰ الإِسلَامِ.

وهو أول من يدخل الجنة وأول من يستفتح؛ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَكثَرُ الأَنبِيَاءِ تَبَعًا يَومَ القِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَن يَقرَعُ بَابَ الجَنَّةِ**».

وقَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ لَم يُصَدَّق نَبِيٌّ مِن الأَنبِيَاءِ مَا صُدِّقتُ وَإِنَّ مِن الأَنبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِن أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**». أخرجه مسلم (١٩٧).

وعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَستَفتِحُ فَيَقُولُ الخَازِنُ مَن أَنتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرتُ لَا أَفتَحُ لِأَحَدٍ قَبلَكَ**». أخرجه مسلم (١٩٧).

عَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ يَدعُوهَا فَأُرِيدُ أن أَختَبِئَ دَعوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ**». أخرج البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٩).

عَن أَنَس بن مَالِكٍ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ وَإِنِّي اختَبَأتُ دَعوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ**». أخرجه مسلم (٢٠٠).

عَن جَابِرَ بنَ عَبدِ اللهِ قَالَ: عَن النَّبِيِّ ﷺ : «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ قَد دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَخَبَأتُ دَعوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ**». أخرجه مسلم (٢٠١).

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، وقطرة من مطرة، من فضائل هذا النبي الأعظم ﷺ.

*** طرق العلم بنبوة محمد ﷺ:**

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في الجواب الصحيح [٥-١٦٠/ ١٩٥]، بتصرف واختصار:

فصل:

ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره.

الثاني: إخبار من وقف علىٰ تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم ومن لم يسلم بما وجدوه من ذكره فيها.

وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وأنه رسول الله وأنه موجود عندهم، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلىٰ الإيمان به لما دعاهم إلىٰ الإسلام حتىٰ آمن الأنصار به وبايعوه من غير رهبة

ولا رغبة؛ ولهذا قيل إن المدينة فتحت بالقرآن لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها.

ومثل ما تواتر عن أخبار النصارىٰ بوجوده في كتبهم مثل أخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر صاحب الاسكندرية والنجاشي ملك الحبشة والذين جاءوه بمكة.

وقد ذكر الله ذلك في القرآن في قوله عن اليهود: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ورویٰ ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري عن رجال من قومه قالوا: ومما دعانا إلىٰ الإسلام مع رحمة الله وهداه أنا كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل الكتاب عندهم علم ليس عندنا.

وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله رسولًا من عند الله أجبنا حين دعانا إلىٰ الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات التي في البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب لما حدثه

عن هرقل وقد تقدم حديثه في أول الكتاب، وذكر فيه أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله قال: إن يكن ما تقول حقًّا أنه نبي قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

وزاد البخاري في حديثه وقال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فنظر فقال: إن ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة قال تختتن اليهود فلا يهمنك شأنهم، وابعث إلىٰ من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم.

ثم وجد إنسانًا من العرب فقال انظروا أمختتن هو فنظروا فإذا هو مختتن وسأله عن العرب فقال يختتنون وقال فيه وكان برومية صاحب له كان هرقل نظيره في العلم، فأرسل إليه وصار إلىٰ حمص فلم يرم من حمص حتىٰ أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه علىٰ خروج النبي وأنه نبي.

وكذلك النجاشي ملك الحبشة لما هاجر الصحابة إليه لما آذاهم المشركون وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم وقرءوا عليه القرآن، قال فأخذا عودًا بين أصبعيه فقال ما عدا عيسىٰ بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته فقال: وإن نخرتم اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يعني أنتم آمنون.

وقال هذا لأن قريشًا أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا هؤلاء فارقوا ديننا وخالفوا دينك.

وفي الصحيح حديث ورقة بن نوفل الذي ترويه عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة من النوم، وكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار

حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد...

إلىٰ أن قالت: فأتت به خديجة ورقة بن نوفل وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، فقال اسمع من ابن أخيك فأخبره رسول الله خبر ما رأىٰ فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله علىٰ موسىٰ ليتني كنت جذعًا أنصرك إذ يخرجك قومك ،قال أو مخرجي هم؟ قال: لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي...

والوجه الثالث: نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة واستشهاده بأهل الكتاب وإخباره بأنه مذكور في كتبهم، مما يدل العاقل علىٰ أنه كان موجودًا في كتبهم فإنه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر أنه كان من أعقل أهل الأرض، فإن المكذبين له لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم الذي لم يحصل لأحد مثله لا قبله ولا بعده.

فعلم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبر به وهو من أحرص الناس علىٰ تصديقه وأخبرهم بالطرق التي يصدق بها وأبعدهم عن أن يفعل ما يعلم أنه يكذب به فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، بل علم انتفاء ذلك لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه، فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلًا، لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم عند من يخبرونه وهو ضد مقصوده.

وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود علىٰ حقه فيأتي إلىٰ من يعلم أنه لا يكذب

ويعلم أنه ليس بشاهد ولا حضر قضيته ويقول هذا يشهد لي وهذا يشهد لي فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية فيقول أولئك لسنا نشهد له ولا حضرنا هذه القضية، فهذا لا يفعله عاقل يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين وأنهم يكذبونه ولا يشهدون له.

الرابع: أن يقال لما قامت الأعلام علىٰ صدقه فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة وأن الأنبياء بشروا به، علم أن الأمر كذلك لكن هذا لا يذكر إلا بعد أن يقام دليل منفصل علىٰ نبوته، والطريق الأول هو من أظهر الحجج علىٰ أهل الكتاب وأظهر الأعلام علىٰ نبوته.

الوجه الخامس: أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث حدث في الأرض فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه، فإن شرع موسىٰ وإن دام فلم ينتشر انتشاره ودوامه، بل كان غاية ظهوره ببعض الشام.

وأما شرع المسيح فقبل قسطنطين لم يكن له ملك بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها وكانوا مستضعفين تقتل أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات، ولما انتشر تفرق أهله فرقًا متباينة يكفر فيها بعضهم بعضًا.

ثم إن شرع محمد ظهر في مشارق الأرض ومغاربها وفي وسط الأرض المعمورة الإقليم الثالث والرابع والخامس، وظهرت أمته علىٰ النصارىٰ في أفضل الأرض وأجلها عندهم كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها، ودام شرعه فله اليوم أكثر من سبعمائة سنة.

ومعلوم أن هذا المدعىٰ للنبوة سواء كان صادقًا أو كاذبًا لابد أن يخبر به الأنبياء فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذيرًا للناس مع أن الدجال مدته

قليلة، فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقًّا وأنه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال، فلو كان كاذبًا لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال.

فكان التحذير منه أولىٰ من التحذير من الدجال إذ ليس في العالم من زمان آدم إلىٰ اليوم كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام فكيف تغفل الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذبًا، وإذا كان صادقًا فالبشارة للإيمان به أولىٰ ما يبشر به الأنبياء من المستقبلات ويخبر به.

فعلم أنه لابد أن يكون في الكتب ذكره، ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد علىٰ مائة موضع استدلوا بها علىٰ أنه مذكور، وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم، وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب إسلامهم أو من أعظم سبب إسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة، إما بأنه وجد ذكره في الكتب كحال كثير ممن أسلم قديمًا وحديثًا، وإما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب كالأنصار.

فإنه كان من أعظم أسباب إسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم إياه وأن من خيارهم من لم يوجب له أن يسكن أرض يثرب مع شدتها ويدع أرض الشام مع رخائها إلا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد إسماعيل، ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره وعدلهم وسيرتهم عن المسيح وغيره ما هو معروف عندهم.

فإذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء، علم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ولم يذكروه بذمٍّ ولا عيب.

وكل من ادعىٰ النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه لم يكن إلا صادقًا في دعوىٰ النبوة؛ إذ يمتنع أن الأنبياء يثنون علىٰ من يكذب في دعوىٰ النبوة، ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، وهذا مما يبين أنه لابد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به وأنهم لم يذكروه إلا بالثناء والمدح لا بالذم والعيب، وذلك مع دعوىٰ النبوة لا يكون إلا إذا كان صادقًا في دعوىٰ النبوة.

فتبين أنهم بشروا بنبوته وهو المطلوب يبين ذلك أن الأنبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من الأحداث وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ويخربون بلادهم ويسبونهم كـ: بخت نصر وسنجاريب، ولكن هؤلاء الملوك لم يدعوا أنهم أنبياء ولم يدعوا إلىٰ دين، فلم تحتج الأنبياء إلىٰ التحذير من اتباعهم، وقد حذروا من اتباع من يدعي النبوة وهو كاذب.

ومحمد قد قهر أهل الكتاب وقتل من قتل وسبىٰ من سبىٰ وأخرجهم من ديارهم فلابد أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجري عليهم في أيامه، وإذا كان كاذبًا مدعيًا للنبوة فلابد أن يحذرهم من اتباعه.

ومعلوم أن عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم إما أن يقول ليس موجودًا في كتبنا أو يقول إنه موجود بالمدح والثناء، لا يمكن أحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير، ولو كان مذكورًا عندهم بالذم والتحذير

لكان من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته وعلىٰ أمته بعد مماته ويحتج به من لم يسلم منهم علىٰ من أسلم.

فإنه معلوم أن كثيرًا من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه والحرص علىٰ إبطال أمره ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد وينسبوا إليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره، حتىٰ آل الأمر ببعضهم إلىٰ أن فسروا قول المسلمين الله أكبر بأن أكبر صنم، وأن النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم، وقال بعضهم فيه إنه أوجب الزنا علىٰ المرأة المطلقة ثلاثًا عقوبة لزوجها بأنه لا ينكحها حتىٰ يزني بها غيره.

وقال بعضهم إنه تعلم من بحيرىٰ الراهب مع علم كل من عرف سيرته أنه لم يجتمع ببحيرىٰ وحده ولم يره إلا بعض نهار مع أصحابه لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة، وأن بحيرىٰ سألهم عنه ولم يكلمه إلا كلمات يستخبره فيها عن حاله لم يخبره بشيء.

ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بأنه بعث بالسيف حتىٰ قد يقولوا إنما قام دينه بالسيف، وحتىٰ يوهموا الناس أن الذين اتبعوه إنما اتبعوه خوفًا من السيف وحتىٰ يقولوا إن الخطيب إنما يتوكأ علىٰ سيف يوم الجمعة، إشارة إلىٰ أنه إنما يقوم الدين بالسيف إلىٰ أمثال هذه الأمور التي هي من أظهر الأمور كذبًا عليه يعرف أدنىٰ الناس معرفة بحاله أنها كذب، وهم مع هذا يتشبثون بها.

فلو كان عندهم أخبار عن الأنبياء توجب ذمه والتحذير من متابعته لكان إظهارهم لذلك واحتجاجهم به أقوىٰ وأبلغ، وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم قديمًا وحديثًا، وكان ظهور ذلك فيهم أولىٰ من

ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين، فإن هذا الأمر من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي علىٰ نقله واشتهاره.

فإذا لم يكن كذلك علم أنه ليس في كتب الأنبياء ما يوجب تكذيبه وقد قام الدليل علىٰ أنه لابد من أن تذكره الأنبياء وتخبر بحاله، فإذا لم يخبروا أنه كاذب علم أنهم أخبروا أنه نبي صادق كما شاع ذلك وظهر واستفاض من وجوه كثيرة، فالكتاب الذي بعث به مملوء بشهادة الكتب له والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل علىٰ صدقه في دعوىٰ النبوة، وليس فيها ما يخبر بكذبه والتحذير منه وهذا هو المطلوب.

وفي الجملة أمره أظهر وأشهر وأعجب وأبهر وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر، ومثل هذا إذا كان كاذبًا فلكذبه لوازم كثيرة جدًّا تفوق الحصر متقدمة ومقارنة ومتأخرة، فإن من هو أدنىٰ دعوة منه إذا كان كاذبًا لزم كذبه من اللوازم ما يبين كذبه فكيف مثل هذا فإذا انتفت لوازم المكذوب انتفىٰ الملزوم. اهـ

* دين الأنبياء واحد:

الإسلام دين الأنبياء جميعًا إن الإسلام هو دين الله الذي لا دين له سواه، ولقد تكفل ﷻ بنصره وتمكينه وإظهاره علىٰ الدين كله.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

ورواه الإمام برقم ٢٣٦٥ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد».

ولقد جاء بهذا الدين الواحد جميع رسل الله وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام-.

جاء به نوح عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وجاء به إبراهيم عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٢٧-١٣٢].

وجاء به يعقوب عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

وجاء به لوط عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣١-٣٦].

وجاء به يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

وجاء به موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾.

وهو دين قوم موسى من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وهو دين السحرة الذين آمنوا بموسى، قال تعالى: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٠-١٢٦].

وهو دين أنبياء بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة:٤٤].

وهو دين سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤].

وهو دين المسيح عليه السلام وحوارييه، قال تعالىٰ: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١].

وهو دين المهتدين من الجن، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن:١٤-١٥].

وهو دين المتمسكين بالحق من أهل الكتاب قبل بعثة محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص:٥٢-٥٣].

ثم هو دين النبي الخاتم محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

بل إن القرآن الكريم ليقرر في وضوح كامل أن الإسلام دين أهل السموات والأرض.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣].

وإلىٰ هذا الدين وحده وجه النبي الخاتم رسله ورسائله إلىٰ الملوك وعظماء الأمم وأشهدهم علىٰ إسلامه وإسلام من معه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وكذلك دعاهم إلىٰ الإسلام وتوعدهم علىٰ التولي عنه في مثل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾ [آل عمران:١٨-٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٣].

فقد بين سبحانه أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه أي سفه نفسًا أي كانت نفسه سفيهة جاهلة هذا أصح القولين في ذلك وهو مذهب الكوفيين من النحاة يجوزون أن يكون المنصوب على التمييز معرفة كما يكون نكرة ثم أخبر عنه أنه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:١٣١].

وذكر أن إبراهيم وصى بها بنيه ويعقوب وصى بها بنيه أيضًا كلاهما قال لبنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

ثم ذكر أن يعقوب عند موته قال لبنيه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فهؤلاء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كلهم على الإسلام وهم يأمرون بالإسلام.

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:١٣٥].

ثم قال: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

ثم قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧].

فقد أخبر أنهم إن تولوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به المتضمن قولكم ونحن له مسلمون فإنما هم في شقاق أي مشاقون لله ورسوله كما قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٢- ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ في العنكبوت فهو مثل قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ في البقرة مع دعائهم إلىٰ الإسلام.

وكذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

فقد دعاهم أولًا إلىٰ الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابًا من دون الله كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

وهذه الآية هي التي كتب بها النبي إلىٰ قيصر ملك الروم لما دعاه إلىٰ الإسلام وقال في كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك أجرك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ

شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

فدعاه النبي إلىٰ الإسلام في كتابه الذي أرسله إليه.

وقال أيضًا في آل عمران: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠].

فذكر التوحيد في هذه الآية وكفر من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا، فكيف بمن اتخذ الأحبار والرهبان أربابًا؟

ثم ذكر الإيمان بخاتم الرسل فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨١-٨٥].

فقد ذكر أنه أخذ الميثاق علىٰ النبيين وأممهم مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، وهذا يتناول

الأمر لكل أهل الكتاب إذا جاءهم رسول ثاني أن يؤمنوا به وينصرونه وإن كان عندهم من الكتاب والحكمة ما كان ولا يقولون نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة لا نؤمن بالرسول الذي جاءنا ونخص الإيمان بمحمد فإنه خاتم الرسل، وهو آخر رسول جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، فوجب علىٰ من جاءه أن يؤمن به وينصره وإن كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان.

وهذا الميثاق أخذه الله علىٰ الأنبياء وأخذوه علىٰ أممهم ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ وهذا هو دين الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه فمن ابتغىٰ غيره فقد ابتغىٰ دين الله وهو دين الإسلام الذي قال فيه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

* حكم من فرق بين الرسل عليهم السلام أو كذب بأحدهم:

قال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢].

قال الإمام الشوكاني في فتح القدير: لما فرغ من ذكر المشركين والمنافقين ذكر الكفار من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم كفروا بمحمد ﷺ، فكان ذلك كالكفر بجميع الرسل، والكتب المنزلة، والكفر بذلك كفر بالله، وينبغي حمل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ علىٰ أنه استلزم ذلك كفرهم ببعض الكتب والرسل، لا أنهم كفروا بالله ورسله جميعًا.

فإن أهل الكتاب لم يكفروا بالله ولا بجميع رسله، لكنهم لما كفروا بالبعض كان ذلك كفر بالله وبجميع الرسل.

ومعنىٰ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أنهم كفروا بالرسل بسبب كفرهم ببعضهم، وآمنوا بالله، فكان ذلك تفريقًا بين الله وبين رسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ هم اليهود آمنوا بموسىٰ وكفروا بعيسىٰ ومحمد.

وكذلك النصارىٰ آمنوا بعيسىٰ، وكفروا بمحمد: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: يتخذوا بين الإيمان والكفر دينًا متوسطًا بينهما، فالإشارة

بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ قوله نؤمن ونكفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الكفر.

وقوله: ﴿حَقًّاۚ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة؛ أي: حق ذلك حقًّا، أو هو صفه لمصدر الكافرين، أي: كفرًا حقًّا.

قوله: ﴿وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ بأن يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ودخول (بين) علىٰ (أحد) لكونه عامًّا في المفرد مذكرًا ومؤنثًا ومثناهما وجمعهما، وقد تقدّم تحقيقه.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلىٰ الذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرّقوا بين أحد منهم.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة في الآية، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أعداء الله اليهود والنصارىٰ، آمنت اليهود بالتوراة وموسىٰ، وكفروا بالإنجيل وعيسىٰ، وآمنت النصارىٰ بالإنجيل وعيسىٰ، وكفروا بالقرآن ومحمد، اتخذوا اليهودية والنصرانية وهما بدعتان ليستا من الله وتركوا الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به رسله.

* * *

الفصل الثاني: البيان لبطلان دين اليهود والنصارى وما فيه من البهتان

لفتة مهمة: وجوب مخالفة الكافرين.

اعلم وفقك الله أن من مقاصد هذا الدين هذا الدين علىٰ أن يكون للمسلم كيانٍ مستقل بعيدًا عن التشبه بالكافرين الملحدين الضالين، فتجد أن الله قد أمر بمخالفتهم في كثير من العبادات والعادات؛ لأن الكافرين في جاهلية وجهل وبعد عن طاعة الله ﷻ، وهم أولياء الشيطان وأعداء الرحمان.

كما قال الله مخبرًا عن إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم:٤٤].

وقد حذرنا الله تعالىٰ من مشابهتهم في الفرقة وغيرها، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاث، ويكره لكم ثلاث، يرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**». أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث حذيفة قال رسول الله ﷺ: «**فالزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

وقال ﷺ: «**من أتاكم وأمركم جميعًا علىٰ رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم فاقتلوه**»، أخرجه مسلم عن عرفجة.

وقال رسول الله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»، أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقد أدّب رسول الله ﷺ أصحابه حين رآهم يتفرقون في الشعاب والأودية، وقال: «**إن تفرقكم هذا من الشيطان**»، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٠٥].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»: فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل علىٰ أصل هذه القاعدة في الجملة، ثم نتبع ذلك الأحاديث المفسرة لمعاني ومقاصد الآيات بعدها.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٦-١٩].

أخبر سبحانه أنه أنعم علىٰ بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيًا من بعضهم علىٰ بعض.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

﴿نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٦٨): فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن طرائق اليهود والنصارىٰ، بعدما علموا من القرآن والسنة عياذًا بالله من ذلك، فإن الخطاب لرسول الله ﷺ وأمته.

قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم»: ثم جعل محمدﷺ علىٰ شريعة من الأمر شرعها له وأمر باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته وأهواءهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به، ويودون لو بذلوا مالًا عظيمًا ليحصل ذلك. اهـ

قلت: نعم والله، فهم ينفقون من أجل ترسيخ الديمقراطية، ونشر الفساد والانتخابات مليارات الدولارات، فرحم الله شيخ الإسلام كيف فطن لقصدهم، وهكذا هم أهل العلم، ولكن طمس الله قلوب كثير من الناس عن معرفة الحق، فالله المستعان.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨) **[ط:دار الحديث]**: ومن هذا الباب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد:٣٦].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٧].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **(ص٢٢)**: فقال سبحانه في وصف المنافقين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧].

وصف المؤمنين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١].

وقال بإزاء: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

وقوله في المؤمنين: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[المائدة:٥٥]. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **(ص٤٥)**: ومما يدل عليه القرآن النهي عن مشافهتهم قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠٤].

وقال قتادة وغيره كانت اليهود تقوله استهزاء فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم.

ومن أراد أكثر فعليه بقراءة كتاب شيخ الإسلام «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **(١/ ١٥٣) عند تفسير هذه الآية**: نهىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا (١/ ١٥٣) بعد سوقه لحديث ابن عمر الذي أخرجه الإمام أحمد قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».**

ففيه دلالة علىٰ النهي الشديد والتهديد والوعيد علىٰ التشبه بالكفار في أفعالهم وأقوالهم ولباسهم وأعيادهم وعبادتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم

تشرع لنا ولم نقر عليها. اهـ

وقد جاءت أدلة كثيرة تحث علىٰ مخالفتهم في عباداتهم، نورد منها علىٰ سبيل الذكر لا الحصر حديث عمر بن عبسة رضي الله عنه عند الإمام مسلم (٨٣٢) عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس علىٰ ضلالة، وأنهم ليسوا علىٰ شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا.

فقعدت علىٰ راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتىٰ دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟

قال: «**أنا نبي**».

فقلت: وما نبي؟

قال: «**أرسلني الله**».

فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**».

قلت له: فمن معك علىٰ هذا؟

قال: «**حر وعبد**» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، ممن آمن به.

فقلت: إني متبعك.

قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترىٰ حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلىٰ أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**».

قال: فذهبت إلىٰ أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي،

فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتىٰ قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك.

فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟

قال: «**نعم أنت الذي لقيتني بمكة؟**».

قال: فقلت: بلىٰ، فقلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟

قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تطلع الشمس، حتىٰ ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتىٰ يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذٍ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتىٰ تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**».

وحديث ابن عمر ﭫ عند الشيخين قال: قال رسول الله ﷺ: «**خالفوا المشركين، احفوا الشوارب واعفوا اللحىٰ**».

وحديث أبي هريرة ﭬ عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**جزوا الشوارب وأرخوا اللحىٰ، خالفوا المجوس**».

وقال ﷺ: «**إن اليهود والنصارىٰ لا يصبغون فخالفوهم**»، أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر.

وقال ﷺ كما في حديث عمرو بن العاص ﭬ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام**

أهل الكتاب أكلة السحر». أخرجه مسلم.

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود، وهو في صحيح شيخنا مقبل رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارىٰ يؤخرون**».

وقال ﷺ: «**صلوا في نعالكم، خالفوا اليهود**».

وكانت اليهود إذا حاضت النساء لا يآكلوهن ولا يجامعوهن في البيوت، فسأل الصحابة رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]. فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**».

فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا، إلا خالفنا فيه. أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله **(ص٦٢) في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»**: فهذا الحديث يدل علىٰ كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل علىٰ أنه خالفهم في جميع أمورهم، حتىٰ قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. اهـ

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأىٰ أصحاب يصلون، ورأه قيامًا فقال: «**إن كدتم آنفًا تفعلوا فعل فارس والروم، يقومون علىٰ ملوكهم، وهم قعود فلا تفعلوا**».

وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد الله**

ورسوله».

وقال الله تعالىٰ محذرًا النساء من التشبه بالجاهليات: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال ﷺ في صيام يوم عاشوراء: «**لأن بقيت إلىٰ القابل لأصومن التاسع**»، من حديث ابن عباس عند مسلم، وهذا من أجل مخالفة اليهود.

ورأى ﷺ علىٰ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ثوبًا معصفرًا فقال: «**أمك أمرتك بهذا؟**»، قال: أغسله، قال: «**بل أحرقه إنه من لباس الكفار**». وهو في الصحيح.

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه عند أن قال له: لو اشتريت هذه الحلة فلبستها في العيد أو الوفود؟ قال: «**إنما يلبس هذا من لا خلاق له**».

والذين يلبسونها هم الكفار.

ونزع فروخًا من حرير، وكان قد لبسه فقال: «**إن هذا لا ينبغي للمتقين**».

والأشهر من هذا مخالفتهم في القبلة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤].

ومما تقدم يظهر لك أن الله قد أمرنا بمخالفتهم في جميع أمور الدين؛ لأنهم علىٰ طريقة غير مرضية، وسبيل غير سوية، وصراط معوج، وفي هذا غنية لمن أراد الحق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٦٤) [ط. دار الحديث بالقاهرة]: قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والإجماع والآثار

والاعتبار ما دل علىٰ أن التشبه بهم في الجملة منهيٌّ عنه، وأن مخالفتهم في هديهم إيجابًا وإما استحبابًا بحسب المواضع.

وقد تقدم بيان ما أمرنا الله ورسوله به من مخالفتهم، مشروع سواء كان ذلك بالفعل مما قصد فاعل التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهىٰ عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قُصدت مشابهتهم أو لم تقصد، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المُشابهة فيه كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك. اهـ

* الأحكام المتعلقة بأهل الذمة من اليهود والنصارىٰ دون الحربيين منهم:

تقدم البيان لفضل الإسلام وبيان أنه الدين القويم والصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده دينًا وختم به الرسالات وأمر بسؤله والتنكر لما سواه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وتقدم بيان ما عليه اليهود والنصارىٰ الضالون المخالفون، وبيان كفرهم وحسدهم وعنادهم وبغيهم وزندقتهم، وأنهم للإسلام مخالفون وللحق معاندون ولرسلهم عاصون ولعقولهم مناقضون، فلا والله لا يغتر بهم وبما هم إلا من كان جهله سحيقًا أو عميلًا لهم ولنشر أفكارهم إما لسوء قصده أو لمطامع دنيوية.

فاللهم سلم، فليعلم أن التعامل معهم ينبغي ألا يخرج عن مسار الكتاب والسنة الصحيحة دعوة ومعاملة، والمعاملة مع أهل الكتاب تكون في بابين:

الباب الأول: في الأحكام المقصودة لحفظ الدين وتميز المبطلين.

الباب الثاني: في الأحكام المقصودة لحفظ الحق وقيام العدل والإحسان(١).

أولًا: الأحكام المتعلقة بحفظ الدين وتميز المسلمين:

١ - كون الدين كله لله بإسلامهم أو أعطائهم الجزية أو قتالهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

وقال سبحانه: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وقد تقدم حديث بريدة وما فيه من الأحكام في الفصل السابق.

قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ١/ ٢٢-٢٤): فالجزية هي الخراج المضروب علىٰ رءوس الكفار إذلالًا وصغارًا، والمعنىٰ حتىٰ يعطوا الخراج عن رقابهم.

واختلف في اشتقاقها فقال القاضي في الأحكام السلطانية اسمها مشتق من الجزاء إما جزاء علىٰ كفرهم لأخذها منهم صغارًا، أو جزاء علىٰ أماننا لهم لأخذها منهم رفقًا.

---

(١) مستقىٰ من كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (١ / ١٥٥).

قال صاحب المغني: هي مشتقة من جزاه بمعنىٰ قضاه لقوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ فتكون الجزية مثل الفدية.

قال شيخنا: والأول أصح وهذا يرجع إلىٰ أنها عقوبة أو أجرة.

وأما قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ فهو في موضع النصب علىٰ الحال أي يعطوها أذلاء مقهورين هذا هو الصحيح في الآية.

وقالت طائفة: المعنىٰ من يد إلىٰ يد نقدًا غير نسيئة.

وقالت فرقة: من يده إلىٰ يد الآخذ لا باعثًا بها ولا موكلًا في دفعها.

وقالت طائفة: معناه عن إنعام منكم عليهم بإقراركم لهم وبالقبول منهم. والصحيح القول الأول وعليه الناس.

وأبعد كل البعد ولم يصب مراد الله من قال المعنىٰ: عن يد منهم أي عن قدرة علىٰ أدائها فلا تؤخذ من عاجز عنها، وهذا الحكم صحيح وحمل الآية عليه باطل ولم يفسر به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة وإنما هو من حذاقة بعض المتأخرين.

وقوله تعالىٰ:﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ حال أخرىٰ فالأول حال المسلمين في أخذ الجزية منهم أن يأخذوها بقهر وعن يد، والثاني حال الدافع لها أن يدفعها وهو صاغر ذليل.

واختلف الناس في تفسير الصغار الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقال عكرمة: أن يدفعها وهو قائم ويكون الآخذ جالسًا.

وقالت طائفة: أن يأتي بها بنفسه ماشيًا لا راكبًا، ويطال وقوفه عند إتيانه بها ويجر إلىٰ الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجر يده ويمتهن.

وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتض الآية ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم فعلوا ذلك.

والصواب في الآية: أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإن التزامهم بذلك هو الصغار. اهـ

فإن لم يعطوا الجزية فهم في حرابهم لأهل الإسلام ولا يدخلون في ذمة الله عز وجل وذمة رسوله ﷺ.

٢- عدم موالاتهم أو ائتمانهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين وتحريم محبتهم:

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال ابن جرير في (جامع البيان ٤ / ٦٠) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران: ١١٨]: يعني بذلك تعالىٰ ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به نبيهم من عند ربهم ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾، يقول: لا تتخذوا أولياء أو أصدقاء لأنفسنا ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ يقول من أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين، وإنما جعل البطانة مثلًا لخليل الرجل مشبهه بما ولي بطنه من ثيابه. اهـ

وقال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ١/ ٢٤٢): ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت توليتهم نوعًا من توليهم، وقد حكم تعالىٰ بأن من تولاهم فإنه منهم ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا، والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبدًا. اهـ

وفي الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**». أخرجه الطبراني (٣/ ١٢٥) والبغوي (٣/ ٤٢٩) وهو في الصحيحة (٤ / ٣٠٧).

٣- تحريم التشبه بهم:

تقدم حديث ابن عمر «**من تشبه بقوم فهو منهم**». وتقدم الكلام علىٰ هذا الشأن بتوسع.

٤- الحذر من كتبهم ومروياتهم:

أخرج البخاري (٢٦٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يَا مَعشَرَ المُسلِمِينَ، كَيفَ تَسأَلُونَ أَهلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الذي أُنزِلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ أَحدَثُ الأَخبَارِ بِاللهِ، تَقرَءُونَهُ لَم يُشَب، وَقَد حَدَّثَكُمُ اللهُ أَنَّ أَهلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللهُ وَغَيَّرُوا بِأَيدِيهِمُ الكِتَابَ، فَقَالُوا هُوَ مِن عِندِ اللهِ، لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَفَلَا يَنهَاكُم مَا جَاءَكُم مِنَ العِلمِ عَن مُسَاءَلَتِهِم، ولَا وَاللهِ مَا رَأَينَا مِنهُم رَجُلًا قَطُّ يَسأَلُكُم عَنِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيكُم.

وقد تقدم حديث جابر رضي الله عنه وزجر النبي ﷺ لعمر بقوله: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب**».

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٦٦- ٣٦٧): هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها علىٰ ثلاث أقسام: أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني. اهـ

٥- تحريم ابتدائهم بالسلام وتقديمهم في العبور والمرور:

عن أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تبدءوا اليهود والنصارىٰ بالسلام فإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلىٰ أضيقه**».

قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ١ / ١٩٧): والمقصود أن السلام اسمه ووصفه وفعله والتلفظ به ذكر له، فحقيق بتحية هذا شأنها أن تصان عن بذلها لغير أهل الإسلام وألا يُحيىٰ بها أعداء القدوس السلام.

ولهذا كانت كتب النبي ﷺ إلىٰ ملوك الكفار سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ولم يكتب لكافر سلام عليكم أصلًا، فلهذا قال في أهل الكتاب: «**ولا تبدءوهم بالسلام**».

رد السلام علىٰ أهل الذمة:

وأما الرد عليهم فأمر أن يقتصر به علىٰ: عليكم، واختلفت الرواية في إثبات الواو وحذفها وصح هذا وهذا، فاستشكلت طائفة دخول هذه الواو هاهنا إذ هي للتقرير وإثبات الأول كما إذا قيل لك فعلت كذا وكذا فقلت وأنت فعلته أو قال فلان يصلي الخمس فتقول ويزكي ماله.

قالوا فالموضع موضع إضراب لا موضع تقرير ومشاركة فهو موضع بل عليكم لا موضع وعليكم فإذا حذف الواو كان إعادة لمثل قوله من غير إشعار بأنك علمت مراده وإذا أتيت بلفظة بل أشعرته أنك فهمت مراده ورددته عليه قصاصًا والأول أليق بالكرم والفضل.

ولهذا السر والله أعلم دخلت الواو علىٰ أنه ليس في دخولها إشكال فإن الموت لا ينجو منه أحد وكأن الراد يقول الذي أخبرت بوقوعه علينا نحن وأنت فيه سواء فهو علينا وعليك وهذا أولىٰ من تغليظ الراوي في إثباتها إذ لا سبيل إليه، فإن قيل بل إليك سبيل.

قال الخطابي يرويه عامة المحدثين بالواو وابن عيينة يرويه بحذفها وهو الصواب.

قيل: قد ضبط الواو عبد الله بن عمر وضبطها عنه عبد الله بن دينار وضبطها عنه مالك، قال أبو داود في سننه كذلك رواه مالك عن عبد الله بن دينار ورواه الثوري أيضا عن عبد الله بن دينار فقال وعليكم. انتهىٰ.

وهذا الحديث قد أخرجه البخاري في صحيحه كما تقدم، وحديث سفيان الثوري رواه البخاري ومسلم وهو بالواو عندهما.

وأما قول الخطابي وابن عيينة رواه بحذفهما فقد اختلف علىٰ ابن عيينة أيضًا وجواب آخر ولعله أحسن من الجواب الأول أنه ليس في دخول الواو تقرير لمضمون تحيتهم بل فيه ردها وتقريرها لهم، أي ونحن أيضًا ندعو لكم بما دعوتم به علينا، فإن دعاءهم قد حصل ووقع منهم.

فإذا رد عليهم المجيب بقوله وعليكم كان في ذكر الواو سر لطيف وهو أن هذا الذي طلبتموه لنا ودعوتم به هو بعينه مردود عليكم لا تحية لكم غيره، والمعنىٰ ونحن نقول لكم ما قلتم بعينه كما إذا قال رجل لمن يسبه عليك كذا وكذا فقال وعليك، أي وأنا أيضًا قائل لك ذلك، وليس معناه أن هذا قد حصل لي وهو حصل لك معي فتأمله.

وكذلك إذا قال غفر الله لك فقلت ولك وليس المعنىٰ أن المغفرة قد حصلت لي ولك فإن هذا علم غيب وإنما معناه أن الدعوة قد اشتركت فيها أنا وأنت ولو قال غفر الله لك فقلت لك لم يكن فيه إشعار بذلك.

وعلىٰ هذا فالصواب إثبات الواو وبه جاءت أكثر الروايات وذكرها الثقات الأثبات والله أعلم.

كيف نرد عليهم إذا تحقق لدينا أنهم قالوا: السلام عليكم ؟

هذا كله إذا تحقق أنه قال: السام عليكم أو شك فيما قال، فلو تحقق السامع أن الذمي قال له: سلام عليكم لا شك فيه فهل له أن يقول: وعليك السلام أو يقتصر علىٰ قوله وعليك؛ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له وعليك السلام فإن هذا من باب العدل والله يأمر بالعدل والإحسان وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦].

فندب إلىٰ الفضل وأوجب العدل ولا ينافي هذا شيئًا من أحاديث الباب بوجه ما. اهـ كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- تحريم تهنئتهم بشعائر الكفر وأعيادهم الدينية:

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠].

قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ١ / ٢٠٥- ٢٠٦): وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب.

بل ذلك أعظم إثمًا عند الله وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه.

٧- تحريم دخولهم الحرم وإقامتهم بجزيرة العرب:

قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٢٨].

وأخرج الإمام مسلم عن عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لأُخرِجَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ حَتَّىٰ لَا أَدَعَ إِلَّا مُسلِمًا**».

وعن عائشة رضي الله عنها، عند الإمام أحمد: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**».

وللقرضاوي -ذهب القرضاوي إلىٰ أن معنىٰ هذا الحديث من العام الذي يراد به الخصوص- كلام حول هذا الحديث زعم فيه أن جزيرة العرب من العام الذي يريد به الخاص، وهي مكة والمدينة، وهذا القول منه مردود لعموم الدليل وبفهم الصحابة -رضوان الله عليهم-.

قال الحافظ في»الفتح» تحت حديث ابن عباس رقم (٣٠٥٣): «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

قال الأصمعي: جزيرة العرب ما بي نأقصىٰ عدن أبين إلىٰ ريف العراق طولًا ومن جدة وما ولاها إلىٰ أطراف الشام عرضًا.

وسميت جزيرة العرب لإحاطة البحار بها، يعني بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة، وأضيفت إلىٰ العرب؛ لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم.

لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوىٰ ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب، لاتفاق الجميع علىٰ أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب، وهذا مذهب الجمهور. اهـ

ثانيًا: الأحكام المتعلقة بحفظ الحقوق وقيام العدل والإحسان:

وهذا الباب في حق أهل الذمة:

١ - عدم الإكراه في الدين:

قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال ابن كثير في تفسيره: أي: لا تكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلىٰ أن يكره أحد علىٰ الدخول فيه،

بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمىٰ الله قلبه وختم علىٰ سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا. اهـ

٢- الإحسان إليهم والعدل في معاملاتهم وتحريم أذيتهم وحفظ ذمتهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

قال ابن جرير في (جامع البيان ٢٨ / ٦٦): وأولىٰ الأقوال الصواب قول من قال عنىٰ بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان. اهـ

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

قال شيخ الإسلام كما في (المجموع ٢٨ / ٦١٧-٦١٨): وَقَد عَرَفَ النَّصَارَىٰ كُلُّهُم أَنِّي لَمَّا خَاطَبت التَّتَارَ فِي إطلاقِ الأَسرَىٰ وَأَطلَقَهُم غازان وقطلو شاه وَخَاطَبت مَولايَ فِيهِم فَسَمَحَ بِإطلاقِ المُسلِمِينَ. قَالَ لِي: لَكِنَّ مَعَنَا نَصارَىٰ أَخَذنَاهُم مِن القُدسِ فَهَؤُلاءِ لا يُطلِقُونَ. فَقُلت لَهُ: بَل جَمِيعُ مَن مَعَك مِن اليَهُودِ

وَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ هُم أَهلُ ذِمَّتِنَا؛ فَإِنَّا نُفتِكَهُم وَلا نَدَعُ أَسِيرًا لا مِن أَهلِ المِلَّةِ وَلا مِن أَهلِ الذِّمَّةِ. وَأَطلَقنَا مِن النَّصَارَىٰ مَن شَاءَ اللهُ. فَهَذَا عَمَلُنَا وَإِحسَانُنَا وَالجَزَاءُ عَلَىٰ اللهِ. اهـ

٣- حسن جوارهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦].

قال ابن جرير (٥/ ٨٠): الجنب الغريب البعيد مسلمًا كان أو مشركًا يهوديًّا أو نصرانيًّا.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عند الترمذي، قال مجاهد: أن عبد الله بن عمر ذكيت له شاة فقال: اعطوا جارنا اليهودي.

٤- عيادة مريضهم:

يدل علىٰ ذلك ما أخرجه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٦٥٧): عن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يهودي يَخدُمُ النبي ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النبي ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ فَقَالَ لَهُ: «**أَسلِم**». فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهوَ عِندَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِع أَبَا القَاسِمِ ﷺ فَأَسلَمَ، فَخَرَجَ النبي ﷺ وَهوَ يَقُولُ: «**الحَمدُ لِلَّهِ الذي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ**».

وتكون هذه الزيارة مع دعوته إلىٰ الإسلام، وتأليف قلبه عليه كما فعل

رسول الله ﷺ، وقد بوب البخاري على الحديث (باب عيادة المشرك).

٥- جواز دخولهم مساجد المسلمين للحاجة عدى المسجد الحرام:

قال ابن القيم في (الزاد ٣ / ٦٣٨): في سياقه لقصة أهل نجران ففيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين. اهـ

وفي حديث ثمامة في حبسه في المسجد دلالة على ذلك ستراه في باب كيفية الحوار.

٦- الصدقة على فقراء أهل الذمة:

قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ١ / ٣٠٠): لا ريب أن الصدقة جائزة على مساكين أهل الذمة. اهـ

٧- الحقوق المعيشية في السكن والتنقل والتكسب:

قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص١٢٢): واتفقوا أن لأهل الذمة المشي في أرض المسلمين والدخول حيث أحبوا من البلاد، حاشا الحرم بمكة فإنهم اختلفوا أيدخلونه أم لا ؟

واتفقوا على أن لهم سكن أي بلد شاءوا من بلاد الإسلام على الشروط التي قدمناها حاشا جزيرة العرب. اهـ

ويدل على جواز تكسبهم أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج من ثمر أو زرع. متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه.

٨- حِلُّ طعام أهل الكتاب ونكاح العفيفات من نسائهم:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[المائدة:٥].

٩- تشميت عاطسهم:

عن أبي موسىٰ ﷺ قال: كان اليهود تتعاطس عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فكان يقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**». أخرجه أبو داود والترمذي.

فمن هذين البابين: يستفيد المسلم كيفية المعاملة مع أهل الكتاب وخصوصًا الذميين منهم، فإن بعض الناس ينظر إلىٰ الباب الأول وربما ظلمهم وأخذ مالهم وفعل بهم الأفاعيل، والبعض الآخر ينظر إلىٰ أدلة الباب الثاني ويقع منه التمييع والتميّع والتفريط، وهذا هو الحاصل في هذا الزمان في غربة الدين.

قال القرافي في الفروق (ص١٤-١٦): الفَرقُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ بَينَ قَاعِدَةِ بِرِّ أَهلِ الذِّمَّةِ وَبينَ قَاعِدَةِ التَّوَدُّدِ لَهُم مِن حَيثُ إِنَّ بِرَّهُم وَالإِحسَانَ إِلَيهِم مَأمُورٌ بِهِ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. الآيَةَ.

وَقَالَ ﷺ: «**استَوصُوا بِأَهلِ الذِّمَّةِ خَيرًا**».

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**اسْتَوصُوا بِالقِبطِ خَيرًا**».

وَوُدُّهُم وَتُولِّيهِم مَنهِيٌّ عَنهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩].

حَتَّىٰ أُحتِيجَ لِلجَمعِ بَينَ هَذِهِ النُّصُوصِ بِمَا هُوَ مِن الفَرقِ بَينَ قَاعِدَتَي بِرِّهِم وَالتَّوَدُّدِ لَهُم مِن أَنَّ عَقدَ الذِّمَّةِ لَمَّا كَانَ عَقدًا عَظِيمًا فَيُوجِبُ عَلَينَا حُقُوقًا لَهُم مِنهَا مَا حَكَىٰ ابنُ حَزمٍ فِي مَرَاتِبِ الإجمَاعِ وَنَجعَلُهُم فِي جِوَارِنَا وَفِي حَقِّ رَبِّنَا وَفِي ذِمَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَذِمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذِمَّةِ دِينِ الإسلَامِ.

وَالَّذِي إجمَاعُ الأمَةِ عَلَيهِ أَنَّ مَن كَانَ فِي الذِّمَّةِ وَجَاءَ أَهلُ الحَربِ إِلَىٰ بِلَادِنَا يَقصِدُونَهُ وَجَبَ عَلَينَا أَن نَخرُجَ لِقِتَالِهِم بِالكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ وَنَمُوتَ دُونَ ذَلِكَ صَونًا لِمَن هُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَإِنَّ تَسلِيمَهُ دُونَ ذَلِكَ إِهمَالٌ لِعَقدِ الذِّمَّةِ وَمِنهَا أَنَّ مَن اعتَدَىٰ عَلَيهِم وَلَو بِكَلِمَةِ سُوءٍ أَو غِيبَةٍ فِي عِرضِ أَحَدِهِم أَو نَوعٍ مِن أَنوَاعِ الأذِيَّةِ أَو أَعَانَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَد ضَيَّعَ ذِمَّةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَذِمَّةَ دِينِ الإسلَامِ تَعَيَّنَ عَلَينَا أَن نَبَرَّهُم بِكُلِّ أَمرٍ لا يُؤَدِّي إِلَىٰ أَحَدِ الأمرَينِ أَحَدُهُمَا مَا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَىٰ مَوَدَّاتِ القُلُوبِ، وَثَانِيهِمَا مَا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَىٰ تَعظِيمِ شَعَائِرِ الكُفرِ.

وَذَلِكَ كَالرِّفقِ بِضَعِيفِهِم وَسَدِّ خُلَّةِ فَقِيرِهِم وَإِطعَامِ جَائِعِهِم وَإِكسَاءِ عَارِيهِم

وَلِينِ القَولِ لَهُم عَلَىٰ سَبِيلِ اللُّطفِ لَهُم وَالرَّحمَةِ لا عَلَىٰ سَبِيلِ الخَوفِ وَالذِّلَّةِ وَاحتِمَالِ أَذِيَّتِهِم فِي الجِوَارِ مَعَ القُدرَةِ عَلَىٰ إِزَالَتِهِ لُطفًا مِنَّا بِهِم لا خَوفًا وَتَعظِيمًا وَالدُّعَاءِ لَهُم بِالهِدَايَةِ، وَأَن يُجعَلُوا مِن أَهلِ السَّعَادَةِ وَنَصِيحَتِهِم فِي جَمِيعِ أُمُورِهِم فِي دِينِهِم وَدُنيَاهُم وَحِفظِ غَيبَتِهِم إِذَا تَعَرَّضَ أَحَدٌ لأَذِيَّتِهِم وَصَونِ أَموَالِهِم وَعِيَالِهِم وَأَعرَاضِهِم وَجَمِيعِ حُقُوقِهِم وَمَصَالِحِهِم، وَأَن يُعَانُوا عَلَىٰ دَفعِ الظُّلمِ عَنهُم وَإِيصَالِهِم لِجَمِيعِ حُقُوقِهِم، وَكُلِّ خَيرٍ يَحسُنُ مِن الأَعلَىٰ مَعَ الأَسفَلِ أَن يَفعَلَهُ وَمِن العَدُوِّ أَن يَفعَلَهُ مَعَ عَدُوِّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِن مَكَارِمِ الأَخلَاقِ.

إِلَّا أَنَّهُ يَنبَغِي أَن يَكُونَ لا عَلَىٰ وَجهِ التَّعظِيمِ لَهُم وَتَحقِيرِ أَنفُسِنَا بِذَلِكَ الصَّنِيعِ لَهُم، بَل امتِثَالًا مِنَّا لأَمرِ رَبِّنَا ﷻ وَأَمرِ نَبِيِّنَا ﷺ مَعَ كَونِنَا نَستَحضِرُ فِي قُلُوبِنَا مَا جُبِلُوا عَلَيهِ مِن بُغضِنَا وَتَكذِيبِ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَنَّهُم لَو قَدَرُوا عَلَينَا لاستَأصَلُوا شَأفَتَنَا وَاستَولَوا عَلَىٰ دِمَائِنَا وَأَموَالِنَا، وَأَنَّهُم مِن أَشَدِّ العُصَاةِ لِرَبِّنَا وَمَالِكِنَا ﷻ لِيَمنَعَنَا ذَلِكَ الاستِحضَارُ مِن الوُدِّ البَاطِنِ لَهُم المُحَرَّمِ عَلَينَا خَاصَّةً. ا هـ كلام القرافي.

* بيان كون عيسىٰ عليه السلام عبد الله وكلمته ألقها إلىٰ مريم وروح منه:

قبل الكلام علىٰ النصارىٰ ومعتقداتهم أحب أن يعلم القارئ المعتقد الصحيح في عيسىٰ عليه السلام وهذا الباب رد علىٰ النصارىٰ الغاليين في نبي الله عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام-، ويعلم عن جفاء اليهود له ولغيره من الأنبياء .

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٤٦-٦٢].

وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٦].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن

دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

وقال: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم:٢٩-٣٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١].

وعَن عُبَادَةَ ﷺ: عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِن العَمَلِ**».

قَالَ الوَلِيدُ: حَدَّثَنِي ابنُ جَابِرٍ عَن عُمَيرٍ عَن جُنَادَةَ وَزَادَ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيِّهَا شَاءَ. البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٩).

وعَن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَجمَعُ اللهُ المُؤمِنِينَ يَومَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ**

فَيَقُولُونَ لَو استَشفَعنَا إِلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنا مِن مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَمَا تَرَىٰ النَّاسَ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسمَاءَ كُلِّ شَيءٍ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِن مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَستُ هُنَاكَ وَيَذكُرُ لَهُم خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِن ائتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهلِ الأَرضِ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَستُ هُنَاكُم وَيَذكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِن ائتُوا إِبرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحمَنِ.

فَيَأْتُونَ إِبرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَستُ هُنَاكُم وَيَذكُرُ لَهُم خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِن ائتُوا مُوسَىٰ عَبدًا آتَاهُ اللهُ التَّورَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكلِيمًا.

فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُ لَستُ هُنَاكُم وَيَذكُرُ لَهُم خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِن ائتُوا عِيسَىٰ عَبدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُ لَستُ هُنَاكُم، وَلَكِن ائتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّر». أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟

قَالَ: «هَل تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَت صَحوًا؟».

قُلنَا: لَا.

قَالَ: «فَإِنَّكُم لَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ رَبِّكُم يومَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَتِهِمَا، ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذهَب كُلُّ قَومٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعبُدُونَ فَيَذهَبُ أَصحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِم وَأَصحَابُ الأَوثَانِ مَعَ أَوثَانِهِم وَأَصحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِم، حَتَّىٰ يَبقَىٰ مَن كَانَ يَعبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ أَو فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ.

ثُمَّ يُؤتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ لِليَهُودِ مَا كُنتُم تَعبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعبُدُ عُزَيرَ ابنَ اللهِ فَيُقَالُ كَذَبتُم لَم يَكُن لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَن تَسقِيَنَا فَيُقَالُ اشرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ.

ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَىٰ مَا كُنتُم تَعبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعبُدُ المَسِيحَ ابنَ اللهِ فَيُقَالُ كَذَبتُم لَم يَكُن لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَن تَسقِيَنَا فَيُقَالُ اشرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ».

قال صاحب كتاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (٨٤):
قوله: وكلمته، إنما سمي عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة كن بلا أب قاله قتادة وغيره من السلف.

قال الإمام أحمد فيما أملاه في الرد علىٰ الجهمية: الكلمة التي ألقاها الىٰ مريم حين قال له بكن فكان عيسىٰ كن وليس عيسىٰ هو بكن، ولكن كن كان فكن من الله قول وليس كن مخلوقًا.

وكذب النصارىٰ والجهمية علىٰ الله في أمر عيسىٰ وذلك أن الجهمية قالت عيسىٰ روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارىٰ عيسىٰ روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب، وقلنا نحن إن عيسىٰ بالكلمة كان وليس عيسىٰ هو الكلمة. انتهىٰ يعني به ما قال قتادة وغيره.

قوله: من شهد أن لا إله إلا الله أي من تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، كما دل عليه قوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]. وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦].

أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع وفي الحديث ما يدل علىٰ هذا، وهو قولهﷺ من شهدﷺ إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ومجرد النطق بشيء لا يسمي شهادة به قال بعضهم أداة الحصر لقصر الصفة علىٰ الموصوف قصر أفراد؛ لأن معناه الألوهية منحصرة في الله الواحد في مقابلة من يزعم اشتراك غيره معه وليس قصر قلب لأن أحدًا من الكفار لم ينفها عن الله وإنما أشرك معه غيره.

وقال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة علىٰ العقائد فانهﷺ جمع فيه ما يخرج عن ملل الكفر علىٰ اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف علىٰ ما يباين به جميعهم. انتهىٰ.

قوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ قال ابن كثير: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام إلىٰ مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسىٰ بإذن الله ﷻ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتىٰ ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله ﷻ.

ولهذا قيل لعيسىٰ إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له كن فكان والروح التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام.

قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال أبي بن كعب: عيسىٰ روح من الأرواح التي خلقها الله ﷻ واستنطقها بقوله: ألست بربكم قالوا بلىٰ، بعثه الله إلىٰ مريم فدخل فيها.

رواه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن

ابي حاتم وغيرهم.

وقال أبو روق: وروح منه أي نفخة منه إذ هي من جبرائيل بأمره وسمي روحًا لأنه حدث من نفخة جبرائيل عليه السلام.

وقال الإمام أحمد: وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]. يقول: من أمره.

وقال شيخ الإسلام: المضاف إلىٰ الله تعالىٰ إذا كان معنىٰ لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالىٰ قائمًا به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عينًا قائمة بنفسها كعيسىٰ وجبرائيل -عليهما السلام- وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالىٰ؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ وجهين:

أحدهما: أنْ تكون تضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم: سماء الله وأرض الله ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع المال مال الله وجميع البيوت والنوق لله.

الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه به من معنىٰ يحبه ويأمر به ويرضاه كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره، وكما يقال عن مال الفيء والخمس هو مال الله ورسوله ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه. انتهىٰ ملخصًا

والمقصود منه: أن إضافة روح إلىٰ الله هو من الوجه الثاني والله أعلم.

* النصرانية تعاريف واعتقادات وصلات :

قال ابن القيم في هداية الحيارى (١٦٧-١٨٤): ونحن نذكر الآن الأمر كيف ابتدأ وتوسط، وانتهى، حتى كأنك تراه عيانًا.

كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه من لدن موسى إلى زمن داود ومن بعده من الأنبياء، وأكثر الأنبياء تبشيرًا به داود، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به بغيًا وحسدًا وشردوه في البلاد وطردوه وحبسوه وهموا بقتله مرارًا، إلى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله.

فصانه الله وأنقذه من أيديهم، ولم يهنه بأيديهم، وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه، كما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٦-١٥٩].

وقد اختلف في معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه، وقيل المعنى ولكن شبه النصارى أي حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب، ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمره، وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم، وكيف ما كان فالمسيح -صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل- ولم يصلب يقينًا لا شك فيه.

ثم تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه علىٰ دينه ومنهاجه يدعون الأمم إلىٰ توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه، فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور، وأعداء الله اليهود في غاية الشدة والأذىٰ لأصحابه وأتباعه، ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك.

وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكا عليهم، وكتب نائب الملك ببيت المقدس إلىٰ الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ، فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحاب، ثم هلك وولىٰ بعده ملك آخر فكان شديدًا علىٰ تلامذة المسيح.

ثم مات وولىٰ بعده آخر، وفي زمنه كتب مرقس إنجيله بالعبرانية، وفي زمانه صار إلىٰ الاسكندرية فدعا إلىٰ الإيمان بالمسيح، وهو أول شخص جعل بتركا علىٰ الاسكندرية، وصير معه اثني عشر قسيسًا علىٰ عدة نقباء بني إسرائيل في زمن موسىٰ، وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحدًا يجعلونه مكانه، ويضع الاثني عشر أيديهم علىٰ رأسه ويبركونه، ثم يختارون رجلًا فاضلًا قسيسًا يصيرونه تمام العدة، ولم يزل أمر القوم كذلك إلىٰ زمن قسطنطين.

ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا علىٰ أن ينصبوا البترك من أي بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم، ثم سموه بابا ومعناه أبو الآباء، وخرج مرقس إلىٰ برقة يدعو الناس إلىٰ دين المسيح.

ثم ملك آخر فأهاج علىٰ اتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب، وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عنه بالرومية، ونسبه إلىٰ مرقس.

وفي عصره كتب لوقا انجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم، وكتب له الإبر كسيس الذي فيه أخبار التلاميذ.

وفي زمنه صلب بطرس وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسًا لئلا أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائمًا، وضرب عنق بولس بالسيف، وأقام بعد صعوده اثنين وعشرين سنة، وأقام مرقس بالاسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلىٰ الإيمان بالمسيح، ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار.

ثم استمرت القياصرة ملوك الروم علىٰ هذه السيرة إلىٰ أن ملك مصر قيصر يسمىٰ طيطس فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل من كان بها من ذكر وأنثىٰ حتىٰ كانوا يشقون بطون الحبالىٰ ويضربون بأطفالهن الصخور، وخرب المدينة وأضرم فيها النار، وأحصىٰ القتلىٰ علىٰ يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف.

ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد علىٰ اليهود جدًّا، فبلغوه أن النصارىٰ يقولون إن المسيح كلمهم وإن ملكه يدوم إلىٰ آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصارىٰ وألا يبقىٰ في ملكه نصراني، وكان يوحنا صاحب الإنجيل هناك فهرب، ثم أمر الملك بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم، ثم ملك بعده آخر فأثار علىٰ النصارىٰ بلاء عظيمًا، وقتل بترك انطاكية برومية، وقتل أسقف بيت

المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة، وأمر باستعباد النصارىٰ.

فاشتد عليهم البلاء إلىٰ أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه إن لهم دينًا وشريعة وأنه لا يحل استعبادهم فكف عنهم، وفي عصره كتب يوحنا إنجيله بالرومية.

وفي ذلك العصر رجع اليهود إلىٰ بيت المقدس، فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا علىٰ أن يملكوا منهم ملكًا، فبلغ الخبر قيصر فوجه إليهم جيشًا فقتل منهم من لا يحصىٰ، ثم ملك بعده ابنه وفي زمانه قتل اليهود ببيت المقدس قتلًا ذريعًا وخرب بيت المقدس، وهرب اليهود إلىٰ مصر وإلىٰ الشام والجبال والأغوار وتقطعوا في الأرض، وأمر الملك ألا يسكن بالمدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا، وأن يسكن المدينة اليونانيون.

وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، والنصارىٰ ذمة تحت أيديهم، فرأوهم يأتون إلىٰ مزبلة هناك فيصلون فيها فمنعوهم من ذلك، وبنوا علىٰ المزبلة هيكلًا باسم الزهرة فلم يمكن النصارىٰ بعد ذلك قربان ذلك الموضع.

ثم هلك هذا الملك وقام بعده آخر فنصب يهودًا أسقفًا علىٰ بيت المقدس، قال ابن البطريق فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول إلىٰ يهودا أسقفه هذا كانت الأساقفة الذين علىٰ بيت المقدس كلهم مختونين.

ثم ولىٰ بعده آخر وأثار علىٰ النصارىٰ بلاءا شديدا وحربا طويلا ووقع في أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصارىٰ أن يبتهلوا إلىٰ آلههم فدعوا وابتهلوا إلىٰ الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء.

قال ابن البطريق: وفي زمانه كتب بترك الإسكندرية إلىٰ أسقف بيت

المقدس وبترك أنطاكية وبترك رومية في كتاب فصح النصارىٰ وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود، فوضعوا فيها كتبًا علىٰ ما هي اليوم، قال وذلك أن النصارىٰ كانوا بعد صعود المسيح إذا عَيَدُوا عيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يومًا ويفطرون كما فعل المسيح، لأنه لما اعتمد بالإردن خرج إلىٰ البرية فأقام بها أربعين يومًا، وكان النصارىٰ إذا أفصح اليهود عيدوا هم الفصح، فوضع هؤلاء البتاركة حسابًا للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح، وكان المسيح يُعَيِدُ مع اليهود في عيدهم.

واستمر علىٰ ذلك أصحابه إلىٰ أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم إلىٰ وقت لا يكون عيدهم مع اليهود.

ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر، وفي زمنه كان جالينوس وفي زمنه ظهرت الفرس وغلبت علىٰ بابل وآمد وفارس.

وتملك أزدشير ابن بابك في اصطخر وهو أول ملك ملك علىٰ فارس في المدة الثانية، ثم مات قيصر وقام بعده آخر، ثم آخر وكان شديدًا علىٰ النصارىٰ عذبهم عذابًا عظيمًا وقتل خلقًا كثيرًا منهم، وقتل كل عالم فيهم، ثم قتل من كان بمصر والاسكندرية من النصارىٰ، وهدم الكنائس، وبنىٰ بالاسكندرية هيكلًا وسماه هيكل الآلهة ثم قام بعده قيصر آخر.

ثم آخر وكانت النصارىٰ في زمنه في هدوء وسلامة، وكانت أمه تحب النصارىٰ.

ثم قام بعده آخر فأثار علىٰ النصارىٰ بلاء عظيمًا وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من الأساقفة خلقًا كثيرًا، وقتل بترك انطاكية

فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك، وقام بعده آخر، ثم آخر.

وفي أيام هذا ظهر ماني الكذاب وزعم أنه نبي، وكان كثير الحيل والمخاريق، فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين، وأخذ من أتباعه مائتي رجل فغرس رؤسهم في الطين منكسين حتىٰ ماتوا ثم قام من بعده فيلبس فآمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله.

ثم قام بعده دانقيوس ويسمىٰ دقيانوس فلقىٰ النصارىٰ منه بلاء عظيّما وقتل منهم ما لا يحصىٰ، وقتل بترك رومية، وبنىٰ هيكلًا عظيمًا وجعل فيه الأصنام، وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل، فقتل خلقًا كثيرًا من النصارىٰ وصلبوا علىٰ الهيكل، واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم علىٰ جميع من عنده.

وكانوا لا يسجدون للأصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم ألطقهم، وخرج إلىٰ مخرج له فأخذ الفتية كل ما لهم فتصدقوا به، ثم خرجوا إلىٰ جبل فيه كهف كبير فاختفوا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات، وأمر الملك أن يبني عليهم باب الكهف ليموتوا، فأخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها في صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده. ثم مات الملك.

* بولس أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح :

ثم قام بعده قيصر آخر، وفي زمنه جعل في انطاكية بتركًا يسمىٰ بولس

الشمشاطي، وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارىٰ قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب، لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال بولس هذا -وهو أول من أفسد دين النصارىٰ-: إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانًا كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله. وقال: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد.

المجمع الأول:

قال سعيد بن البطريق وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة بولس فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا.

ثم قام قيصر آخر فكانت النصارىٰ في زمنه يصلون في المطامير والبيوت فزعًا من الروم، ولم يكن بترك الاسكندرية يظهر خوفًا أن يقتل، فقام بارون بتركا فلم يزل يداري الروم حتىٰ بنىٰ بالاسكندرية كنيسة.

ثم قام قياصرة أخر منهم اثنان تملكا علىٰ الروم إحدىٰ وعشرين سنة فأثارا علىٰ النصارىٰ بلاء عظيمًا وعذابًا أليمًا وشدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحريم والأموال وقتل ألوف مؤلفة من النصارة، وعذبوا مارجرجس أصناف العذاب ثم قتلوه، وفي زمنهما ضربت عنق بطرس بترك الإسكندرية، وكان له تلميذان، وكان في زمنه أريوس يقول: إن الأب وحده الله

الفرد الصمد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، فقال بطرس لتلميذيه: إن المسيح لعن أريوس فاحذرا أن تقبلا قوله، فأني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت يا سيدي من شق ثوبك؟ فقال لي أريوس، فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة.

وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذيه بتركا علىٰ الاسكندرية فأقام ستة أشهر ومات، ولما جرىٰ علىٰ أريوس ما جرىٰ أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله هذا البترك وأدخله الكنيسة وجعله قسيسًا، ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارىٰ ويقتلهم حتىٰ صب الله عليه النقمة فهلك شر هلكة.

ثم قام بعده قيصران: أحدهما ملك الشام وأرض الروم وبعض الشرق، والآخر رومية وما جاورها، وكانا كالسباع الضارية علىٰ النصارىٰ فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء ما لم يفعله بهم ملك قبله، وملك معهما قسطنطين أبو قسطنطين، وكان دينًا يبغض الأصنام محبًّا للنصارىٰ، فخرج إلىٰ ناحية الجزيرة والرها، فنزل في قرية من قرىٰ الرها فرأىٰ امرأة جميلة يقال لها هيلانة وكانت قد تنصرت علىٰ يدي أسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجه إياها، فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربىٰ بالرها، وتعلم حكمة اليونان، وكان جميل الوجه قليل الشر محبًّا للحكمة.

وكان عليانوس ملك الروم حينئذٍ رجلًا فاجرًا شديد البأس مبغضا للنصارىٰ جدًّا، كثير القتل فيهم، محبًّا للنساء، لم يترك للنصارىٰ بنتًا جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه، وكان النصارىٰ في جهد جهيد معه، فبلغه خبر قسطنين وأنه غلام هادئ قليل الشر كثير العلم، وأخبره المنجمون والكهنة أنه سيملك

ملكًا عظيمًا فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها، ووصل إلىٰ أبيه فسلم إليه الملك، ثم مات أبوه، وصب الله علىٰ عليانوس أنواعًا من البلاء حتىٰ تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به، فرجع إلىٰ نفسه وقال لعل هذا بسبب ظلم النصارىٰ، فكتب إلىٰ جميع عماله أن يطلقوا النصارىٰ من الحبوس، وأن يكرموهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم.

فوهب الله له العافية ورجع إلىٰ أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة، فلما صح وقوي رجع إلىٰ شر مما كان عليه، وكتب إلىٰ عماله أن يقتلوا النصارىٰ ولا يدعوا في مملكته نصرانيًّا ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية، فكان القتلىٰ يحملون علىٰ العجل ويرمىٰ بهم في البحر والصحارىٰ.

وأما قيصر الآخر الذي كان معه فكان شديدًا علىٰ النصارىٰ، واستعبد من كان برومية من النصارىٰ، ونهب أموالهم، وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

أول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين:

فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وأنه مبغض للشر محب للخير وأن أهل مملكته معه في هدو وسلامة كتب رؤساءهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم، فلما قرأ كتبهم اغتم غمًّا شديدًا وبقي متحيرًا لا يدري كيف يصنع.

قال سعيد بن البطريق فظهر له علىٰ ما يزعم النصارىٰ نصف النهار في السماء صليب من كوكب مكتوبًا حوله: بهذا تغلب. فقال لأصحابه رأيتم ما رأيت؟ قالوا نعم، فآمن حينئذٍ بالنصرانية، فتجهز لمحاربة قيصر المذكور، وصنع صليبًا كبيرًا من ذهب وصيره علىٰ رأس البند، وخرج بأصحابه فأعطىٰ النصر علىٰ قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وهرب الملك ومن بقي من أصحابه،

فخرج أهل رومية إلىٰ قسطنطين بالإكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحًا عظيمًا.

فلما دخل المدينة أكرم النصارىٰ وردهم إلىٰ بلادهم بعد النفي والتشريد، وأقام أهل رومية سبعة أيام يُعَيِّدُون للملك وللصليب، فلما سمع عليانوس جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين، فلما وقعت العين في العين انهزموا وأخذتهم السيوف، وأفلت عليانوس فلم يزل من قرية إلىٰ قرية حتىٰ وصل إلىٰ بلده، فجمع السحرة والكهنة والعرافينن الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين، وأمر ببناء الكنائس، وأقام في كل بلد من بيت المال الخراج فيما تعمل به أبنية الكنائس، وقام بدين النصرانية حتىٰ ضرب بجرانه في زمانه.

فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حاج النصارىٰ في أمر المسيح واضطربوا، فأمر بالمجمع في مدينة نيقية وهي التي رتبت فيها الأمانة بعد هذا المجمع، كما سيأتي فأراد أريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الإسكندرية.

وقال أن بطرسا قال لهم إن الله لعن أريوس فلا تقبوله ولا تدخلوه الكنيسة، وكان علىٰ مدينة أسيوط من عمل مصر أسقف يقول بقول أريوس فلعنه أيضًا، وكان بالاسكندرية هيكل عظيم علىٰ اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس يسمىٰ ميكائيل، وكان أهل مصر والاسكندرية في اثني عشر يومًا من شهر هتور وهو تشرين الثاني يُعَيِّدُون لذلك الصنم عيدًا عظيمًا ويذبحون له الذبائح الكثيرة، فلما ظهرت النصرانية بالاسكندرية أراد بتركها أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح له، فامتنع عليه أهلها، فاحتال عليهم بحيلة، وقال: لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك

الله لكان أولىٰ فإن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه إلىٰ ذلك، فكسر الصنم وجعل منه صليبًا وخرج أريوس مستعديًا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا إلىٰ قسطنطين، وقال أريوس أنه تعدىٰ علىٰ وأخرجني من الكنيسة ظلمًا.

وسئل الملك أن يشخص بترك الاسكندرية يناظره قدام الملك، فوجه قسطنطين برسول إلىٰ الاسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين أريوسن ليناظره فقال قسطنطين لاريوس اشرح مقالتك قال أريوس: أقول أن الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم انه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلىٰ ذلك الابن المسمىٰ كلمة، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، كما قال في إنجيله إن يقول وهب لي سلطانًا علىٰ السماء والأرض فكان هو الخالق لهما بما أعطىٰ من ذلك، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحًا واحدًا، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنهما جميعا مخلوقان.

فأجابه عند ذلك بترك الإسكندرية، وقال: تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ قال أريوس بل عبادة من خلقنا، فقال له البترك فإن كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقًا فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق؛ بل تصير عبادة الأب الذي خلق الابن كفرًا وعبادة الابن المخلوق إيمانًا، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك، وشنع عندهم مقالة أريوس، ودارت بينهما أيضًا مسائل كثيرة، فأمر قسطنطين البترك أن يكفر أريوس، وكل من قال بمقالته، فقال له بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والأساقفة حتىٰ يكون

لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر أريوس ويشرح الدين ويوضحه للناس.

المجمع الثاني: وفيه وضعوا الأمانة:

فبعث قسطنطين الملك إلىٰ جميع البلدان فجمع البتاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا، فكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية ومنهم من يقول: المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص الأولىٰ لا يقاد الثانية منها.

ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب؛ لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة الباد وأشياعه ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفىٰ ليكون مخلصًا للجواهر الإنسية صحبته النعمة الإلهية فحلت منه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمي ابن الله، ويقولون أن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس.

وهذه مقالة بولص وأشياعه ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما هذه مقالة مرقيون وأشياعه ومنهم من يقول: ربنا هو المسيح، وهي مقالة ثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا.

قال ابن البطريق: ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك

وأخلىٰ لهم دارا وتقدم لهم بالإكرام والضيافة، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه، فاتفق منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا علىٰ دين واحد ورأىٰ واحد وناظروا بقية الأساقفة المختلفين ففلجوا عليهم في المناظرة، وكان باقي الأساقفة مختلفي الآراء والأديان.

فصنع الملك للثلثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلسًا عظيمًا وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك إليهم، وقال لهم قد سلطتكم اليوم علىٰ المملكة فاصنعوا ما بدا لكم وما ينبغي لكم أن تضيعوا ما فيه قوام الدين وصلاح الأمة، فباركوا علىٰ الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتابًا فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها.

وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الإسكندرية وبترك انطاكية وأسقف بيت المقدس، ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل علىٰ لعن أريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته، ووضعوا الأمانة وقالوا أن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق.

واتفقوا علىٰ أن يكون فصح النصارىٰ يوم الأحد ليكون بعد فصح اليهود، وألا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحواريين إلىٰ مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء؛ لأنهم كانوا إذا صيروا واحدًا أسقفًا وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تنح عنه ما خلا البتاركة فإنهم لم يكن لهم نساء، ولا كانوا أيضًا يصيرون أحدًا له زوجة بتركًا.

قال وانصرفوا مكرمين محظوظين، وذلك في سبعة عشر سنة من ملك قسطنطين الملك، ومكث بعد ذلك ثلاث سنين أحداها كسر الأصنام وقتل من يعبدها والثانية أمر ألا يثبت في الديوان إلا أولاد النصارىٰ، ويكونون هم الأمراء والقواد والثالثة أن يقيم للناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب.

وتقدم قسطنطين إلىٰ أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة، فقالت هيلانة أمه إني نذرت أن أسير إلىٰ بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها، فدفع إليها الملك أموالا جزيلة، وسارت مع أسقف بيت المقدس، فبنت كنيسة القيامة في موضع الصليب وكنيسة قسطنطين.

ثم اجتمعوا بعد هذا مجمعًا عظيمًا ببيت المقدس، وكان معهم رجل دسة بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الإسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع إلىٰ الملك أظهر أنه مخالف لاريوس، وكان يرىٰ رأيه ويقول بمقالته، فقام الرجل وقال إن أريوس لم يقل إن المسيح خلق الإنسان ولكن قال به خلقت الأشياء لأنه كلمة الله التي بها خلقت السموات والأرض، وإنما خلق الله الأشياء بكلمته، ولم تخلق الأشياء كلمته كما قال المسيح في الإنجيل كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء وقال به كانت الحياة والحياة نور البشر وقال العالم به يكون فأخبر أن الأشياء به تكونت.

قال ابن البطريق: فهذه كانت مقالة أريوس ولكن الثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا تعدوا عليه وحرفوه ظلمًا وعدوانًا، فرد عليه بترك الإسكندرية وقال أما

أريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ولا ظلموه لأنه إنما قال الابن خالق الأشياء دون الأب، وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقًا فقد أعطىٰ أنه ما خلق منها شيئًا، وفي ذلك تكذيب قوله: الأب يخلق، وأنا أخلق وقال إن أنا لم أعمل عمل أبي فلا تصدقوني وقال كما أن الأب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته قالوا فدل علىٰ أنه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الأشياء به دون أن يكون خالقًا.

وأما قولك: إن الأشياء كونت به فإنا لما قلنا لا شك أن المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله إني أفعل الخلق والحياة كان قولك: به كوت الأشياء إنما هو راجع في لمعنىٰ إلىٰ أنه كونها وكانت به مكونة. ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان.

قال: وأما قول من قال من أصحاب أريوس: إن الأب يريد الشيء فيكونه الابن والإرادة للأب والتكوين للابن فإن ذلك يفسد أيضًا إذا كان الابن عنده مخلوقًا فقد صار حظ المخلوق في الخلق أوفىٰ من حظ الخالق فيه، وذلك أن هذا أراد وفعل وذلك أراد ولم يفعل فهذا أوفر حظًّا في فعله من ذلك، ولابد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الخير والاختيار، فإن كان مجبورًا فلا شيء له في الفعل، وإن كان مختارًا فجائز أن يطاع وجائز أن يعصىٰ، وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب. وهذا أشنع في القول.

ورد عليه أيضًا وقال: إن كان الخلاق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق

غير الخالق بلا شك فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج إلىٰ متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به، والمحتاج إلىٰ غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله.

قال فلما دحض بترك الاسكندرية حجج أولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم، وتحيروا وخجلوا فوثبوا علىٰ بترك الإسكندرية فضربوه حتىٰ كاد يموت، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بترك الإسكندرية وصار إلىٰ بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة، ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلىٰ الملك فأعلمه الخبر فصرفه إلىٰ الإسكندرية.

قال ابن البطريق: وأمر الملك ألا يسكن يهودي يبيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل، فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق، فقيل للملك: إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم علىٰ دينهم، فقال كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟ فقال بولس البترك: أن الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير.

فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم علىٰ دين اليهودية، فقال الملك إذا كان الخنزير في التوراة حرامًا فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس؟ فقال له بولس: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة، وجاء بنواميس أخر وبتوراة جديدة وهو الإنجيل، وفي إنجيله إن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس، وإنما ينجس الإنسان ما يخرج من فيه.

وقال يونس: إن بطرس رئيس الحواريين بينما هو يصلي في ست ساعات

من النهار وقع عليه سبات فنظر إلىٰ السماء قد تفتحت، وإذا زاد قد نزل من السماء حتىٰ بلغ الأرض، وفيه كل ذي أربع قوائم علىٰ الأرض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماءس، وسمع صوتًا يقول له: يا بطرس قم فاذبح وكل، فقال بطرس: يا رب ما أكلت شيئًا نجسًا قط ولا دنسًا قط، فجاء صوت ثان كل ما طهره الله فليس بنجس، وفي نسخة أخرىٰ ما طهره الله فلا تنجسه أنت، ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات.

ثم إن الزاد ارتفع إلىٰ السماء، فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه، فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغارًا وتصير علىٰ أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنازير، فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لأجل ذلك خلق كثير.

ثم هلك قسطنطين وقام بعده أكبر أولاده واسمه قسطنطين، وفي أيامه اجتمع أصحاب أريوس ومن قال بمقالته إليه فحسنوا لهم دينهم ومقالتهم وقالوا إن الثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطئوا وحادوا عن الحق في قولهم إن الابن متفق مع الأب في الجوهر، فأمر ألا يقال هذا فإنه خطأ، فعزم الملك علىٰ فعله، فكتب إليه أسقف بيت المقدس ألا يقبل قول أصحاب أريوس فإنهم حائدون عن الحق وكفار، وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله.

قال ابن البطريق: وفي ذلك الوقت أعلنت مقالة أريوس علىٰ قسطنطينية وانطاكية والإسكندرية، وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين هذا صار علىٰ أنطاكية بترك أريوسي ثم بعده آخر مثله، قال: وأما أهل مصر والإسكندرية وكان أكثرهم

أريوسيين ومانيين فغلبوا علىٰ كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا علىٰ بترك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفىٰ.

ثم ذكر جماعة من البتاركة والأساقفة من طوائف النصارىٰ وما جرىٰ لهم مع بعضهم بعضًا، وما تعصبت به كل طائفة لبتركها حتىٰ قتل بعضهم بعضًا واختلف النصارىٰ أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضًا ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين.

المجمع الثالث:

فكان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد إلىٰ الملك، وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة أريوس ومقدونيس، فاكتب إلىٰ جميع الأساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك إلىٰ سائر بلاده.

فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفًا، فنظروا وبحثوا في مقالة أريوس فوجدوها أن روح القدس مخلوق، ومصنوع ليس باله، فقال بترك الإسكندرية ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته، فإذا قلنا إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي، وذلك كفر به.

فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبتاركتهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من إله حق من طبيعة الأب والابن جوهر واحد وطبيعة

واحدة، وزادوا في الأمانة التي وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر ونؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الأب منبثق الذي مع الأب والابن وهو مسجود وممجد وكان في تلك الأمانة وبروح القدسس: فقط.

وبينوا أن الابن والأب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاث وجوه وثلاث خواص، وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة، وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية فأنفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيرا من أساقفتهم وأشياعهم.

المجمع الرابع:

ثم بعد إحدىٰ وخمسين سنة من هذا المجمع كان لهم مجمع رابع علىٰ نسطورس، وكان رأيه أن مريم ليست بوالدة افله علىٰ الحقيقة، ولذلك كان اثنان: أحدهما الإله الذي هو موجود من الأب، والآخر إنسان وهو الموجود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله، ويقال له إله وابن الإله ليس علىٰ الحقيقة ولكن موهبة واتفاق الاسمين علىٰ طريق الكرامة.

فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا علىٰ تخطئته واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة أفسيس وأرسلوا إليه للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فاجمعوا علىٰ لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلها وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان.

فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك انطاكية فجمع الأساقفة فلم يزل الملك حتىٰ الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرىٰ بينهم شر فتفاقم أمرهم ثم أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة أن مريم القديسة ولدت

إلها وهو ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وأقروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس.

فلما لعنوه ونفىٰ سار إلىٰ مصر وأقام في أخميم سبع سنين ومات ودفن بها، وماتت مقالته إلىٰ أن أحياها ابن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فأكثر نصارىٰ المشرق والعراق نسطورية فانفض ذلك المجمع الرابع أيضًا وقد اطبقوا علىٰ لعن نسطوري وأشياعه ومن قال بمقالته.

المجمع الخامس:

ثم كان لهم بعد هذا المجمع مجمع خامس وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب يقال له أوطيسوس يقول: إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة، وإن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة، وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية فرحل إليه بعض الأساقفة فناظرهن وقطعه ودحض حجته، ثم صار إلىٰ قسطنطينية فاخبر بتركها بالمناظرة وبإنقطاعه فأرسل بترك القسطنطينية إليه فاستحضره وجمع جمعًا عظيمًا وناظره.

فقال أوطيوس: إن قلنا أن المسيح طبيعتين فقد قلنا بقول نسطورس، ولكنا نقول إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد؛ لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد، فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا، فقال له بترك القسطنطينة: إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة، وإن كان القديم هو المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد.

فأبي أن يرجع عن مقالته فلعنوه، فاستعدىٰ إلىٰ الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب إلىٰ جميع البتاركة للمناظرة، فاستحضر الملك البتاركة والأساقفة، من سائر البلاد إلىٰ مدينة أفسيس، فثبت بترك الإسكندرية مقالة أوطيسوس، وقطع بتارك القسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس وسائر البتاركة والأساقفة، وكتب إلىٰ بترك رومية وإلىٰ جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربنان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس، ففسدت الأمانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر، والإسكندرية وهو مذهب اليعقوبية، فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته.

المجمع السادس:

فصل:

ثم كان لهم بعد هذا مجمع سادس في مدينة حلقدون، فأنه لما مات الملك ولىٰ بعده مرقيون فاجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد فاعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الأنصاف، وإن مقالة أوطيسوس قد غلبت علىٰ الناس وأفسدت دين النصرانية، فأمر الملك باستحضار سائر البتاركة والمطارنة والأساقفة إلىٰ مدينة حلقدون فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفًا، فنظروا في مقالة أوطيسوس وبترك الإسكندرية الذي قطع جميع البتاركة فأفسد الجميع مقالتهما ولعنوهما، وأثبتوا أن المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا بالناسوت، يعرف بطبيعتين تام باللاهوت وتام بالناسوت ومسيح واحد.

وثبتوا أقوال الثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا، وقبلوا قولهم بأن الابن مع الله في المكان نور من نور إله حق من إله حق، ولعنوا أريوس، وقالوا إن روح القدس إله، وإن الأب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة، وثبتوا أن مريم العذراء ولدت إلهًا ربنا اليسوع المسيح الذي هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة، وشهدوا أن للمسيح طبيعتين وأقنومًا واحدًا، ولعنوا نسطورس وبترك الإسكندرية، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بافسيس، ثم المجمع الثالث المأتي أسقف بمدينة أفسيس أول مرة، ولعنوا نسطورس، وبين نسطورس إلىٰ مجمع حلقدون أحد وعشرون سنة، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدميهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرؤوا منهم ومن مقالاتهم.

المجمع السابع:

ثم كان لهم بعد هذا المجمع مجمع سابع في أيام أنسطاس الملك، وذلك أن سورس القسطنطيني كان علىٰ رأىٰ أوطيسوس، فجاء إلىٰ الملك فقال إن المجمع الحلقدوني الستمائة وثلاثين قد أخطئوا في لعن أوطيسوس وبترك الإسكندرية، والدين الصحيح ما قالاه فلا يقبل دين من سواهما، ولكن اكتب إلىٰ جميع عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد، فأجابه الملك إلىٰ ذلك.

فلما بلغ ذلك إيليا بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا أنسطاس الملك وسورس ومن يقول بمقالتهما، فبلغ ذلك أنسطاس ونفاه إلىٰ أيلة، وبعث يوحنا بتركا علىٰ بيت المقدس لأن يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع

الحلقدوني الستمائة وثلاثين.

فلما قدم إلىٰ بيت المقدس إجتمع الرهبان وقالوا إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الحلقدوني ونحن معك، فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك، فبلغ ذلك الملك فأرسل قائدًا وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الحلقدوني، فأن لم يفعل ينفيه عن الكرسي، فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار إليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك، فإذا حضر فليقر بلعنة من لعنه الرهبان.

ففعل ذلك، واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب معهم مدرس وسابا ورؤساء الديرات، فلعنوا أوطيسونس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الحلقدوني، وفزع رسول الملك من الرهبان، وبلغ ذلك الملك فهم بنفي يوحنا، فاجتمع الرهبان والأساقفة فكتبوا إلىٰ أنسطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحد من المخالفين ولو أهريقت دماؤهم وسألوه أن يكف أذاه عنهم، وكتب بترك رومية إلىٰ الملك يقبح فعله ويلعنه.

فانفض هذا المجمع أيضًا وقد تلاعنت فيه هذه الجموع علىٰ ما وصفنا!! وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالة سورس، وكان يسمىٰ يعقوب البرادعي وإليه تنسب اليعاقبة فأفسد أمانة النصارىٰ، ثم مات أنسطاس وولىٰ قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك إلىٰ موضعه، وأجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيدًا حسنًا بزعمهم، وأثبتوا المجمع الحلقدوني بالستمائة وثلاثين أسقفًا.

ثم ولىٰ ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا علىٰ الإسكندرية وقتلوا بتركًا

لهم يقال له بولس كان ملكيًّا، فأرسل قائدًا ومعه عسكر عظيم إلىٰ الإسكندرية، فدخل الكنيسة في ثياب البترك، وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتىٰ كادوا يقتلونه فانصرف، ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك، وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الأحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالاسكندرية حتىٰ حضر لسماع كتاب الملك.

وقد جعل بينه وبين جنده علامة إذا هو فعلها وضعوا السيف في الناس، فصعد المنبر وقال: يا معشر أهل اسكندرية! إن رجعتم إلىٰ الحق وتركتم مقالة اليعاقبة وإلا لن تأمنوا أن يرسل اليكم الملك من يسفك دمائكم، فرموه بالحجارة حتىٰ خاف علىٰ نفسه أن يقتل، فاظهر العلامة فوضعوا السيف علىٰ كل من في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لا تحصىٰ كثرة حتىٰ خاض الجند في الدماء، وهرب منهم خلق كثير، وظهرت مقالة الملكية.

المجمع الثامن:

ثم كان لهم بعد ذلك مجمع ثامن بعد المجمع الحلقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين، وذلك أن أسقف منبج -وهي بلدة شرقي حلب بالقرب منها، وهي مخسوفة الآن- كان يقول بالتناسخ وأن ليس قيامة، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة، فحشرهم الملك إلىٰ قسطنطينية، فقال لهم بتركها إن كان جسده خيالًا فيجب أن يكون فعله خيالًا وقوله خيالًا وكل جسد يعاين لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك.

وقال لأسقف منبج: إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة، وقال في إنجيله: لن تأتي الساعة حتىٰ إن كل من في القبور إذا سمعوا قول ابن الله يجيبوا فكيف تقولون ليس قيامة؟!

فأوجب عليهم الخزي واللعن، وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه، واستحضر بتاركة البلاد، فاجتمع في هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفًا، فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة، وثبوا علىٰ قول أسقف الرها أن جسد المسيح حقيقة لا خيال، وأنه إله تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد، وثبتوا المجامع الأربعة التي قبلهم بعد المجمع الحلقدوني، وأن الدنيا زائلة، وأن القيامة كائنة، وأن المسيح يأتي بمجد عظيم فيدين الأحياء والأموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر.

المجمع التاسع:

فصل ثم كان لهم مجمع تاسع في أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه، وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له مقسلمس وله تلميذان، فجاء إلىٰ قسطًا الوالي فوبخه علىٰ قبح مذهبه وشناعة كفره، فأمر به قسطًا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه، وفعل بأحد التلميذين مثله، وضرب الآخر بالسياط ونفاه، فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذي كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الآباء القديسين كل من استحق اللعنة.

فبعث إليه مائة وأربعين أسقفا وثلاث شمامسة فلما وصلوا إلىٰ قسطنطينية

جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفا فصاروا ثلثمائة وثمانية، وأسقطوا الشمامسة في البر طحة، وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية، ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بترك، فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم، وسموهم واحدًا واحدًا وهم جماعة، ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة.

ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم فقالوا: نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم، المستوي مع الأب الإله في الجوهر، الذي هو ربنا اليسوع المسيح بطبيعتين تامتين، وفعلين، ومشيئتين في أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تامًّا بلا هوته تامًّا بناسوته، وشهدت كما شهد مجمع الحلقدونية علىٰ ما سبق أن الإله الابن في آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسدًا إنسانًا بنفسين.

وذلك برحمة الله تعالىٰ محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان ن يعمله في طبيعته وما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته الذي هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة إلىٰ أن صارت في الحقيقة لحمًا كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلي، وليست بمتغيرة لكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهي، وإنسي الذي بهما يكون القول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها، مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين، ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة علىٰ كل شيء هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الحلقدوني، وثبتوا ما ثبته الخمس مجامع التي كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه، وبين المجمع الخامس إلىٰ هذا المجمع مائة سنة.

المجمع العاشر:

فصل ثم كان لهم مجمع عاشر لما مات الملك وولىٰ بعده ابنه، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان علىٰ الباطل، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفًا فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم، وثبتوا قول المجامع الخمسة، ولعنوا من لعنوا وانصرفوا.

فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصارىٰ وقدماؤهم وناقلوا الدين إلىٰ المتأخرين وإليهم يستند من بعدهم، وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة علىٰ زهاء أربعة عشر ألفًا من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضًا، فدينهم إنما قام علىٰ اللعنة بشهادة بعضهم علىٰ بعض وكل منهم لا عن ملعون.

لو عرض دين النصرانية علىٰ قوم لم يعرفوا لهم إلهًا لامتنعوا من قبوله:

فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخيارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترىٰ، ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لا عن وملعون لا يثبت لهم قدم، ولا يتحصل لهم قول في معرفة معبودهم، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه.

فما الظن بحثالة الماضين، ونفاية الغابرين، وزبالة الحائرين، وذرية الضالين، وقد طال عليهم الأمد، وبعد العهد، وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان.

وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالأنعام، وإن كانوا في صور الأنام، بل هم كما قال تعالىٰ ومن أصدق من الله قيلًا: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧]. ومن أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم، وأمة اللعن بشهادتهم علىٰ نفوسهم بلعن بعضهم بعضًا.

وقد لعنهم الله سبحانه علىٰ لسان رسوله في قوله ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبول أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوه.

هذا والكتاب واحد، والرب واحد، والنبي واحد، والدعوىٰ واحدة، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه.

ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين، فمنهم من يقول إنه إله، ومنهم من يقول ابن الله، ومنهم من يقول ثالث ثلاثة، ومنهم من يقول إنه عبد، ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة، ومنهم من يقول أقنومان وطبيعتان، إلىٰ غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم، وكل منهم يكفر صاحبه.

فلو أن قومًا لم يعرفوا لهم إلهًا ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله، فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علمًا يضارع المحسوسات أو يزيد عليها: أن الدين عند الله الإسلام. اهـ كلام ابن القيم رحمه الله.

بطلان دين النصارىٰ سواء صدقوا برسالة النبيﷺ أم كذبوا:

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢-٢٢/ ٢٩): في هذا الكتاب كفر النصارىٰ في غير موضع ودعاهم إلىٰ الإيمان به وأمر بجهادهم، فمن علم أنه نبي ولو إلىٰ طائفة معينة يجب تصديقه في كل ما أخبر به، وقد أخبر بكفر النصارىٰ وضلالهم.

وإذا ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول، بل يعلم من حيث الجملة أن كل ما يحتجون به علىٰ صحة دينهم فهو باطل وإن لم يبين فساد حججهم علىٰ التفصيل؛ لأن الأنبياء لا يقولون إلا حقًّا.

كما أن المسيح عليه السلام لما حكم بكفر من كذبه من اليهود كان كل ما يحتج به اليهود علىٰ خلاف ذلك باطلًا، فكل ما عارض قول النبي المعصوم فهو باطل.

وإن كذبوا محمدًا تكذيبًا عامًّا مطلقًا وقالوا ليس هو نبي أصلًا ولا أرسل إلىٰ أحدٍ لا إلىٰ العرب ولا إلىٰ غيرهم، بل كان كذابًا، امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسىٰ وعيسىٰ يعلم به نبوة محمد بطريق الأولىٰ.

فإذا قالوا علمت نبوة موسىٰ والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا.

قيل لهم معجزات محمد أعظم وتواترها أبلغ والكتاب الذي جاء به محمد أكمل وأمته أفضل وشرائع دينه أحسن، وموسىٰ جاء بالعدل وعيسىٰ جاء بتكميلها بالفضل، وهو قد جمع في شريعته بين العدل والفضل.

فإن ساغ لقائل أن يقول هو مع هذا كاذب مفتر كان علىٰ هذا التقدير الباطل غيره أولىٰ أن يقال فيه ذلك فيبطل بتكذيبهم محمدًا جميع ما معهم من النبوات إذ حكم أحد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو أولىٰ منه.

فلو قال قائل إن هارون ويوشع وداود وسليمان كانوا أنبياء وموسىٰ لم يكن نبيًّا أو أن داوود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبيًّا.

أو قال ما تقوله السامرة أن يوشع كان نبيًّا ومن بعده كداوود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء.

أو قال ما يقوله اليهود إن داوود وسليمان وأشعيا وحبقوق ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء والمسيح بن مريم لم يكن نبيًّا كان هذا قولًا متناقضًا معلوم البطلان.

فإن الذين نفىٰ هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن أثبتوها له ودلائل نبوة الأكمل أفضل فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل، ومن قال إن داوود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء ومحمد بن عبد الله لم يكن نبيًّا فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه.

بل وكذلك من قال إن موسىٰ وعيسىٰ رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله، ومحمد ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله؛ فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد وما جاء به من قبله وتدبر كتابه والكتب التي قبله وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء.

وهذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضع، لكن المقصود هنا

التنبيه علىٰ مجامع جوابهم.

وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل علىٰ صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضًا علىٰ المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء فإن جمهور المسلمين، إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.

وأيضًا فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولىٰ فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحد من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمة مما جاء به.

أهم الأفكار والمعتقدات:

يمكن إجمال أفكار معتقدات النصرانية بشكل عام فيما يلي:

- **الألوهية والتثليث**: مع أن النصرانية في جوهرها تُعنىٰ بالتهذيب الوجداني، وشريعتها هي شريعة موسىٰ عليه السلام، وأصل اعتقادها هو دين الإسلام حيث يقول النبي ﷺ: «**الأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**».

لكنه بعد ضياع الإنجيل وظهور العشرات من الأناجيل والمجامع والدعاوىٰ المنحرفة استقرت أصول عقائد النصرانية علىٰ ما يلي:

- **الإله**: الإيمان بالله الواحد، الأب مالك كل شيء، وصانع ما يرىٰ وما

لا يرىٰ. هكذا في قانون إيمانهم، وواضحٌ تأثُّرهم بألفاظ الفلاسفة في قولهم صانع ما يرىٰ.

والأولىٰ قولهم خالق ما يرىٰ وما لا يرىٰ حيث بينهما فرق كبير؛ فالصانع يخلق علىٰ أساس مثال سابق، بينما الخالق علىٰ العكس من ذلك.

- **المسيح**: إن ابنه الوحيد يسوع المسيح بكر الخلائق ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع -تعالىٰ الله عن كفرهم علوًّا كبيرًا-، ومنهم من يعتقد أنه هو الله نفسه -سبحانه وتعالى عن إفكهم-.

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ كلا المذهبين، وبيَّن فسادهما، وكفَّر معتقدهما؛ يقول تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢].

- **روح القدس**: إن روح القدس الذي حلَّ في مريم لدىٰ البشارة، وعلىٰ المسيح في العماد علىٰ صورة حمامة، وعلىٰ الرسل من بعد صعود المسيح، الذي لا يزال موجودًا، وينزل علىٰ الآباء والقديسين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم ويحل عليهم المواهب، ليس إلا روح الله وحياته، إله حق من إله حق.

- **الأقانيم**: ولذلك يؤمنون بالأقانيم الثلاثة: الأب، الابن، الروح القدس، بما يُسمونه في زعمهم وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية.

وذلك زعمٌ باطل صعُب عليهم فهمه، ولذلك اختلفوا فيه اختلافًا متباينًا، وكفرت كل فرقة من فرقهم الأخرىٰ بسببه.

وقد حكم الله تعالىٰ بكفرهم جميعًا إن لم ينتهوا عما يقولون، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

- **الصلب والفداء**: المسيح في نظرهم مات مصلوبًا فداءً عن الخليقة، لشدة حب الله للبشر ولعدالته، فهو وحيد الله -تعالىٰ الله عن كفرهم- الذي أرسله ليخلص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم، وأنه دفن بعد صلبه، وقام بعد ثلاثة أيام متغلبًا علىٰ الموت ليرتفع إلىٰ السماء.

قال تعالىٰ مبينًا حقيقة ما حدث وزيف ما ادعوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

قال شيخ الإسلام في بيان فساد حادثة الصلب الجواب الصحيح (٢/ ١٠٨):

الوجه الرابع: أنه من العجب أن تعد النصارىٰ مثل هذا ظلمًا خارجًا عن العدل، وهم قد نسبوا إلىٰ الله من الظلم العظيم علىٰ هذا الأصل ما لم ينسبه إليه أحد من الأمم كما سبوه وشتموه مسبة ما سبه إياها أحد من الأمم، فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده وحمده والثناء عليه.

وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلىٰ أن جاء المسيح وصلب، وأنه كانت الذرية في حبس إبليس، فمن مات منهم ذهبت روحه إلىٰ جهنم في حبس إبليس حتىٰ قالوا ذلك في الأنبياء نوح وإبراهيم وموسىٰ وداود وسليمان وغيرهم، ومعلوم أن

إبراهيم كان أبوه كافرًا ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه فكيف يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد، هذا لو قدر أن آدم لم يتب فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة.

ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصيًا لله مستحقًّا للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم إلىٰ حين مبعث المسيح والرب قادر علىٰ عقوبته وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء والتي لا تصلح أن تضاف إلىٰ أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر علىٰ تعلمه وفيه صلاح معاشه ومعاده.

ويجعلون مثل هذا موجبًا لتكذيب كتابه ورسله والإصرار علىٰ تبديل الكتاب الأول وتكذيب الكتاب الآخر وعلىٰ أنه يتضمن مخالفة موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء والرسل، وقالوا فلما أقام الله الحجة علىٰ إبليس جاز للرب حينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من إذهابهم إلىٰ الجحيم وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم إلىٰ الله ما يطول وصفه فمن هذا قوله فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحا ما قدحه فيه أحد.

وذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره وإن كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم وهم قالوا إنما أخذهم بذنب آدم.

الثاني: أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين وكلهم بالنسبة إلىٰ آدم سواء وهم أيضًا يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين فكيف جاز تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح.

الوجه الثالث: أن يقال أخذ إبليس لذرية آدم وإدخالهم جهنم إما أن يكون ظلمًا من إبليس، وإما أن يكون عدلًا فإن كان عدلًا فلا لوم علىٰ إبليس، ولا يجوز أن يحتال عليه ليمتنع من العدل الذي يستحقه، بل يجب تمكينه من المتأخرين والمتقدمين وإن كان ظلمًا فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح، فإن قيل لم يقدر فقد نسبوه إلىٰ العجز وإن قيل قدر علىٰ دفع ظلم إبليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان إن جاز ذلك جاز في كل زمان وإن امتنع امتنع في كل زمان.

الوجه الرابع: أن إبليس إن كان معذورًا قبل المسيح فلا حاجة إلىٰ عقوبته ولا ملام عليه وإن لم يكن معذورًا استحق العقوبة ولا حاجة إلىٰ أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه.

الوجه الخامس: إنه بتقدير أنه لم يقم عليه الحجة قبل الصلب فلم يقم عليه حجة بالصلب فإنه يمكنه أن يقول أنا ما علمت أن هذا الناسوت هوناسوت الرب وأنت يا رب قد أذنت لي أن آخذ جميع ذرية آدم فأوديهم إلىٰ الجحيم فهذا واحد منهم وما علمت أنك أو ابنك اتحد به ولو علمت ذلك لعظمته فأنا معذور في ذلك فلا يجوز أن تظلمني.

الوجه السادس: أن نقول أن إبليس يقول حينئذٍ يا رب، فهذا الناسوت الواحد أخطأت في أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحهم في جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح إما بذنب أبيهم وإما بخطاياهم أنفسهم وحينئذٍ فإن كان ما يقوله النصارىٰ حقًّا فلا حجة لله علىٰ إبليس.

الوجه السابع: أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بني آدم علىٰ ذنوبهم هي إلىٰ الله أو إلىٰ إبليس فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم، ثم له أن يعاقبهم جميعًا بغير إذن من الله في ذلك وهل هذا القول إلا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئًا من ذلك.

الوجه الثامن: أن يقال إبليس عاقب بني آدم وأدخلهم جهنم بإذن الله أو بغير إذنه إن قالوا بإذنه فلا ذنب له ولا يستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع وإن كان بغير إذنه، فهل جاز في عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز، فإن جاز ذلك في زمان جاز في جميع الأزمنة وإن لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال هل كان الله قادرًا علىٰ منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلًا منه لو فعله أم لا، فإن كان ذلك مقدورًا له وهو عدل منه لم يحتج أن يحتال علىٰ إبليس ولا يصلب نفسه أو ابنه، ثم إن كان هذا العدل واجبًا عليه وجب منع إبليس وإن لم يكن واجبًا جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان وإن قيل لم يكن قادرًا علىٰ منع إبليس فهو تعجيز للرب عن منع

إبليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل.

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفار اليهود الذين صلبوه طاعة لله أو معصية، فإن كان طاعة لله استحق اليهود الذين صلبوه أن يثيبهم ويكرمهم علىٰ طاعته كما يثيب سائر المطيعين له.

وإن كان أولئك اليهود عصاة لله فهل كان قادرًا علىٰ منعهم من هذه المعصية أم لا، فإن لم يكن قادرًا لم يكن قادرًا علىٰ منع إبليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل، وإن كان قادرًا علىٰ منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادرًا علىٰ منع إبليس بدون هذه الحيلة، وإذا كان حسنًا منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسنًا منه تمكين إبليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل، فلا حاجة إلىٰ الحيلة عليه.

واعلم أن الوجوه الدالة علىٰ فساد دين النصارىٰ كثيرة جدًّا، وكلما تصور العاقل مذهبهم وتصور لوازمه تبين له فساده.

لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه سبحانه عدلًا لا يأمر الناس بما يعجزون عنه، وهو سبحانه لم يأمرهم إلا بما يقدرون عليه وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من بني آدم يوضح هذا.

الوجه الحادي عشر: وهو أنه إما أن يقال في الظلم بقول الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل ما يشاء بلا حكمة ولا سبب ولا مراعاة عدل وإما أن يقال بقول القدرية أنه يجب عليه العدل الذي يجب علىٰ المخلوقين.

وإما أن يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوق

فهذه أقوال الناس الثلاثة، فإن قيل بالأول جاز أن يسلط إبليس علىٰ جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعًا بلا ذنب ولا حاجة حينئذٍ إلىٰ الحيلة علىٰ إبليس.

وإن قيل بالثاني فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمر غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الآمر والمأمور جميعًا.

وأما تسليطه للآمر علىٰ عقوبة المأمور فليس من العدل، وكذلك تسليط الآمر الظالم علىٰ جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل، وإن قيل بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه قيل فحينئذٍ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتيال عليه.

الوجه الثاني عشر: أن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال علىٰ إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم فإن المنع من الشر الكثير أولىٰ من المنع من الشر القليل. اهـ

- **الدينونة والحساب**: يعتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولًا للمسيح عيسىٰ بن مريم الجالس -في زعمهم- علىٰ يمين الرب في السماء؛ لأن فيه من جنس البشر مما يعينه علىٰ محاسبة الناس علىٰ أعمالهم.

- **الصليب**: يعتبر الصليب شعارًا لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحملُه علامة علىٰ أنهم من أتباع المسيح، ولا يخفىٰ ما في ذلك من خفة عقولهم وسفاهة رأيهم، فمن الأولىٰ لهم أن يكرهوا الصليب ويحقروه لأنه كان أحد الأدوات التي صلب عليه إلههم وسبب آلامه.

وعلىٰ حسب منطقهم فكان الأولىٰ بهم أن يعظموا قبره الذي زعموا أنه دفن فيه، ولا مس جسده تربته فترة أطول مما لامس الصليب.

- **مريم البتول**: يعتقد النصارىٰ علىٰ ما أضيف في قانون الإيمان أن مريم ابنة عمران والدة المسيح عليه السلام، هي والدة الإله، ولذا يتوجَّه البعض منهم إليها بالعبادة.

- **الدين**: يؤمن النصارىٰ بأن النصرانية دين عالمي غير مختص ببني إسرائيل وحدهم، ولا يخلو اعتقادهم هذا أيضًا من مخالفة لقول المسيح المذكور في إنجيل متىٰ، الإصحاح(٦،٥:١٠): إلىٰ طرق الأمم لا تتجهوا، ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلىٰ الخراف الضالة من آل بني إسرائيل.

- **الكتاب المقدس**: يؤمن النصارىٰ بقدسية الكتاب المشتمل علىٰ:

العهد القديم: والذي يحتوي التوراة -الناموس- وأسفار الأنبياء التي تحمل تواريخ بني إسرائيل وجيرانهم، بالإضافة إلىٰ بعض الوصايا والإرشادات.

العهد الجديد: والذي يشمل الأناجيل الأربعة: (متىٰ، مرقس، لوقا، يوحنا) فقط، والرسائل المنسوبة للرسل، علىٰ أن ما في العهد الجديد يلغي ما في العهد القديم، لأنه في اعتقادهم كلمة الله، وذلك علىٰ خلاف بين طوائفهم في الاعتقاد في عدد الأسفار والرسائل بل وفي صحة التوراة نفسها.

المجامع (التقليد): يؤمن النصارىٰ بكل ما صدر عن المجامع المسكونية من أمور تشريعية سواء في العقيدة أو في الأحكام، وذلك علىٰ خلاف بينهم في عددها.

- **الختان**: يؤمن النصارىٰ بعدم الختان للأطفال علىٰ عكس شريعة التوراة.

الشعائر والعبادات:

- **الصلاة**: الأصل عندهم في جميع الصلوات إنما هي الصلاة الربانية، والأصل في تلاوتها أن يتلوها المصلي ساجدًا، أو تكون بألفاظ منقولة أو مرتجلة أو عقلية بأن تنوي الألفاظ ويكون الابتهال قلبيًّا، وذلك علىٰ خلاف كبير بين طوائفهم في عددها وطريقة تأديتها. ليس لها عدد معلوم مع التركيز علىٰ صلاتي الصباح والمساء.

- **الصوم**: هو الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته مقتصرين علىٰ أكل البقول، وتختلف مدته وكيفيته من فرقة إلىٰ أخرىٰ.

- **الأسرار السبعة**: والتي ينال بها النصراني النعم غير المنظورة في صورة نعم منظورة، ولا تتم إلا علىٰ يد كاهن شرعي، ولذا فهي واجبة علىٰ كل نصراني ممارستها وإلا أصبح إيمانه ناقصًا.

وبالجملة فإنها من ضمن التشريعات التي لم يُنزل الله بها من سلطان، وإنما هي من تخرُّصات البابوات.

- **سر التعميد**: ويقصد به تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغطاسهم في الماء أو الرش به باسم الأب والابن والروح القدس، لتمحي عنهم آثار الخطيئة الأصلية، بزعم إعطاء الطفل شيئًا من الحرية والمقدرة لعمل الخير، وهذا أيضًا علىٰ خلاف بينهم في صورته ووقته.

- **سر التثبيت (الميرون)**: ولا يكون إلا مرة واحدة، ولا تكمل المعمودية إلا به، حيث يقوم الكاهن بمسح أعضاء المعتمد بعد خروجه من جرن المعمودية

في ستة وثلاثين موضعًا -الأعضاء والمفاصل- بدهن الميرون المقدس.

- **سر العشاء الرباني**: ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف؛ حيث يتحول في زعمهم الماء أو الخمر إلىٰ دم المسيح، والخبز إلىٰ عظامه، وبذلك فإن من يتناوله فإنما يمتزج في تعاليمه بذلك، وكذلك ففرقُهم علىٰ خلاف في الاستحالة بل وفي العشاء نفسه.

- **سر الاعتراف**: وهو الإفضاء إلىٰ رجل الدين بكل ما يقترفه المرء من آثام وذنوب، ويتبعه الغفران والتطهير من الذنب بسقوط العقوبة، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدىٰ الحياة، ولكن منذ سنة ١٢١٥م أصبح لازمًا مرة واحدة علىٰ الأقل، وهذه الشعيرة عندهم أيضًا مما اختُلِف في وجوبها وإسقاطها.

- **سر الزواج**: يُسمح الزواج بزوجة واحدة مع منع التعدد الذي كان جائزًا في مطلع النصرانية، ويُشترط عند الزواج حضور القسيس ليقيم وحده بين الزوجين، والطلاق لا يجوز إلا في حالة الزنا -علىٰ خلاف بينهم-، ولا يجوز الزواج بعده مرة أخرىٰ، بعكس الفراق الناشئ عن الموت، أما إذا كان أحد الزوجين غير نصراني فإنه يجوز التفريق بينهما.

- **سر مسحة المرضىٰ**: وهو السر السادس بزعم شفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية وهي الخطيئة، ولا يمارس الكاهن صلوات القنديل السبع إلا بعد أن يتثبَّت من رغبة المريض في الشفاء.

- **سر الكهنوت**: وهو السر الذي ينال به الإنسان بزعمهم النعمة التي تؤهِّله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح بين إخوانه من البشر، ولا يتم إلا بوضع يد الأسقف علىٰ رأس الشخص المنتخب ثم يتلىٰ عليه الصلوات الخاصة برسم الكهنة.

- **الرهبانية:** اختلفت طوائفهم في مدىٰ لزوم الرهبنة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها.

- **الهرطقة ومحاربتها:** حاربت الكنيسة العلوم والاكتشافات العلمية وكل المحاولات الجديدة لفهم كتابهم المقدس، ورمت ذلك كله بالهرطقة، وواجهت هذه الاتجاهات بمنتهىٰ العنف والقسوة، مما أوجد ردة فعل قوية تمثَّلت في ظهور المذاهب العلمانية والأفكار الإلحادية.

تأثر الديانة النصرانية بالديانات الوثنية :

- تأثرت النصرانية بديانة متراس التي كانت موجودة في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون التي تتضمن قصة مثيلة لقصة العشاء الرباني.

- في الهندوسية تثليث، وأقانيم، وصلب للتكفير عن الخطيئة، وزهد ورهبنة، وتخلُّص من المال للدخول في ملكوت السموات، والإله لديهم له ثلاثة أسماء فهو فشنو أي الحافظ وسيفا المهلك وبرهما المُوجِد، وكل ذلك انتقل إلىٰ النصرانية بعد تحريفها.

- انتقلت بعض معتقدات وأفكار البوذية التي سبقت النصرانية بخمسة قرون إلىٰ النصرانية المحرَّفة، وإن علم مقارنة الأديان يكشف تطابقًا عجيبًا بين شخصية بوذا وشخصية المسيح عليه السلام. (انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير).

- خالطت عقيدة البابليين القديمة النصرانية إذ أن هناك محاكمة لبعل إله الشمس تُماثِل وتطابق محاكمة المسيح عليه السلام.

اليهودية تعاريف وصلاة وعبادات

الأفكار والمعتقدات:

* الفِرَق اليهودية:

الفريسيون: أي المتشددون، يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون علىٰ مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر.

الصدقيون: وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة قتلوا فيها الرومان، وكذلك كلَّ من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فأطلق عليهم اسم السفَّاكين.

الكتبة أو النُّساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراءً فاحشًا علىٰ حساب مدارسهم ومريديهم.

القرّاءون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوىٰ حريتهم في شرح التوراة.

السامريون: طائفة من المتهوّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جِبَالِ بيت المقدس، أثبتوا نبوة موسىٰ وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم، ظهر فيهم رجل، يقال له الألفان، ادعىٰ النبوة، وذلك قبل المسيح بمائة سنة.

وقد تفرقوا إلىٰ دوستانية وهم الألفانية، وإلىٰ كوستانية أي الجماعة المتصوفة، وقبلة السامرة إلىٰ جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ الذي دخل الإسلام ليدمره من الداخل، فهو الذي نقل الثورة ضد عثمان من القول إلىٰ العمل مشعلًا الفتنة، وهو الذي دسَّ الأحاديث الموضوعة ليدعم بها رأيه، فهو رائد الفتن السياسية الدينية في الإسلام.

*** كتبهم:**

- **العهد القديم**: وهو مقدس لدىٰ اليهود والنصارىٰ إذ إنه سجِّل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء.

وينقسم إلىٰ قسمين:

١- **التوراة**: وفيه خمسة أسفار: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاوين،

الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليه اسم أسفار موسىٰ.

١ - **أسفار الأنبياء**: وهي نوعان:

أ- أسفار الأنبياء المتقدمين: يشوع، يوشع بن نون، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.

ب- أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، يونس، ميخا، ناحوم، حَبَقّوق، صَفَنيا، حجّىٰ، زكريا، ملاخي.

- **وهناك الكتابات، وهي**:

١ - الكتابات العظيمة: المزامير، الزبور، الأمثال، أمثال سليمان، أيوب.

٢- المجلات الخمس: نشيد الإنشاد، راعوت، المرائي، مرائي إرميا، الجامعة، أستير.

٣- الكتب: دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

هذه الأسفار السابقة الذكر معترف بها لدىٰ اليهود، وكذلك لدىٰ البروتستانت.

أما الكنيسة الكاثوليكية: فتضيف سبعة أخرىٰ هي: طوبيا، يهوديت، الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابين الأول،المكابين الثاني.

كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلًا من سفر صموئيل الأول والثاني.

استير ويهوديت: كل منهما أسطورة تحكي قصة امرأة تحت حاكم من غير بني إسرائيل حيث تستخدم جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود، فضلًا عن تقديم خدمات لهم.

* أعيادهم:

- **يوم الفصح**: وهو عيد خروج بني إسرائيل من مصر، يبدأ من مساء ١٤ أبريل وينتهي مساء ٢١ منه ويكون الطعام فيه خبزًا غير مختمر.

- **يوم التكفير**: في الشهر العاشر من السنة اليهودية ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمىٰ أيام التوبة، وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودي ولا يشرب، ويمضي وقته في العبادة حيث يعتقد أنه تغفر فيه جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد.

- **زيارة بيت المقدس**: يتحتم علىٰ كل يهودي ذكر رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام.

- **الهلال الجديد**: كانوا يحتفلون لميلاد كل هلال جديد حيث كانت تنفخ الأبواق في البيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجًا به.

- **يوم السبت**: لا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب كما يعتقدون؛ فقد اجتمعت اليهود علىٰ أن الله تعالىٰ لما فرغ من خلق السموات والأرض استوىٰ علىٰ عرشه مستلقيًا علىٰ قفاه واضعًا إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ -تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

- اتخذوا العجل معبودًا له بُعَيد خروجهم من مصر، ويروي العهد القديم أن موسىٰ قد عمل لهم حية من نحاس وأن بني إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، كما أن الأفعىٰ مقدس لديهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء.

- الإله لديهم سموه يهوه وهو ليس إلهًا معصومًا، بل يخطئ ويثور ويقع

في الندم وهو يأمر بالسرقة، وهو قاس، متعصب، مدمر لشعبه، إنه إله بني إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآخرين، ويزعمون أنه يسير أمام جماعة من بني إسرائيل في عمود من سحاب.

- عزرا هو الذي أوجد توراة موسىٰ بعد أن ضاعت، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل سمي عزرا ابن الله وهو الذي أشار إليه القرآن الكريم.

أفكار ومعتقدات أخرىٰ:

- يعتقدون بأن الذبيح من ولد إبراهيم هو إسحاق المولود من سارة، والصحيح أنه إسماعيل.

- لم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة وذلك أن هذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي.

- **الثواب والعقاب**: إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل و الاستعباد.

- **التابوت**: وهو صندوق كانوا يحفظون فيه أغلىٰ ما يملكون من ثروات ومواثيق وكتب مقدسة.

- **المذبح**: مكان مخصص لإيقاد البخور يوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت.

- **الهيكل**: هو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بني بداخله المحراب (أي قدس الأقداس) وهيَّأ كذلك بداخله مكانًا يوضع فيه تابوت عهد الرب.

- **الكهانة**: وتختص بأبناء ليفي (أحد أبناء يعقوب)، فهم وحدهم لهم حق

تفسير النصوص وتقديم القرابين، وهم معفون من الضرائب وشخصياتهم وسيلة يتقرب بها إلىٰ الله، فأصبحوا بذلك أقوىٰ من الملوك.

- **القرابين:** كانت تشمل الضحايا البشرية إلىٰ جانب الحيوان والثمار، ثم اكتفىٰ الإله بعد ذلك بجزء من الإنسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود إلىٰ يومنا هذا فضلًا عن الثمار والحيوان إلىٰ جانب ذلك.

- يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي (جوييم) إسرائيليًّا فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.

- يجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك أن غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم، بل أن اليهود يتقربون إلىٰ الله بفعل ذلك بغير اليهودي.

- يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة.

- بسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن أمل ورجاء.

- يقولون بأن يعقوب قد صارع الرب، وأن لوطًا قد شرب الخمر وزنىٰ بابنتيه بعد نجاته إلىٰ جبل صوغر، وأن داود قبيح في عين الرب.

لقد فقدت توراة موسىٰ بعد تخريب الهيكل أيام بختنصر فلما كتبت مرة

ثانية أيام أرتحشتا ملك فارس جاءت محرفة عن أصلها، يقول الله تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣].

- إن ديانتهم خاصة بهم، مقفلة علىٰ الشعب اليهودي.

- الولد الأكبر الذي هو أول من يرث وله حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث.

- بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، ومالها ملك له، ولكن لكثرة الخلافات فقد أقر بعد ذلك أن تملك الزوجة رقبة المال والزوج يملك المنفعة.

- من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعًا بدون حد، فقد حدده الربانيون بأربع زوجات بينما أطلقه القراءون.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- عبادة العجل مأخوذة عن قدماء المصريين حيث كانوا هناك قبل الخروج، والفكر المصري القديم يعد مصدرًا رئيسيًّا للأسفار في العهد القديم.

- أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابي الذي يرجع إلىٰ نحو سنة ١٩٠٠ ق. م، وقد اكتشف هذا التشريع في سنة ١٩٠٢م محفورًا علىٰ عمود أسود من الصخر وهو أقدم تشريع سامي معروف حتىٰ الآن.

- يقول التلمود بالتناسخ وهي فكرة تسربت لبابل من الهند فنقلها حاخامات بابل إلىٰ الفكر اليهودي.

- تأثروا بالفكر النصراني فتراهم يقولون: تسبب يا أبانا في أن نعود إلىٰ شريعتك، قربنا يا ملكنا إلىٰ عبادتك وعد بنا إلىٰ التوبة النصوح في حضرتك.

- في بعض مراحلهم عبدوا آلهة البلعيم والعشتارت وآلهة آرام وآلهة صيدوم، وآلهة مؤاب وآلهة الفلسطينيين (سفر القضاء: ١٠/ ٦٠).

الوصف المفصل في القرآن لليهود والنصارىٰ ودينهم المبدل:

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحذر عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعدواتهم فيخالفوهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران:٦٩-٧٠].

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧١-٧٩].

فهذه الآيات الطيبات المباركات بعض ما عليه اليهود والنصارىٰ من الحسد والبغي علىٰ هذه الأمة ورغبتهم في إضلال أتباع النبيﷺ، وإرجاعهم عن الإسلام إلىٰ الكفر والعياذ بالله، وبيان ما هم عليه من التلون والتقلب والتملق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٤-٥].

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ١-٦].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥١-٥٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٧١-١٧٣].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:٧٧-٨٢].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ [المائدة:٦٥-٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٤].

وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا

﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥١-٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١٨-٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤-٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ

كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٠-١٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ

ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٧١-١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ

وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٢-٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٥-٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ

وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٢-١٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٩٢-١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٦٣-٧٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٧٧-٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ

مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩-٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة: ٨٤-٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ

ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨٩-٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٦-٢٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة:٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧١-٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩١-٩٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٣- ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ

وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٣٥-١٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

قال ابن عادل في اللباب(١٣/ ١١٣): قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ ﴾ الآية، لما بين أن من يؤذي الله ورسوله يُلعن ويعذب، وكان ذلك إشارة إلىٰ أن الإيذاء كفر أرشد المؤمنين إلىٰ الامتناع من الإيذاء الذي هو دونه وهو لا يروث كفرًا وهو من لم يرض بقسمة النبي -عليه الصلاة والسلام-

وبحكمه بالفَيءِ لِبَعض؛ فقال: لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ قال بعضهم: إيذاؤهم لموسىٰ بنسبة عيب في بَدَنِهِ، وقيل: إن قارون قال لامرأة: قولي إن موسىٰ قد وقع في فاحشةٍ والإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ [المائدة:٢٤] وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة:٦١] إلىٰ غير ذلك.

فقال للمؤمنين: لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب أنت وربك فقاتلا وإذا أمركم الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم.

وقوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ علىٰ الأول ظاهر لأنه أبرز جسمه لقومه فرأوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المرأة بالحق وأمر ملائكته حتىٰ عبروا بهارون عليهم فرأوه غير مجروح.

فعلموا براءة موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- عن ما رموه به وعلىٰ الثاني فبرأه الله مما قالوا أي أخرجه عن عهدة ما طلبوا بإعطائه البعض إياهم وإظهاره عدم جواز البعض وقطع حُجَجهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم.

قال الشنقيطي أضواء البيان (١/ ٦): في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال جماهير من علماء التفسير ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارىٰ.

وقد جاء الخير بذلك عن رسول الله ﷺ من حديث عدي بن حاتم ؓ.

واليهود والنصارىٰ وإن كانوا ضالين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا، فإن الغضب إنما خص به اليهود، وإن شاركهم النصارىٰ فيه، لأنهم يعرفون الحق

وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا، فكان الغضب أخص صفاتهم، والنصارىٰ جهلة لا يعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم.

وعلىٰ هذا فقد يبين أن ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود قوله تعالىٰ فيهم: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] الآية.

وقوله فيهم أيضًا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] الآية.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢] الآية.

وقد يبين أن الضالين النصارىٰ، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال ابن كثير: ثم قال تعالىٰ رادًّا علىٰ اليهود والنصارىٰ في كذبهم وافترائهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: نحن منتسبون إلىٰ أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم.

قال الله تعالىٰ رادًّا عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾؛ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه، فلم أعد لكم نار جهنم علىٰ كفركم وكذبكم وافترائكم.

وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾.

وقوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾؛ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو تعالىٰ هو الحاكم في جميع عباده ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: هو فعال لما يريد، لا مُعقِّب لحكمه وهو سريع الحساب. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ﴾ أي: الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب إليه، فيحكم في عباده بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور. تفسير ابن كثير (ج ٨ / ص ١١٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسىٰ حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: معيني في الدعوة إلىٰ الله عز وجل.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباع عيسىٰ عليه السلام: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ أي: نحن أنصارك علىٰ ما أرسلت به ومُوَازروك علىٰ ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلىٰ الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «**من رجل يُؤويني حتىٰ أبلغ رسالة ربي، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي**» حتىٰ قيَّض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الأنصار، وصار ذلك علمًا عليهم، رضي الله عنهم، وأرضاهم.

وقوله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ﴾ أي: لما بلغ عيسىٰ بن

مريم عليه السلام رسالة ربه إلىٰ قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود -عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة-.

وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتىٰ رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فِرَقا وشِيَعًا، فمن قائل منهم: إنه ابن الله. وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس. ومن قائل: إنه الله. وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء.

وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم علىٰ من عاداهم من فِرَق النصارىٰ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمدﷺ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٥٢]؛ يقول تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: استشعر منهم التصميم علىٰ الكفر والاستمرار علىٰ الضلال قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ قال مجاهد: أي من يَتبعني إلىٰ الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقربُ.

بعض مواقف اليهود مع النبيﷺ وما لقي من الأذية:

عَن ثَوبَانَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنتُ قَائِمًا عِندَ رَسُولِ اللهِﷺ فَجَاءَ

حِبرٌ مِن أَحبَارِ اليَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعتُهُ دفعَةً كَادَ يُصرَعُ مِنهَا؛ فَقَالَ لِمَ تَدفَعُنِي؟ فَقُلتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدعُوهُ بِاسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهلِي**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: جِئتُ أَسأَلُكَ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَيَنفَعُكَ شَيءٌ إِن حَدَّثتُكَ**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ : «**سَل**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَينَ يَكُونُ النَّاسُ يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**هُم فِي الظُّلمَةِ دُونَ الجِسرِ**».

قَالَ: فَمَن أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟

قَالَ : «**فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: فَمَا تُحفَتُهُم حِينَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ؟

قَالَ : «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**».

قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُم عَلَىٰ إِثرِهَا؟

قَالَ : «**يُنحَرُ لَهُم ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأكُلُ مِن أَطرَافِهَا**».

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُم عَلَيهِ؟

قَالَ : «**مِن عَينٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلسَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: وَجِئتُ أَسأَلُكَ عَن شَيءٍ لَا يَعلَمُهُ أَحَدٌ مِن أَهلِ الأَرضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَو رَجُلٌ أَو رَجُلَانِ.

قَالَ : «**يَنفَعُكَ إن حَدَّثتُك**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

قَالَ: جِئتُ أَسأَلُكَ عَن الوَلَدِ.

قَالَ : «**مَاءُ الرَّجُلِ أَبيَضُ وَمَاءُ المَرأَةِ أَصفَرُ فَإِذَا اجتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرأَةِ أَذكَرَا بِإِذنِ اللهِ وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ المَرأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذنِ اللهِ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: لَقَد صَدَقتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَقَد سَأَلَنِي هَذَا عَن الَّذِي سَأَلَنِي عَنهُ وَمَا لِي عِلمٌ بِشَيءٍ مِنهُ حَتَّىٰ أَتَانِيَ اللهُ**». أخرجه مسلم (٣١٥).

وعَن عَبدِ اللهِ قَالَ: بَينَمَا أَنَا أَمشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ إذ مَرَّ بِنَفَرٍ مِن اليَهُودِ فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: سَلُوهُ عَن الرُّوحِ، فَقَالُوا مَا رَابَكُم إِلَيهِ لَا يَستَقبِلُكُم بِشَيءٍ تَكرَهُونَهُ فَقَالُوا سَلُوهُ فَقَامَ إِلَيهِ بَعضُهُم فَسَأَلَهُ عَن الرُّوحِ قَالَ: فَأَسكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَم يَرُدَّ عَلَيهِ شَيئًا فَعَلِمتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيهِ، قَالَ فَقُمتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحيُ قَالَ: ﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَن الرُّوحِ قُل الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِن العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤).

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : «**تَكُونُ الأَرضُ يَومَ القِيَامَةِ خُبزَةً وَاحِدَةً يَكفَؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكفَأُ أَحَدُكُم خُبزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهلِ الجَنَّةِ**».

قَالَ: فَأَتَىٰ رَجُلٌ مِن اليَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحمَنُ عَلَيكَ أَبَا القَاسِمِ أَلَا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أَهلِ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ؟

قَالَ: «**بَلَىٰ**».

قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَت نَوَاجِذُهُ قَالَ: «**أَلَا أُخبِرُكَ بِإِدَامِهِم**» قَالَ بَلَىٰ، قَالَ: «**إِدَامُهُم بَالَامُ وَنُونٌ**»، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «**ثَورٌ وَنُونٌ يَأكُلُ مِن زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبعُونَ أَلفًا**». أخرجه خ(٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَو تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِن اليَهُودِ لَم يَبقَ عَلَىٰ ظَهرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسلَمَ**». متفق عليه البخاري (٣٩٤١)، ومسلم (٢٧٩٣).

وعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِن بَنِي زُرَيقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بنُ الأَعصَمِ حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّهُ كَانَ يَفعَلُ الشَّيءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَومٍ أَو ذَاتَ لَيلَةٍ وَهُوَ عِندِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَشَعَرتِ أَنَّ اللهَ أَفتَانِي فِيمَا استَفتَيتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِي وَالآخَرُ عِندَ رِجلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطبُوبٌ قَالَ مَن طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بنُ الأَعصَمِ قَالَ فِي أَيِّ شَيءٍ قَالَ فِي مُشطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلعِ نَخلَةٍ ذَكَرٍ قَالَ وَأَينَ هُوَ قَالَ فِي بِئرِ ذَروَانَ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِن أَصحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ أَو كَأَنَّ رُءُوسَ نَخلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**»، قُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا استَخرَجتَهُ؟ قَالَ: «**قَد عَافَانِي اللهُ فَكَرِهتُ أَن أُثَوِّرَ عَلَىٰ النَّاسِ فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَت**».

تَابَعَهُ أَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو ضَمرَةَ وَابنُ أَبِي الزِّنَادِ عَن هِشَامٍ وَقَالَ اللَّيثُ وَابنُ عُيَينَةَ عَن هِشَامٍ فِي مُشطٍ وَمُشَاقَةٍ يُقَالُ المُشَاطَةُ مَا يَخرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ وَالمُشَاقَةُ مِن مُشَاقَةِ الكَتَّانِ. أخرجه خ (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

وعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: أُصِيبَ سَعدٌ يَومَ الخَندَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِن قُرَيشٍ

يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ وَهُوَ حِبَّانُ بنُ قَيسٍ مِن بَنِي مَعِيصِ بنِ عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ رَمَاهُ فِي الأَكحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيمَةً فِي المَسجِدِ لِيَعُودَهُ مِن قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن الخَندَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنفُضُ رَأسَهُ مِن الغُبَارِ فَقَالَ: قَد وَضَعتَ السِّلَاحَ وَاللهِ مَا وَضَعتُهُ اخرُج إِلَيهِم قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَينَ؟ فَأَشَارَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيظَةَ فَأَتَاهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكمِهِ فَرَدَّ الحُكمَ إِلَىٰ سَعدٍ قَالَ فَإِنِّي أَحكُمُ فِيهِم أَن تُقتَلَ المُقَاتِلَةُ وَأَن تُسبَىٰ النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ وَأَن تُقسَمَ أَموَالُهُم.

قَالَ هِشَامٌ فَأَخبَرَنِي أَبِي عَن عَائِشَةَ أَنَّ سَعدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَن أُجَاهِدَهُم فِيكَ مِن قَومٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَد وَضَعتَ الحَربَ بَينَنَا وَبَينَهُم فَإِن كَانَ بَقِيَ مِن حَربِ قُرَيشٍ شَيءٌ فَأَبقِنِي لَهُ حَتَّىٰ أُجَاهِدَهُم فِيكَ، وَإِن كُنتَ وَضَعتَ الحَربَ فَافجُرهَا وَاجعَل مَوتَتِي فِيهَا، فَانفَجَرَت مِن لَبَّتِهِ فَلَم يَرُعهُم وَفِي المَسجِدِ خَيمَةٌ مِن بَنِي غِفَارٍ إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيهِم فَقَالُوا يَا أَهلَ الخَيمَةِ: مَا هَذَا الَّذِي يَأتِينَا مِن قِبَلِكُم؟ فَإِذَا سَعدٌ يَغذُو جُرحُهُ دَمًا فَمَاتَ مِنهَا رضي الله عنه.

أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

وعن جَابِرَ بنَ عَبدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن لِكَعبِ بنِ الأَشرَفِ فَإِنَّهُ قَد آذَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُحِبُّ أَن أَقتُلَهُ قَالَ: «**نَعَم**»، قَالَ: فَأذَن لِي أَن أَقُولَ شَيئًا قَالَ: «**قُل**»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَد سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَد عَنَّانَا، وَإِنِّي قَد أَتَيتُكَ أَستَسلِفُكَ قَالَ وَأَيضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَد اتَّبَعنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَن نَدَعَهُ حَتَّىٰ نَنظُرَ

إِلَىٰ أَيِّ شَيءٍ يَصِيرُ شَأنُهُ وَقَد أَردنَا أَن تُسلِفَنَا وَسقًا أَو وَسقَينِ.

وحَدَّثنَا عَمرٌو غَيرَ مَرَّةٍ فَلَم يَذكُر وَسقًا أَو وَسقَينِ أَو فَقُلتُ لَهُ فِيهِ وَسقًا أَو وَسقَينِ فَقَالَ أُرَىٰ فِيهِ وَسقًا أَو وَسقَينِ فقَالَ: نَعَم ارهَنُونِي قَالُوا: أَيَّ شَيءٍ تُرِيدُ قَالَ: ارهَنُونِي نِسَاءَكُم؟ قَالُوا: كَيفَ نَرهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنتَ أَجمَلُ العَرَبِ؟ قَالَ: فَارهَنُونِي أَبنَاءَكُم. قَالُوا: كَيفَ نَرهَنُكَ أَبنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُم فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسقٍ أَو وَسقَينِ هَذَا عَارٌ عَلَينَا وَلَكِنَّا نَرهَنُكَ اللَّأمَةَ، قَالَ سُفيَانُ يَعنِي السِّلاحَ.

فَوَاعَدَهُ أَن يَأتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعبٍ مِن الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُم إِلَىٰ الحِصنِ فَنَزَلَ إِلَيهِم فقَالَت لَهُ امرَأَتُهُ أَينَ تَخرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيرُ عَمرٍو: قَالَت أَسمَعُ صَوتًا كَأَنَّهُ يَقطُرُ مِنهُ الدَّمُ قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الكَرِيمَ لَو دُعِيَ إِلَىٰ طَعنَةٍ بِلَيلٍ لَأَجَابَ.

قَالَ وَيُدخِلُ مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَينِ قِيلَ لِسُفيَانَ سَمَّاهُم عَمرٌو قَالَ سَمَّىٰ بَعضَهُم قَالَ عَمرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَينِ وَقَالَ غَيرُ عَمرٍو أَبُو عَبسِ بنُ جَبرٍ وَالحَارِثُ بنُ أَوسٍ وَعَبَّادُ بنُ بِشرٍ قَالَ عَمرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَينِ فقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيتُمُونِي استَمكَنتُ مِن رَأسِهِ فَدُونَكُم فَاضرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُم، فَنَزَلَ إِلَيهِم مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنفَحُ مِنهُ رِيحُ الطِّيبِ فقَالَ: مَا رَأَيتُ كَاليَومِ رِيحًا أَي أَطيَبَ. وَقَالَ غَيرُ عَمرٍو: قَالَ عِندِي أَعطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ وَأَكمَلُ العَرَبِ قَالَ عَمرٌو فقَالَ: أَتَأذَنُ لِي أَن أَشُمَّ رَأسَكَ، قَالَ: نَعَم فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصحَابَهُ ثُمَّ قَالَ: أَتَأذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَم، فَلَمَّا استَمكَنَ مِنهُ قَالَ دُونَكُم فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخبَرُوهُ. البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١).

عَن البَراءِ بنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجالًا مِن الأَنصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيهِم عَبدَ اللهِ بنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيهِ وَكَانَ فِي حِصنٍ لَهُ بِأَرضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنوا مِنهُ وَقَد غَرَبَت الشَّمسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرحِهِم فَقَالَ عَبدُ اللهِ لِأَصحَابِهِ: اجلِسُوا مَكَانَكُم فَإِنِّي مُنطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلبَوَّابِ لَعَلِّي أَن أَدخُلَ، فَأَقبَلَ حَتَّىٰ دَنَا مِن البَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوبِهِ كَأَنَّهُ يَقضِي حَاجَةً، وَقَد دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ يَا عَبدَ اللهِ إِن كُنتَ تُرِيدُ أَن تَدخُلَ فَادخُل فَإِنِّي أُرِيدُ أَن أُغلِقَ البَابَ، فَدَخَلتُ فَكَمَنتُ.

فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغلَقَ البَابَ ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَىٰ وَتَدٍ قَالَ فَقُمتُ إِلَىٰ الأَقَالِيدِ فَأَخَذتُهَا فَفَتَحتُ البَابَ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسمَرُ عِندَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنهُ أَهلُ سَمَرِهِ صَعِدتُ إِلَيهِ فَجَعَلتُ كُلَّمَا فَتَحتُ بَابًا أَغلَقتُ عَلَيَّ مِن دَاخِلٍ.

قُلتُ: إِن القَومُ نَذِرُوا بِي لَم يَخلُصُوا إِلَيَّ حَتَّىٰ أَقتُلَهُ فَانتَهَيتُ إِلَيهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيتٍ مُظلِمٍ وَسطَ عِيَالِهِ لَا أَدرِي أَينَ هُوَ مِن البَيتِ فَقُلتُ يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ مَن هَذَا فَأَهوَيتُ نَحوَ الصَّوتِ فَأَضرِبُهُ ضَربَةً بِالسَّيفِ وَأَنَا دَهِشٌ فَمَا أَغنَيتُ شَيئًا وَصَاحَ.

فَخَرَجتُ مِن البَيتِ فَأَمكُثُ غَيرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلتُ إِلَيهِ فَقُلتُ: مَا هَذَا الصَّوتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ لِأُمِّكَ الوَيلُ إِنَّ رَجُلًا فِي البَيتِ ضَرَبَنِي قَبلُ بِالسَّيفِ قَالَ فَأَضرِبُهُ ضَربَةً أَثخَنَتهُ وَلَم أَقتُلهُ، ثُمَّ وَضَعتُ ظِبَةَ السَّيفِ فِي بَطنِهِ حَتَّىٰ أَخَذَ فِي ظَهرِهِ فَعَرَفتُ أَنِّي قَتَلتُهُ فَجَعَلتُ أَفتَحُ الأَبوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّىٰ انتَهَيتُ إِلَىٰ دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعتُ رِجلِي وَأَنَا أُرَىٰ أَنِّي قَد انتَهَيتُ إِلَىٰ الأَرضِ فَوَقَعتُ فِي لَيلَةٍ مُقمِرَةٍ فَانكَسَرَت سَاقِي فَعَصَبتُهَا بِعِمَامَةٍ.

ثُمَّ انطَلَقتُ حَتَّىٰ جَلَستُ عَلَىٰ البَابِ فَقُلتُ لَا أَخرُجُ اللَّيلَةَ حَتَّىٰ أَعلَمَ أَقتَلتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَىٰ السُّورِ فَقَالَ أَنعَىٰ أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهلِ الحِجَازِ، فَانطَلَقتُ إِلَىٰ أَصحَابِي فَقُلتُ النَّجَاءَ فَقَد قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ فَانتَهَيتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثتُهُ، فَقَالَ ابسُط رِجلَكَ فَبَسَطتُ رِجلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَم أَشتَكِهَا قَطُّ.
أخرجه البخاري (٤٠٣٨).

عن ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يومًا فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي.

قال: **«سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام علىٰ بنيه لئن حدثتكم شيئًا فعرفتموه لتتابعني علىٰ الإسلام»**.

قالوا: فذلك لك.

قال: **«فسلوني عما شئتم»**.

قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة.

قال: **«فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني»**.

قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

قال: **«فأنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضًا شديدًا وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله تعالىٰ من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها»**.

قالوا: اللهم نعم.

قال : «**اللهم أشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل علىٰ ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة علىٰ ماء الرجل كان أنثىٰ بإذن الله؟**».

قالوا: اللهم نعم.

قال : «**اللهم أشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟**».

قالوا: اللهم نعم.

قال: «**اللهم أشهد**».

قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال: : «**فإن ولي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليه**».

قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك.

قال : «**فما يمنعكم من أن تصدقوه؟**».

قالوا: أنه عدونا.

قال فعند ذلك قول الله ﷻ : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله ﷻ : ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعند ذلك فباءوا بغضب علىٰ غضب . أخرجه أحمد.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فُتِحَت خَيبَرُ أُهدِيَت لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**اجمَعُوا إِلَيَّ مَن كَانَ هَاهُنَا مِن يَهُودَ**»، فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ : «**إِنِّي سَائِلُكُم عَن شَيءٍ فَهَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَنهُ**»، فَقَالُوا: نَعَم.

قَالَ لَهُم النَّبِيُّ ﷺ : «**مَن أَبُوكُم؟**».

قَالُوا: فُلَانٌ.

فَقَالَ : «**كَذَبتُم بَل أَبُوكُم فُلَانٌ**».

قَالُوا: صَدَقتَ.

قَالَ : «**فَهَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَن شَيءٍ إِن سَأَلتُ عَنهُ؟**».

فَقَالُوا: نَعَم يَا أَبَا القَاسِمِ وَإِن كَذَبنَا عَرَفتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفتَهُ فِي أَبِينَا.

فَقَالَ لَهُم : «**مَن أَهلُ النَّارِ**».

قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخلُفُونَا فِيهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**اخسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخلُفُكُم فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ: هَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَن شَيءٍ إِن سَأَلتُكُم عَنهُ؟**».

فَقَالُوا: نَعَم يَا أَبَا القَاسِمِ.

قَالَ : «**هَل جَعَلتُم فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**».

قَالُوا: نَعَم.

قَالَ : «**مَا حَمَلَكُم عَلَىٰ ذَلِكَ؟**».

قَالُوا: أَرَدنَا إِن كُنتَ كَاذِبًا نَستَرِيحُ وَإِن كُنتَ نَبِيًّا لَم يَضُرَّكَ.

وجوب عداوة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار:

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ **في المجموع (٢/ ١٧٨):** الحمد لله والصلاة

والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فقد نشرت بعض الصحف المحلية تصريحًا لبعض الناس قال فيه ما نصه: (إننا لا نكن العداء لليهود واليهودية وإننا نحترم جميع الأديان السماوية) وذلك في معرض حديثه عن الوضع في الشرق الأوسط بعد العداون اليهودي علىٰ العرب.

ولما كان هذا الكلام في شأن اليهود واليهودية يخالف صريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ويخالف العقيدة الإسلامية وهو تصريح يخشىٰ أن يغتر به بعض الناس، رأيت التنبيه علىٰ ما جاء فيه من الخطأ نصحًا لله ولعباده.

فأقول: قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين علىٰ أنه يجب علىٰ المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء، كما أخبر الله سبحانه في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أن اليهود والمشركين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

وقال ﷻ في شأن اليهود: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ﴾ [المائدة: ٨٠-٨٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ الآية.

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة علىٰ وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين وعلىٰ وجوب معاداتهم حتىٰ يؤمنوا بالله وحده.

وتدل أيضًا علىٰ تحريم مودتهم وموالاتهم وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله.

كما قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

ففي هذه الآيات الكريمات حث المؤمنين علىٰ بغض الكافرين، ومعاداتهم في الله سبحانه من وجوه كثيرة، والتحذير من اتخاذهم بطانة، والتصريح بأنهم لا يقصرون في إيصال الشر إلينا، وهذا هو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ والخبال هو: الفساد والتخريب.

وصرح سبحانه أنهم يودون عنتنا، والعنت: المشقة، وأوضح سبحانه أن البغضاء قد بدت من أفواههم وذلك فيما ينطقون به من الكلام لمن تأمله وتعقله وما تخفي صدورهم أكبر من الحقد والبغضاء ونية السوء لنا أكبر مما يظهرونه.

ثم ذكر ﷻ أن هؤلاء الكفار قد يتظاهرون بالإسلام نفاقًا ليدركوا مقاصدهم الخبيثة وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم عضوا علىٰ المسلمين الأنامل من الغيظ، ثم ذكر ﷻ أن الحسنات التي تحصل لنا من العز والتمكين والنصر علىٰ الأعداء ونحو ذلك تسوؤهم، وأن ما يحصل لنا من السوء كالهزيمة والأمراض ونحو ذلك يسرهم وما ذلك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لنا ولديننا.

ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلت عليه الآيات الكريمات من شدة عداوتهم للمسلمين، والواقع من اليهود في عصرنا هذا وفي عصر النبوة وفيما بينهما من أكبر الشواهد علىٰ ذلك.

وهكذا ما وقع من النصارىٰ وغيرهم من سائر الكفرة من الكيد للإسلام ومحاربة أهله، وبذل الجهود المتواصلة في التشكيك فيه والتنفير منه والتلبيس

علىٰ متبعيه وإنفاق الأموال الضخمة علىٰ المبشرين بالنصرانية والدعاة إليها، كل ذلك يدل علىٰ ما دلت عليه الآيات الكريمات من وجوب بغض الكفار جميعًا والحذر منهم ومن مكائدهم ومن اتخاذهم بطانة.

فالواجب علىٰ أهل الإسلام: أن ينتبهوا لهذه الأمور العظيمة وأن يعادوا ويبغضوا من أمرهم الله بمعاداته وبغضه من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين حتىٰ يؤمنوا بالله وحده، ويلتزموا بدينه الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ.

وبذلك يحققون اتباعهم ملة أبيهم إبراهيم ودين نبيهم محمد ﷺ الذي أوضحه الله في الآية السابقة، وهي قوله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، دلالة ظاهرة علىٰ أن جميع الكفار كلهم أعداء للمؤمنين بالله سبحانه وبرسوله محمد ﷺ، ولكن اليهود والمشركين عباد الأوثان أشدهم عداوة للمؤمنين، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين علىٰ معادات الكفار والمشركين عمومًا وعلىٰ تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في

مقابل شدة عداوتهم لنا، وذلك يوجب مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم.

ثم إن الله سبحانه مع أمره للمؤمنين بمعادات الكافرين أوجب علىٰ المسلمين العدل في أعدائهم فقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة:٨].

فأمر سبحانه المؤمنين أن يقوموا بالعدل مع جميع خصومهم، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم علىٰ ترك العدل فيهم وأخبر ﷻ أن العدل مع العدو والصديق هو أقرب للتقوىٰ.

والمعنىٰ: أن العدل في جميع الناس من الأولياء والأعداء هو أقرب إلىٰ اتقاء غضب الله وعذابه.

وقال ﷻ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠].

وهذه الآية الكريمة من أجمع الآيات في الأمر بكل خير والنهي عن كل شر.

ولهذا روي أن النبي ﷺ لما بعث عبد الله بن رواحة الأنصاري إلىٰ خيبر ليخرص علىٰ اليهود ثمرة النخل، وكان النبي ﷺ قد عاملهم علىٰ نخيلها وأرضها بنصف ثمرة النخل والزرع، فخرص عليهم عبد الله ثمرة النخل، فقالوا له إن هذا الخرص فيه ظلم، فقال لهم عبد الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنكم لأبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، وإنه لن يحملني بغضي لكم وحبي لرسول الله ﷺ علىٰ أن أظلمكم، فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض.

فالعدل واجب في حق القريب والبعيد والصديق والبغيض، ولكن ذلك لا يمنع من بغض أعداء الله ومعاداتهم ومحبة أولياء الله المؤمنين وموالاتهم عملًا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والله المستعان.

أما قول الكاتب: (وإننا نحترم جميع الأديان السماوية) فهذا حق ولكن ينبغي أن يعلم القارئ أن الأديان السماوية قد دخلها من التحريف والتغيير ما لا يحصيه إلا الله سبحانه، ما عدا دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه وخليله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

فقد حمله الله وحفظه من التغيير والتبديل وذلك بحفظه لكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فقد حفظ الله الدين وصانه من مكائد الأعداء بجهابذة نقاد أمناء ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وكذب المفترين وتأويل الجاهلين فلا يقدم أحد علىٰ تغيير أو تبديل إلا فضحه الله وأبطل كيده.

أما الأديان الأخرىٰ فلم يضمن حفظها سبحانه، بل استحفظ عليها بعض عباده فلم يستطيعوا حفظها فدخلها من التغيير والتحريف ما الله به عليم كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ

لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة:٤١] الآية.

وقال ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٨]، الآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما ما كان من الأديان السماوية السابقة سليم من التغيير والتبديل فقد نسخه الله ببعث رسول الله ﷺ وإنزاله القرآن الكريم فإن الله سبحانه أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلىٰ الناس كافة ونسخ بشريعته سائر الشرائع وجعل كتابه الكريم مهيمنا علىٰ سائر الكتب السماوية.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ سائر النبيين والمرسلين وسائر الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث: دعوة الحوار والتقارب والتوحد والاتحاد بين الأديان - أفكار - حركات

المسرد التاريخي لهذه النظرية:

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان: وبتتبع مراحلها التاريخية وجدتها قد مرت في حقب زمانية أربع، هي:

١ - مرحلتها في عصر النبي ﷺ:

قد بين الله سبحانه في محكم كتابه أن اليهود والنصارىٰ في محاولة دائبة لإضلال المسلمين عن إسلامهم وردهم إلىٰ الكفر ودعوتهم المسلمين إلىٰ اليهودية أو النصرانية؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ

أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١- ١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

وهكذا في عدد من آيات الله يتلوها المسلمون في كتاب الله ليحذروا الكافرين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

ففي تفسير ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية عن مجاهد -رحمه اله تعالىٰ- أنه قال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ اليهودية والنصرانية بالإسلام.

وفي تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال عند هذه الآية: ولا تلبسوا اليهودة والنصرانية بالإسلام، إن دين الله الإسلام، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله.

وهذا التفسير من أعظم الفقه بكتاب الله تعالىٰ.

ثم خمدت محاولتهم حينًا من الدهر حتىٰ انقراض القرون المفضلة.

٢- مرحلة الدعوة إليها بعد انقراض القرون المفضلة:

ثم بدت محاولاتهم مرة أخرىٰ تحت شعار صنعوه وموهوا به علىٰ الجهال، وهو أن الملل اليهودية، والنصرانية والإسلام هي بمنزلة المذاهب الفقهية الأربعة عند المسلمين كل طريق منها يوصل إلىٰ الله تعالىٰ.

وهكذا فيما يثيرونه من الشبه ومتشابه القول وبتر النصوص مما يموهون به، ويستدرجون به أقوامًا، ويتصيدون به آخرين من ذوي الألقاب الضخمة هنا وهناك.

ثم تلقاها عنهم دعاة: وحدة الوجود والاتحاد والحلول وغيرهم من المنتسبين إلىٰ الإسلام من ملاحدة المتصوفة في مصر، والشام، وأرض فارس، وأقاليم العجم، ومن غلاة الرافضة وهي من مواريثهم عن التتر، وغيرهم.

حتىٰ بلغ الحال أن بعض هؤلاء الملاحدة يجيزون التهود والتنصر، بل فيهم من يرجح دين اليهود والنصارىٰ علىٰ دين الإسلام، وهذا فاشٍ فيمن غلبت عليهم الفلسفة منهم.

ثم انتقلوا إلىٰ أن أفضل الخلق عندهم هو: المحقق وهو الداعي إلىٰ الحلول والاتحاد.

وقد كشفهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع من كتبه.

وقد قُمِعَت هذه الدعوة الكفرية بمواجهة علماء الإسلام لها والمناداة عليها وعلىٰ منتحليها بأنها كفر وردة عن الإسلام.

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواقف إسلامية مشهورة خالدة، ولغيره من علماء المسلمين الذين ردوا علىٰ هؤلاء الغلاة، مثل الحلاج: الحسين بن منصور الفارسي المقتول علىٰ الردة سنة ٣٠٩، وابن عربي محمد بن علي الطائي قدوة السوء للقائلين بوحدة الوجود، في كتابه: الفصوص، المتوفىٰ سنة ٦٣٨، وابن سبعين ت سنة ٦٦٩، والتلمساني ت سنة ٦٩٠، وابن هود ت سنة ٦٩٩، وغيرهم كثير.

٣- مرحلة الدعوة إليها في النصف الأول من القرن الرابع عشر:

وقد خمدت حينًا من الدهر محتجرة في صدر قائليها المظهرين للإسلام المبطنين للكفر والإلحاد، حتىٰ تبنتها حركة (صن مون التوحيدية) ويقال: (المونية)، وقبلها (الماسونية)، وهي منظمة يهودية للسيطرة علىٰ العالم، ونشر الإلحاد والإباحية، تحت غطاء الدعوة إلىٰ وحدة الأديان الثلاثة، ونبذ التعصب بجامع الإيمان بالله، فكلهم مؤمنون.

وقد وقع في حبال دعوتهم جمال الدين بن صَفدَر الأفغاني، ت سنة ١٣١٤ بتركيا، وتلميذه الشيخ محمد عبده بن حسن التركماني ت سنة ١٣٢٣ بالإسكندرية.

وكان من جهود محمد عبده في ذلك أن ألف هو وزعيم الطائفة ميرزا باقر الإيراني الذي تنصر ثم عاد إلىٰ الإسلام، ومعهم ممثل جمال الأفغاني، وعدد من رجال الفكر في بيروت ألفوا فيه جمعية باسم: (جمعية التأليف والتقريب) موضوعها التقريب بين الأديان الثلاثة.

وقد دخل في هذه الجمعية بعض الإيرانيين، وبعض الإنجليز، واليهود، كما تراه مفصلًا في كتاب: تاريخ الأستاذ الإمام (١ / ٨١٧-٨٢٩) تأليف محمد رشيد رضا. المتوفىٰ سنة ١٣٥٤.

ومن جهود محمد عبده في ذلك: مراسلات بينه وبين بعض القساوسة، كما في كتاب: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده (٢ / ٣٦٣-٣٦٧) جمع محمد عمارة.

وقد جالت مطارحات في هذه النظرية بين عدد من المؤيدين والمعارضين

بين محمد عبده، ومحمد حسين هيكل، والطبيب حسن الهراوي، وعبد الجواد الشرقاوي، وذلك في مجلة: السياسة الأسبوعية بمصر في الأعداد ٢٨٢١ لشهر صفر عام ١٣٥١، وما بعده.

وفي صحيفة الهلال في الأعداد ٤٨٥،٤٨٤ لعام ١٣٥٨،١٣٥٧ مقالات بعنوان: هل يمكن توحيد الإسلام والمسيحية؟ بين كل من محمد فريد وجدي، ومحمد عرفة، وعبد الله الفيشاوي الغزي، وبين القساوسة.

وكان الحوار وكانت المراسلات جارية في هذه المقالات في الجواب علىٰ هذا السؤال: هل يمكن التوحيد بين الإسلام والمسيحية من جهة الأسلوب الروحي فقط، أو من جهة الأمور المادية ؟

وكان النصراني إبراهيم لوقا يستصعب توحيد الإسلام والمسيحية في كلا الأمرين جميعًا، ولكنه استسهل الجمع بين المسلمين والنصارىٰ في مصالح الوطن، ثم قال: لا سبيل إلىٰ الوحدة الكاملة إلا بأن تعتنق إحداهما مبادئ الأخرىٰ، فإما إيمان بلاهوت المسيح، وتجسده، وموته، وقيامه، فيكون الجميع مسيحيين، وإما إيمان بالمسيح كواحد من الرسل النبيين، فيصبح به الجميع مسلمين.

٤- مرحلة الدعوة إليها في العصر الحاضر:

في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وحتىٰ عامنا هذا ١٤١٦.

وفي ظل النظام العالمي الجديد جهرت اليهود والنصارىٰ بالدعوة إلىٰ التجمع الديني بينهم وبين المسلمين، وبعبارة أخرىٰ: التوحيد بين الموسوية،

والعيسوية، والمحمدية، باسم: الدعوة إلىٰ التقريب بين الأديان، التقارب بين الأديان، ثم باسم: نبذ التعصب الديني، ثم باسم: الإخاء الديني، وله فتح مركز بمصر بهذا الاسم.

وباسم: مجمع الأديان، وله فتح مركز بسيناء مصر بهذا الاسم.

وباسم: الصداقة الإسلامية المسيحية.

وباسم: التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية.

ثم أخرجت للناس تحت عدة شعارات: وحدة الأديان، توحيد الأديان، توحيد الأديان الثلاثة، الإبراهيمية، الملة الإبراهيمية، الوحدة الإبراهيمية، وحدة الدين الإلهي، المؤمنون، المؤمنون متحدون، الناس متحدون، الديانة العالمية، التعايش بين الأديان، المِلّيُون، العالمية وتوحيد الأديان.

ثم لحقها شعار آخر، هو: وحدة الكتب السماوية.

ثم امتد أثر هذا الشعار إلىٰ فكرة طبع: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل في غلاف واحد.

ثم دخلت هذه الدعوة في الحياة التعبدية العملية؛ إذ دعا البابا إلىٰ إقامة صلاة مشتركة من ممثلي الأديان الثلاثة: الإسلاميين والكتابيين، وذلك بقرية أسِيس في إيطاليا، فأقيمت فيها بتاريخ: ٢٧ / ١٠/ ١٩٨٦ م.

ثم تكرر هذا الحدث مرات أخرىٰ باسم: صلاة روح القدس.

ففي اليابان علىٰ قمة جبل كيتو أقيمت هذه الصلاة المشتركة، وكان -واحسرتاه- من الحضور ممثل لبعض المؤسسات الإسلامية المرموقة.

وما يتبع ذلك من أساليب بارعة للاستدراج، ولفت الأنظار إليها والالتفاف

حولها، كالتلويح بالسلام العالمي، ونشدان الطمأنينة والسعادة للإنسانية، والإخاء، والحرية، والمساواة، والبر والإحسان.

وهذه نظيرة وسائل الترغيب الثلاثة التي تنتحلها الماسونية: الحرية، والإخاء، والمساواة، أو: السلام، والرحمة، والإنسانية، وذلك بالدعوة إلىٰ الروحية الحديثة القائمة علىٰ تحضير الأرواح، روح المسلم، وروح اليهودي، وروح النصراني، وروح البوذي، وغيرهم، وهي من دعوات الصهيونية العالمية الهدامة، كما بين خطرها الأستاذ محمد محمد حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الروحية الحديثة دعوة هدامة - تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية. اهـ



❊ ❊ ❊

فصل في الحركات الداعية إلى تقارب الأديان ووحدتها

وحدة الأديان:

قال في الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة (١١٧٥): وحدة الأديان دعوة ماسونية تستغل النصارىٰ في القضاء علىٰ الإسلام وإخضاع شعوبه.

وتتخذ هذه الدعوة أسماء جذابة مثل الدعوة للعالمية أو التوافق بين الإسلام والنصرانية، أو الدعوة إلىٰ الإيمان الإبراهيمي، وأحيانًا تحت مسمىٰ حوار الأديان.

وتقوم فلسفة هذه الدعوة علىٰ زعم أن هنالك قواعد مشتركة بين الإسلام والنصرانية كالإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتكريم أم المسيح عليه السلام، وأن الخلاف بين الإسلام والنصرانية خلاف شكلي لا جوهري.

بدأت هذه الدعوة من جانب النصارىٰ منذ أوائل هذا القرن الميلادي وتبنتها الصهيونية العالمية من خلال عقد العديد من المؤتمرات بدعوىٰ التقريب بين الإسلام والنصرانية. اهـ

وهذا الذي يسعون إليه لمن يكون لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس:٩٩].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان (٢/ ٥٧٧-٥٧٨): صرح تعالىٰ في هذه الآية الكريمة أنه لو شاء إيمان جميع أهل الأرض لآمنوا كلهم جميعًا، وهو دليل واضح علىٰ أن كفرهم واقع بمشيئة الله الكونية القدرية، وبين ذلك أيضًا في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ﴾ [الأنعام:١٠٧]، وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة:١٣]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعام:٣٥]، إلىٰ غير ذلك.

إخوان الصفا:

قال في الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٦٠): هي جماعة سرية باطنية مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية في خليط متضارب، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع، وقد ألفوا ما يقارب خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة عمليًّا وعلميًّا، وأفردوا لها فهرسًا وسموها رسائل إخوان الصفا التي تعتبر برنامج العمل السري الذي يستهدف القضاء علىٰ الإسلام ودولته لتأسيس دولتهم التي تضم العقائد الوثنية والمجوسية والإباحية.

وفيه أيضًا الدعوة إلىٰ وحدة الأديان وإلغاء التعصب للدين علىٰ أنه لا حاجة للخاصة للشرائع. اهـ

العالمية:

قال في الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٠١): مذهب يدعو إلىٰ البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة، ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلىٰ جمع الناس علىٰ مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العلام محل الخلاف. اهـ

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في»معجم المناهي اللفظية: وهذا المذهب باطل ينسف دين الإسلام بجمعه بين الحق والباطل أي بين الإسلام وبين كافة الأديان، وحقيقته هجمة شرسة علىٰ الإسلام.

يقول الكاتب د/ محمد محمد حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الإسلام والحضارة الغربية (ص ١٧١): العالمية في الاصطلاح الحديث: مذهب يدعو إلىٰ البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المتباينة، ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلىٰ جمع الناس علىٰ مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف. [١] اهـ

---

(١) بواسطة «التقريب بين الأديان» (١/ ٣٣٤).

قال أحمد بن عبد الرحمن القاضي في التقريب بين الأديان (١/ ٣٣٤): وهي بهذا التعريف أوسع مدلولًا، وأشمل أثرًا من تقريب الأديان أو وحدة الأديان، بل تصبح وحدة الأديان إحدىٰ مفردات العالمية. اهـ

المونية (حركة صن مون التوحيدية):

قال صاحب الموسوعة الميسرة (٦٦٩) باختصار: المونية هي حركة مشبوهة تدعو إلىٰ توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة بهدف إلغاء الفوارق الدينية بين الناس لينصهروا جميعًا في بوتقة (صن مون) الكوري الذي ظهر بنبوة جديدة في هذا العصر الحديث.

مؤسس هذه النحلة هو القس الثري صن مون المولود في كوريا عام ١٩٢٠ الذي ادعىٰ بأنه علىٰ اتصال بالمسيح -عليه الصلاة والسلام- منذ عام ١٩٣٦م، وأنه منذ بلوغه السادسة والعشرين من عمره بدأ يدرس حياة الأنبياء والقادة الروحيين من مثل موسىٰ وعيسىٰ ومحمدﷺ، ومن مثل بوذا وكرشنا، ويطلع علىٰ تعاليم الأديان السماوية والوضعية كاليهودية والنصرانية والإسلام وكذلك البوذية والهندوسية.

في عام ١٩٧٣م انتقل إلىٰ الولايات المتحدة وعقد صلات عدة مع كبار الشخصيات هناك.

الأفكار والمعتقدات:

يزعم أنه علىٰ اتصال بالمسيح وأنه يتلقىٰ الوحي من السماء مدعيًا نبوة جديدة.

شعاره وهدفه المعلن: هو السعي من أجل توحيد الأديان علىٰ اختلاف أنواعها.

يقول للنصارىٰ بأن الإله قد رمىٰ بالمسيحية جانبًا وأبدلها برسالة جديدة هي رسالة توحيد الأديان الداعي إليها.

من القانون الأساسي لحركة مون: إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية.

يمضي المدعو عدة أسابيع مع معلمه، وقد يجعلونه بعد ذلك في مسكن واحد مع أعضاء جدد آخرين ليلقنوهم جميعًا العقيدة الجديدة مع التركيز علىٰ تقديس وتمجيد شخصية مون والتأكيد علىٰ ضرورة التنكر لعقيدة أهاليهم ومجتمعاتهم.

يقول مون في كتابه التوجيهي أقوال الأب الروحي: إن عملية البعد عن العائلة والأصدقاء لا يتم بالصدفة؛ إذ لابد أن تتمرس علىٰ حياتك الجديدة ومن بعدها يمكنك أن تتنكر لعائلتك وأصدقائك وجيرانك.

إذا ما حاول العضو الفرار منهم فسيكون ذلك صعبًا لعدة أمور:

١- لأنه يكون قد انفصل عن عائلته فلا يستطيع العودة إليها بعد أن ناصبها العداء بسبب معتقده الجديد الذي يخالف معتقدها.

٢- لأنه يكون قد غُسِلَ دماغُه وصار أداة طيعة في أيديهم يحركونه كيفما يريدون بعد أن سيطروا عليه روحيًا وخدعوه بالوعود السماوية الكاذبة.

٣- لأن أفراد عصابة مون سيتابعونه ويطاردونه حتىٰ يعود إلىٰ حظيرتهم

من جديد.

٤- إذا ما استسلم العضو الجديد لهم فإنهم يسخرونه لبيع الورود والشموع ليكون مصيدة لجذب الأعضاء الجدد فضلًا عن الإيراد المالي الذي يحققه لميزانية الحركة.

نظم مون عملية زواج جماعية في ميدان ماديسون جاردن بنيويورك قام خلالها بتزويج ٢٠٧٥ شابًا وفتاة، علىٰ الرغم من أن المجلس القومي الكنسي في أمريكا كان قد أصدر بيانًا يعلن فيه عدم الاعتراف بكنيسة مون.

لقد عقد مون عددًا من المؤتمرات سعيًا وراء تحقيق أهدافه، ومنها:

- مؤتمر توحيد اليهود في سويسرا.
- مؤتمر اتحاد العالم المسيحي في إيطاليا.
- مؤتمر البوذيين في اليابان.
- مؤتمر الهندوكية في سيريلانكا.
- مؤتمر اتحاد العالم الإسلامي الذي تم عقده في تركيا قرب اسطنبول وذلك في الفترة من ١٩- ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م، وقد تعاونت معهم كلية الإلهيات بجامعة مرمرة بهدف إنجاح المؤتمر.
- لديهم خطة لعقد مؤتمرات أخرىٰ م سنة ١٩٨٩ - ١٩٩٣م.
- كان أتباع مون المشاركون في المؤتمر بتركيا يصورون الخلافات بين الأديان علىٰ أنها لا تعدو أن تكون شبيهة بتلك الخلافات الفقهية الموجودة بين المذاهب الإسلامية ذاتها، وهذا محض افتراء، إذ إن الخلاف بين الأديان خلاف عقائدي قبل كل شيء، في حين إن الخلاف بين المذاهب الفقهية ليس أكثر من

خلاف داخلي اجتهادي في الفروع دون الأصول.

تذكر جريدة المسلمون في عددها ٣٦ أن المجلس العالمي للأديان الذي يترأسه صن مون إنما يعمل تحت رقابة المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IrF وهي واحدة من الوكالات الدينية الإنسانية التابعة للكنيسة الموحدة التي هي إحدىٰ الحركات الدينية الجديدة التي أسسها صن مون في كوريا.

وتذكر الجريدة بأن أهداف المجلس العالمي للأديان حسبما تورده مذكرة المجلس ذاته هي:

١ - المناداة بوحدة الإنسانية.

٢- منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.

٣- دعوة الناس من كل الأديان إلىٰ نوع من الوحدة الروحانية واحترام خصوصيات كل دين.

٤ - تشجيع الفهم المتبادل والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.

٥- معاونة هؤلاء المتطلعين إلىٰ إيجاد تناسق وانسجام بين الأديان والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.

٦- توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشكلات الإنسانية العامة.

٧- الدفاع عن حقوق الإنسان بما في ذلك حق حرية المعتقدات الدينية وممارستها.

٨- التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة وتحسين حال البشرية.

التغريب:

وقال في الموسوعة الميسرة (٧٠٨): التغريب: هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلىٰ صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرىٰ التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

بدأ المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلىٰ البلاد الأوروبية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلىٰ بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوروبية.

من أفكارهم:

- تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه.

- الدعوة إلىٰ الوطنية، ودراسة التاريخ القديم، والدعوة إلىٰ الحرية باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضًا مصحوبًا بالإعجاب، وتكرار الكلام حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين.

- نشر فكرة العالمية والإنسانية التي يزعم أصحابها بأن ذلك هو السبيل

إلىٰ جمع الناس علىٰ مذهب واحد تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطنًا واحدًا يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة، بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي.

- إن نشر الفكر القومي كان خطوة علىٰ طريق التغريب في القرن التاسع عشر، وقد انتقل من أوروبا إلىٰ العرب والإيرانيين والترك والأندونيسيين والهنود، بغية تمزيق الكتل الكبيرة إلىٰ كيانات جزئية تقوم علىٰ رابط جغرافي يجمع أناسًا ينتمون إلىٰ أصول عرقية مشتركة.

- تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة، يقول المستشرق جب: وقد كان من أهم مظاهر سياسية التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن... وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دورًا مهمًا في تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها.

- عرض روكفلر الصهيوني المتعصب تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر وملحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن.

إن كلًّا من الاستعمار والاستشراق والشيوعية والماسونية وفروعها، والصهيونية ودعاة التوفيق بين الأديان (وحدة الأديان)، قد تآزروا جميعًا في دعم حركة التغريب وتأييدها بهدف تطويق العالم الإسلامي وتطويعه ليكون أداة لينة بأيديهم.

- نشر المذاهب الهدامة كالفرويدية، والداروينية، والماركسية، والقول بتطور الأخلاق (ليفي بريل) وبتطور المجتمع (دور كايم) والتركيز علىٰ الفكر الوجودي والعلماني، والتحرري، والدراسات عن التصوف الإسلامي، والدعوة إلىٰ القومية والأقليمية والوطنية، والفصل بين الدين والمجتمع، وحملة الانتقاص من الدين، ومهاجمة القرآن والنبوة والوحي والتاريخ الإسلامي، والتشكيك في القيم الإسلامية، والدعوة إلىٰ التخلي عن الأصالة والتميز، والتخويف من الموت أو الفقر وذلك لإقعاد المسلمين عن فكرة الجهاد، وإشاعة فكرة أن سبب تأخر العرب والمسلمين إنما هو الإسلام.

- اعتبار القرآن فيضًا من العقل الباطن، مع الإشادة بعبقرية النبي محمدﷺ وألمعيته وصفاء ذهنه ووصف ذلك بالإشراق الروحي، تمهيدًا لإزالة صفة النبوة عنه.

مؤتمرات تغريبية:

- عقد مؤتمر في بلتيمور عام ١٩٤٢م وهو يدعو إلىٰ دراسة وابتعاث الحركات السرية في الإسلام.

- في عام ١٩٤٧م عقد في جامعة برنستون بأمريكا مؤتمر لدراسة (الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنىٰ) وقد ترجمت بحوث هذا المؤتمر إلىٰ العربية تحت رقم ١١٦ من مشروع الألف كتاب في مصر شارك فيه كويلر يونغ وحبيب كوراني وعبد الحق أديوار ولويس توماس.

- عقد مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) في صيف عام ١٩٥٣م

في جامعة برنستون وشارك فيه كبار المفكرين من مثل ميل بروز، وهارولد سميث، وروفائيل باتاي، وهارولد ألن، وجون كرسويل، والشيخ مصطفىٰ الزرقا، وكنت كراج، واشتياق حسين، وفضل الرحمن الهندي.

- وفي عام ١٩٥٥م عقد في لاهور بالباكستان مؤتمر ثالث، لكنه فشل وظهرت خطتهم بمحاولتهم إشراك باحثين من المسلمين والمستشرقين في توجيه الدراسات الإسلامية.

- انعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والمسيحية في بيروت ١٩٥٣م، ثم في الإسكندرية ١٩٥٤م وتتالت بعد ذلك اللقاءات والمؤتمرات في روما وغيرها من البلدان لنفس الغرض.

- في سبتمبر ١٩٩٤م عقد بالقاهرة مؤتمر السكان والتنمية بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي (الغربية) بين المسلمين من إتاحة للاتصالات غير المشروعة بين المراهقين، والإجهاض، والزواج الحر، والسفاح، والتدريب علىٰ موانع الحمل، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فتوىٰ بضرورة مقاطعته والحذر من توصياته وأهدافه.

أصحاب وحدة الوجود:

وقال (ص٧٩٣): مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه -تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

إن فكرة وحدة الوجود قديمة جدًّا، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية.

وانتقلت الفكرة إلىٰ بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم: محي الدين ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني، ثم انتشرت في الغرب الأوروبي علىٰ يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي.

ومن أبرز الشخصيات وأفكارهم: ابن عربي ٥٦٠هـ - ٦٣٨هـ:

هو محيي الدين -بل مميت الدين- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي، الحاتمي، الطائي، الأندلسي وينتهي نسبه إلىٰ حاتم الطائي، أحد مشاهير الصوفية، وعرف بالشيخ الأكبر.

ولد في مرسية سنة ٥٦٠هـ وانتقل إلىٰ أشبيلية حيث بدأ دراسته التقليدية بها ثم عمل في شبابه كاتبًا لعدد من حكام الولايات في سن مبكرة وبعد مرض ألم به كان التحول الكبير في حياته، حيث انقلب بعد ذلك زاهدًا سائحًا منقطعًا للعبادة والخلوة، ثم قضىٰ بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس المختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية.

في الثلاثين من عمره انتقل إلىٰ تونس، ثم ذهب إلىٰ فاس حيث كتب كتابه المسمىٰ: الإسراء إلىٰ مقام الأسرىٰ ثم عاد إلىٰ تونس، ثم سافر شرقًا إلىٰ القاهرة والقدس واتجه جنوبًا إلىٰ مكة حاجًّا، ولزم البيت الحرام لعدد من السنين، وألف في تلك الفترة كتابه تاج الرسائل، وروح القدس.

ثم بدأ سنة ٥٩٨ هـ بكتابة مؤلفه الضخم الفتوحات المكية.

في السنين التالية نجد أن ابن عربي ينتقل بين بلاد الأناضول وسورية

والقدس والقاهرة ومكة، ثم ترك بلاد الأناضول ليستقر في دمشق.

وقد وجد ملاذًا لدىٰ عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيوبية الحاكمة بعد أن وجه إليه الفقهاء سهام النقد والتجريح، بل التكفير والزندقة.

وفي تلك الفترة ألف كتابه فصوص الحِكَم وأكمل كتابه الفتوحات المكية وتوفي ابن عربي في دار القاضي ابن الزكي سنة ٦٣٨هـ ودفن بمقبرة العائلة علىٰ سفح جبل قسيون.

مذهبه في وحدة الوجود:

يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق.

فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق.

ومن أقواله التي تدل علىٰ ذلك:

سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها.

ويقول مبينًا وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات:

يا خالق الأشياء في نفسه … أنت لما تخلق جامع

تخلق ما لا ينتهي كونه … فيك فأنت الضيق الواسع

ويقول أيضًا:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا … وليس خلقًا بذاك الوجه فاذكروا

جمِّع وفرّق فإن العين واحدة … وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر

وبناءً علىٰ هذا التصور فليس ثمة خلق ولا موجود من عدم بل مجرد فيض وتجليّ ومادام الأمر كذلك، فلا مجال للحديث عن علة أو غاية، وإنما يسير العالم وفق ضرورة مطلقة ويخضع لحتمية وجبرية صارمة.

وهذا العالم لا يتكلم فيه عن خير وشر ولا عن قضاء وقدر ولا عن حرية أو إرادة ومن ثم لا حساب ولا مسؤولية وثواب ولا عقاب، بل الجميع في نعيم مقيم والفرق بين الجنة والنار إنما هو في المرتبة فقط لا في النوع.

وقد ذهب ابن عربي إلىٰ تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه ومعتقده، فالعذاب عنده من العذوبة، والريح التي دمرت عاد هي من الراحة لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة، وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة.

ومما يؤكد علىٰ قوله بالجبر الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد:

الحكم حكم الجبر والاضطرار ... ما ثم حكم يقتضي الاختيار

إلا الذي يعزىٰ إلينا ففي ... ظاهره بأنه عن خيار

لو فكر الناظر فيه رأىٰ ... بأنه المختار عن اضطرار

وإذا كان قد ترتب علىٰ قول ابن عربي بوحدة الوجود قوله بالجبر ونفىٰ الحساب والثواب والعقاب، فإنه ترتب علىٰ مذهبه أيضًا قوله بوحدة الأديان؛ فقد أكد ابن عربي علىٰ أن من يعبد الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق.

يقول في ذلك:

لقد صار قلبي قابلًا كل صورة ... فمرعىٰ لغزلان ودير لرهبان

وبـيت لأوثـان وكعـبة طائـف ... وألـواح تـوراة ومـصحف قـرآن

فمذهب وحدة الوجود الذي قال به ابن عربي يجعل الخالق والمخلوق وحدة واحدة سواء بسواء، وقد ترتب علىٰ هذا المذهب نتائج باطلة قال بها ابن عربي وأكدها وهي قوله بالجبر ونفيه الثواب والعقاب وكذا قوله بوحدة الأديان.

وقد تابع ابن عربي في القول بوحدة الوجود تلاميذ له أعجبوا بآرائه وعرضوا لذلك المذهب في أشعارهم وكتبهم من هؤلاء: ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني.

أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية:

لهـا صـلاتي بالمقـام أقـيمها ... وأشـهد أنهـا لـي صـلَّت

كلانـا مـصل عابـد سـاجد إلـىٰ ... حقـيقة الجمـع فـي كـل سـجدة

ومـا كـان لـي صلىٰ سواي فلم تكن ... صـلاتي لغيـري فـي أداء كـل ركعـة

ومازالـت إياهـا وإيـاي لـم تـزل ... ولا فـرق بـل ذاتـي لذاتـي أحـبت

فهو هنا يصرح بأنه يصلي لنفسه لأن نفسه هي الله.

ويبين أنه ينشد ذلك الشعر لا في حال سُكر الصوفية بل هو في حالة الصحو فيقول:

ففـي الـصحو بعـد المحـو لـم أك ... غيرها وذاتي ذاتي إذا تحلـت تجلت

والصوفية معجبون بهذه القصيدة التائية ويسمون صاحبها ابن الفارض بسلطان العاشقين، علىٰ الرغم مما يوجد في تلك القصيدة من كفر صريح والعياذ بالله.

وأما ابن سبعين فمن أقواله الدالة علىٰ متابعة ابن عربي في مذهب وحدة الوجود: قوله: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك الله فقط، والكثرة وهم.

وهنا يؤكد ابن سبعين أن هذه الموجودات ليس له وجود حقيقي فوجودها وهم وليس ثمة فرق بين الخلق وبين الحق، فالموجودات هي الله!!

أما التلمساني وهو كما يقول الإمام ابن تيمية من أعظم هؤلاء كفرًا، وهو أحذقهم في الكفر والزندقة؛ فهو لا يفرق بين الكائنات وخالقها، إنما الكائنات أجزاء منه، وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وأجزاء البيت من البيت، ومن ذلك قوله:

البحر لا شك عندي في توحده ... وإن تعدد بالأمواج والزبد

فلا يغرنك ما شاهدت من صور ... فالواحد الرب ساري العين في العدد

ويقول أيضًا:

فما البحر إلا الموج لا شيء غيره ... وإن فرقته كثرة المتعدد

ومن شعره أيضًا:

أحن إليه وهو قلبي وهل يرىٰ ... سواي أخو وجد يحن لقلبه

ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري ... وما بعده إلا لإفراط قربه

فالوجود عند التلمساني واحد، وليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق، بل كل المخلوقات إنما هي الله ذاته.

وقد وجد لهذا المذهب الإلحادي صدىً في بلاد الغرب بعد أن انتقل إليها علىٰ يد برونو الإيطالي ورَوّج له اسبينوزا اليهودي.

جيور وانو برونو ١٥٤٨-١٦١١م وهو مفكر إيطالي، درس الفلسفة واللاهوت في أحد الأديرة الدينية، إلا أنه خرج علىٰ تعاليم الكنيسة فرمي بالزندقة، وفرّ من إيطاليا، وتنقل طريدًا في البلدان الأوروبية وبعد عودته إلىٰ إيطاليا وشي به إلىٰ محاكم التفتيش فحكم عليه بالموت حرقًا.

باروخ سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧م وهو فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارىٰ، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل وهو أيضًا فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك.

ومن أقوال سبينوزا التي تؤكد علىٰ مذهبه في وحدة الوجود:

- ما في الوجود إلا الله، فالله هو الوجود الحق، ولا وجود معه يماثله لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان متماثلان.

- إن قوانين الطبيعة وأوامر الله الخالدة شيء واحد بعينه، وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله الخالدة.

- الله هو القانون الذي تسير وفقه ظواهر الوجود جميعًا بغير استثناء أو شذوذ.

- إن للطبيعة عالمًا واحدًا هو الطبيعة والله في آن واحد وليس في هذا العالم مكان لما فوق الطبيعة.

- ليس هناك فرق بين العقل كما يمثله الله وبين المادة كما تمثلها الطبيعة فهما شيء واحد.

يقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيرًا من أقوال أصحاب مذهب وحدة الوجود: يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي -صاحب الفتوحات- وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم -عليهم من الله ما يستحقونه-؛ فإنهم لا يجعلون للخالق سبحانه وجودًا مباينًا لوجود المخلوق، وهو جامع كل شر في العالم.

ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجودًا مباينًا لوجود المخلوق وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئًا، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئًا ومن كلام القرامطة والباطنية شيئًا فيطوفون علىٰ أبواب المذاهب ويفوزون بأخسِّ المطالب، ويثنون علىٰ ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة. جامع الرسائل (١ - ص١٦٧).

البانتشاسيلا:

قال في الموسوعة الميسرة (٤٧٠): البانتشاسيلا (أو المبادئ الخمسة المتلاحمة): هي خمسة مبادئ رئيسة أعلنت غداة الاستقلال سنة ١٩٤٥م ووضعت في دستور إندونيسيا المسلمة، ليسير علىٰ هديها الشعب الإندونيسي المسلم بديلًا عن العقيدة الإسلامية.

في سنة ١٩٤٥م عقدت لجنة الإعداد للاستقلال في اندونيسيا لوضع أسس للدولة المقبلة.

وتعامل الحكومة انطلاقًا من البانتشاسيلا الأديان معاملة متساوية لذلك أتاحت للهيئات التبشيرية كامل الحرية في نشر الديانة النصرانية بين المسلمين.

وكذلك تقدم الحكومة برامج متساوية علىٰ شاشة التلفزيون لنشر تعاليم كل الأديان.

ونظرًا لأعمال البانتشاسيلا فإن عدد الكنائس والمعابد البوذية والهندوكية أصبحت مقاربة لعدد مساجد المسلمين.

أدخلت الحكومة مبادئ البانتشاسيلا كمادة أساسية في مجال التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية، وأعدَّت دورات تدريبية لجميع موظفي الحكومة والقطاع الخاص لدراسة مبادئها. زعمًا بأن البانتشاسيلا ليست ضد الإسلام والمسلمين وإنما تعني حرية الأديان للتعايش السلمي.

البابية والبهائية:

قال في الموسوعة الميسرة (٤١٢) مختصرًا: حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٢٣٥-١٢٦٦هـ) (١٨١٩ - ١٨٥٠م)، ففي السادسة من عمره تلقىٰ تعليمه الأولي علىٰ يد دعاة الشيخية من الشيعة ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة.

وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية المتعبة.

في عام ١٢٥٩ م ذهب إلىٰ بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه

كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية.

وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي والمدعي الإسلام باسم عيسىٰ النكراني والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر والباب الموصل إلىٰ الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي وذلك لما وجده مؤهلًا لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

في ليلة الخميس ٥ جمادىٰ الأولىٰ ١٢٦٠ هـ ٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب نسبة إلىٰ ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفىٰ ١٢٥٩ هـ، وأنه رسول كموسىٰ وعيسىٰ ومحمد -عليهم السلام-، بل وعياذًا بالله أفضل منهم شأنًا.

فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة واختار ثمانية عشرة مبشرًا لدعوته أطلق عليهم حروف الحي إلا أنه في عام ١٢٦١ هـ قبض عليه فأعلن توبته علىٰ منبر مسجد الوكيل بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فسادًا وتقتيلًا وتكفيرًا للمسلمين.

في عام ١٢٦٦ هـ ادعىٰ الباب حلول الإلهية في شخصه حلولًا ماديًّا وجسمانيًّا؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة، وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦ هـ ٨ يوليو ١٨٥٠.

قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمىٰ ولدت في قزوين سنة ١٢٣١ هـ أو

١٢٣٣ هـ أو ١٢٣٥ هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم ومالت إلىٰ الشيخية بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتىٰ قيل إنها مهندسة أفكاره إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلًا عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ من أولادها، كانت تلقب بـ زرين تاج صاحبة الشعر الذهبي بالفارسية.

في رجب ١٢٦٤ هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع علىٰ الخروج في مظاهرات احتجاج علىٰ اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية.

اشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة ١٢٦٨ هـ الموافق ١٨٥٢ م.

الميرزايحي علي: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصىٰ له الباب بخلافته وسمي أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه.

ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلىٰ أدرنة بتركيا في عام ١٨٦٣ م حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفىٰ السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلىٰ عكا ونفىٰ صبح أزل مع أتباعه إلىٰ قبرص حتىٰ مات ودفن بها في ٢٩ إبريل ١٩١٢ م صباحًا عن عمر يناهز ٨٢ عاما مخلفًا كتابًا أسماه الألواح تكملة البيان بالفارسي

والمستيقظ ناسخ البيان وأوصىٰ بالخلافة لابنه الذي تَنصّر وانفض من حوله الأتباع.

الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب، وأنه رسول الله الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب، وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.

الأفكار والمعتقدات:

يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء.

يقولون بالحلول والاتحاد والتناسخ وخلود الكائنات وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط علىٰ وجه يشبه الخيال.

يقدسون العدد ١٩ ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهرًا وعدد الأيام ١٩ يومًا، وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادَّعىٰ قدسية خاصة للرقم ١٩، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف علىٰ ١٩ ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.

يقولون بنبوة بوذا وكنفوشيوس وبراهما وزاردشت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.

يوافقون اليهود والنصارىٰ في القول بصلب المسيح.

يؤولون القرآن تأويلات باطنية ليتوافق مع مذهبهم.

ينكرون معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجن كما ينكرون الجنة والنار.

يحرمون الحجاب علىٰ المرأة ويحللون المتعة وشيوعية النساء والأموال.

يقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمدﷺ.

يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلىٰ البهجة بعكا بفلسطين بدلًا من المسجد الحرام.

والصلاة تؤدىٰ في تسع ركعات ثلاث مرات والوضوء بماء الورد وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر الأطهر خمس مرات.

لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة علىٰ الميت وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة (الله أبهىٰ).

الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلىٰ الغروب مدة تسعة عشر يومًا (شهر بهائي) ويكون آخرها عيد النيروز ٢١ آذار وذلك من سن ١١ إلىٰ ٤٢ فقط يعفىٰ البهائيون من الصيام.

تحريم الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.

ينكرون أن محمدًا، خاتم النبيين مدعين استمرار الوحي وقد وضعوا كتبًا معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.

وهذا غاية الكفر والضلال والعياذ بالله؛ لأنه تكذيب للقرآن.

وقال عواجي في كتابه (فرق معاصرة تنتمي للإسلام) (١/ ٤٣٤): وفيما

يلي نذكر أهم مبادئهم وتعاليمهم التي ينادون بها:

١- وحدة جميع الأديان والالتقاء علىٰ دين واحد لتزول الخلافات بين الناس ومن المعروف بداهة أن هذا الدين سيكون الدين البهائي.

٢- وحدة الأوطان.

٣- وحدة اللغة.

٤- السلام العام والتعايش الهادئ بين كل الشعود وذلك إذا طبقوا السياسة البهائية.

٥- المساواة بين الرجل والمرأة.

العلمانية (SECULArISM):

قال صاحب الموسوعة الميسرة (٦٨٩): وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلىٰ إقامة الحياة علىٰ العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين.

وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلىٰ الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلىٰ مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر.

أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين، ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة، وهذا واضح فيما يُنسب إلىٰ السيد المسيح من قوله: اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

الأفكار والمعتقدات:

- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلًا.
- وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.
- الحياة تقوم علىٰ أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.
- إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.
- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة علىٰ أساس مادي.
- تطبيق مبدأ النفعية Pragmatism علىٰ كل شيء في الحياة.
- اعتماد مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

- نشر الإباحية والفوضىٰ الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولىٰ في البنية الإجتماعية.

أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار والتبشير فهي:

- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.
- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.
- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.
- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلىٰ التخلف.
- الدعوة إلىٰ تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.
- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.
- إحياء الحضارات القديمة.
- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.
- تربية الأجيال تربية لا دينية. اهـ

وهي بهذه الأفكار والمعتقدات لم تتمكن من زحزحة الإسلام عن الحياة العامة، تذهب إلىٰ الدعوة للحوارات والتقاربات مع الأديان الأخرىٰ حتىٰ يتسنىٰ لها زعزعة هذا الدين.

الماسونية:

قال في الموسوعة الميسرة (٥١٣): لغة معناها البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلىٰ ضمان سيطرة اليهود علىٰ العالم وتدعو إلىٰ الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة: (حرية إخاء مساواة إنسانية).

جُلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهدًا بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمىٰ بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيدًا لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية كما يدعون وتتخذ الوصولية والنفعية أساسًا لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

الأفكار والمعتقدات:

- يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات.
- يعملون علىٰ تقويض الأديان.
- العمل علىٰ إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.
- إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.
- العمل علىٰ تقسيم غير اليهود إلىٰ أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

- تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

- بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

- تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضىٰ ولانحلال والإرهاب والإلحاد.

- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

- إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون ولينفذ صاغرًا كل أوامرهم.

- الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني وأن يجعل ولاءه خالصًا للماسونية.

- إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرىٰ وقد يكون مصيره القتل.

- كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون علىٰ التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

- العمل علىٰ السيطرة علىٰ رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

- السيطرة علىٰ الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة.

- السيطرة علىٰ أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

- بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتىٰ تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

- دعوة الشباب والشابات إلىٰ الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسري.

- الدعوة إلىٰ العقم الاختياري وتحديد النسل لدىٰ المسلمين.

- السيطرة علىٰ المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جذور الماسونية يهودية صرفة، من الناحية الفكرية ومن حيث الأهداف والوسائل وفلسفة التفكير، وهي بضاعة يهودية أولًا وأخرًا، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان والأخلاق.

وقد نجحت الماسونية بواسطة جمعية الإتحاد والترقي في تركيا في القضاء علىٰ الخلافة الإسلامية، وعن طريق المحافل الماسونية سعىٰ اليهود في طلب أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنه رفض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أغلقت محافل الماسونية في مصر سنة ١٩٦٥م بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل. اهـ

يقول رئيس محفل الشرف الأعظم الماسوني، محمد رشيد الفياض في كتابه النور الأعظم (ص١١٢-١١٥): الميمات الثلاث: في الموسوية، والمسيحية، والمحمدية يجتمعون هكذا في ميم الماسونية؛ لأن الماسونية عقيدة العقائد

وفلسفة الفلسفات؛ إنها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتتات.

وإن باءي البوذية والبرهمية يجتمعان في باء البناء، بناء هيكل المجتمع الإنساني الصالح، المنزه من العمالة العنصرية، والعملاء.

إن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء، هو مبادئ الحرية المساواة والإخاء، ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة والعطاء.

الماسونية علىٰ حقيقتها ليست عماله لأي ديانة، أو عنصرية معينة، إنها عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، وبالمبادئ الإنسانية مزينة؛ عقيدة الأحرار هي عقيدة لجميع أبناء البشرية، دون تمييز أو تفريق، وإنها لن تمنح الفضل والأولية لفريق دون فريق. (١) اهـ

ومن الدعوات الهدامة للدين الإسلامي الحق هو الدعوة إلىٰ التقارب مع الأمة الغضبية والأمة الضالة.

الروتاري:

قال في الموسوعة الميسرة (٥٣٥): الروتاري: جمعية ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية، وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم.

وكلمة روتاري كلمة إنجليزية معناها دوران أو مناوبة، وقد جاء هذا الاسم لأن الاجتماعات كانت تعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب، ولا زالت

---

(١) عن: «دعوة التقريب بين الأديان» (١/ ٣٦١).

تدور الرئاسة بين الأعضاء بالتناوب.

وقد اختارت النوادي شارة مميزة لها هي العجلة المسننة علىٰ شكل ترس ذات أربعة وعشرين سنًّا باللونين الذهبي والأزرق وداخل محيط العجلة المسننة تتحدد ست نقاط ذهبية، كل نقطتين متقابلتين تشكلان قطرًا داخل دائرة الترس بما يساوي ثلاثة أقطار متقاطعة في المركز وبتوصيل نقطة البدء لكل قطر من الأقطار الثلاثة بنهاية القطرين الآخرين تتشكل النجمة السداسية تحتضنها كلمتي روتاري وعالمي باللغة الإنجليزية.

أما اللونان الذهبي والأزرق فهما من ألوان اليهود المقدسة التي يزينون بها أسقف أديرتهم وهياكلهم ومحافلهم الماسونية وهما اليوم لونا علم دول السوق الأوروبية المشتركة.

تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف، وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية، وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلىٰ التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية.

أما الغرض الحقيقي: فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرىٰ باسم الود والإخاء وعن طريق ذلك يصلون إلىٰ جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدهم علىٰ نشر عادات معينة تعين علىٰ التفسخ الاجتماعي، ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع.

حزب الإخوان المسلمين:

هذا الحزب من الحركات المشهورة بالدعوة إلىٰ هذه الفكرة المبتورة كما سترىٰ ذلك في أقوال منظريهم مثل القرضاوي والترابي والزنداني وغيرهم.



الفصل الرابع:
كيفية الحوار مع الكفار والمعرضين والمخالفين

أولًا: مشروعية الحوار بالدعوة إلىٰ الدين الحق الإسلام والتحذير من دين الكفار من اليهود والنصارىٰ المبطلين.

اعلم وفقك الله لطاعته ومرضاته أن الله تعالىٰ بعث محمدًاﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشرِكُونَ، وقد أظهر الله هذا الدين وجعل من وسائل ظهوره الدعوة إليه فرغب في ذلك وحث فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

ومن وسائل الدعوة إلىٰ الله ﷻ: المجادلة لإظهار الدين والدعوة إليه كما سترىٰ في حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

قال ابن الحنبلي في استخراج الجدال من القرآن الكريم: اعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعًا، ولفظة الحجة وما تصرف منها في سبعة وعشرين موضعًا، ولفظة السلطان أيضًا في ثلاثةٍ وثلاثين موضعًا الجميع المراد به الحجةُ سوىٰ موضعٍ واحدٍ في الحاقة: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ وقيل: المراد به الحجة.

فأما الجدل فهو مذمومٌ في كل موضعٍ ذكر إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها: في النحل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

الموضعُ الثاني: في العنكبوتِ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

الموضعُ الثالث: في المجادلةِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]، وهذه المرأةُ هي خولةُ بنتُ ثعلبةَ الأنصارية، كانت تحتَ زوجِها أوسِ بنِ الصامتِ والقصةُ مشهورةٌ. اهـ

وقد أخرج البخاري (٤٣٨٠)عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلىٰ رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيًّا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ولا تبعث معنا إلا أمينًا فقال: لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح**» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**».

قال ابن حجر في فتح الباري (١٢ / ١٩٥): وفي قصة أهل نجران من

الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتىٰ يلتزم أحكام الإسلام.

وفيها: جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته.

وفيها: مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلىٰ ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء.

ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلًا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين. اهـ

وقال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح [١/ ٢١٦]: قوله تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

وهذه آية السيف مع أهل الكتاب وقد ذكر فيها قتالهم إذا لم يؤمنوا حتىٰ يعطوا الجزية، والنبيﷺ لم يأخذ من أحد الجزية إلا بعد هذه الآية، بل وقالوا إن أهل نجران أول من أخذت منهم الجزية كما ذكر ذلك أهل العلم كالزهري وغيره، فإنه باتفاق أهل العلم لم يضرب النبيﷺ علىٰ أحد قبل نزول هذه الآية جزية لا من الأميين ولا من أهل الكتاب.

ولهذا لم يضربها علىٰ يهود قينقاع والنضير وقريظة ولا ضربها علىٰ أهل خيبر، فإنها فتحت سنة سبع قبل نزول آية الجزية وأقرهم فلاحين وهادنهم هدنة مطلقة قال فيها نقركم ما أقركم الله، فإذا كان أول ما أخذها من وفد نجران علم أن قدومهم عليه ومناظرته لهم ومحاجته إياهم وطلبه المباهلة معهم كانت بعد آية

السيف التي فيها قتالهم.

وعلم بذلك أن ما ذكره الله تعالىٰ من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا محكم لم ينسخه شيء.

وكذلك ما ذكره تعالىٰ من مجادلة الخلق مطلقًا بقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضًا للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام، ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمقيم للتخيير بين الصيام وبين إطعام كل يوم مسكينًا.

ومناقضة نهيه عن تعدي الحدود التي فرضها للورثة للأمر بالوصية للوالدين والأقربين.

ومناقضة قوله لهم كفوا أيديكم عن القتال لقوله قاتلوهم كما قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٧٧].

فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فهذا لا يناقضة الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار علىٰ المجادلة، فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ.

ومعلوم أن كلًّا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعًا أبلغ في إظهار الهدىٰ ودين الحق.

ومما يبين ذلك وجوه:

أحدها: أن من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال فهو داخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن وليس هو داخلًا فيمن أمر الله بقتاله.

الثاني: أنه قال: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن، فمن كان ظالمًا مستحقًّا للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتي هي

أحسن، بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد أو كان يظن أنه علىٰ حق يقصد نصر ما يظنه حقًّا.

ومن كان قصده العناد يعلم أنه علىٰ باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق أخرىٰ نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله.

الثالث :أنه سبحانه قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

فهذا مستجير مستأمن وهو من أهل الحرب أمر الله بإجارته حتىٰ تقوم حجة الله عليه ثم يبلغه مأمنه وهذا في سورة براءة التي فيها نقض العهود وفيها آية السيف وذكر هذه الآية في ضمن الأمر بنقض العهود ليبين سبحانه أنه مثل هذا يجب أمانه حتىٰ تقوم عليه الحجة لا تجوز محاربته كمحاربة من لم يطلب أن يبلغ حجة الله عليه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم أبلغه مأمنه إن لم يوافقه ما نقص عليه ونخبر به فأبلغه مأمنه قال وليس هذا بمنسوخ وقال مجاهد من جاءك واستمع ما أنزل إليك فهو آمن حتىٰ يأتيك.

وقال عطاء في الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد قال: تخيره إما أن تقره وإما أن تبلغه مأمنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦]، قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعًا يتمكن معه من فهم معناه؛ إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنىٰ، فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه

الحجة، ولو كان عربيًّا وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته وجب أن يبين له معناها.

ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنىٰ وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك، وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه.

كما كان النبي ﷺ إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالًا يوردونه علىٰ القرآن فإنه كان يجيبه عنه، كما أجاب ابن الزبعرىٰ لما قاس المسيح علىٰ آلهة المشركين، وظن أن العلة في الأصل بمجرد كونهم معبودين وأن ذلك يقتضي كل معبود غير الله فإنه يعذب في الآخرة فجعل المسيح مثلًا لآلهة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع علىٰ الأصل.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٨].

فبين سبحانه الفرق المانع من إلحاق بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وبين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلًا محضًا لا يوجب علمًا؛ لأن الفرق حاصل بين الفرع والأصل، فإن الأصنام إذا جعلوا حصبًا لجهنم كان ذلك إهانة وخزيا لعابديها من غير تعذيب من لا يستحق التعذيب.

بخلاف ما إذا عذب عباد الله الصالحون بذنب غيرهم فإن هذا لا يفعله الله تعالىٰ لاسيما عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل سلفهم وخلفهم الذين

يقولون إن الله لا يخلق ويأمر إلا لحكمة ولا يظلم أحدًا فينقصه شيئًا من حسناته ولا يحمل عليه شيئات غيره، بل ولا يعذب أحدًا إلا بعد إرسال رسول إليه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن:١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء:٥].

وكذلك لما أورد بعض النصارىٰ علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] ظنًّا منه أن هارون هذا هو هارون أخو موسىٰ بن عمران وأن عمران هذا هو عمران أبو مريم أم المسيح، فسئل النبي ﷺ عن ذلك أجاب بأن هارون هذا ليس هو ذاك، ولكنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين.

وبعض جهال النصارىٰ يقدح في القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المفرط في جهله أن آحاد الناس يعلمون أن بين موسىٰ وعيسىٰ مدة طويلة جدًّا يمتنع معها أن يكون موسىٰ وهارون خالي المسيح وأن هذا مما لا يخفىٰ علىٰ أقل أتباع محمد ﷺ فضلًا عن أن يخفىٰ علىٰ محمد ﷺ.

وهذا السؤال مما أورده أهل نجران كما ثبت عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ أهل نجران فقالوا ألستم تقرءون يا أخت هارون وقد علمتم ما بين موسىٰ وعيسىٰ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلىٰ رسول الله ﷺ

فأخبرته فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم**».

وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران الكفار علىٰ رسول اللهﷺ ولم يجبهم عنه أجاب عنه النبيﷺ ولم يقل لهم ليس لكم عندي إلا السيف، وقال لا قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولًا إلا والجهاد مأمور به.

وكان المسلمون يوردون الأسئلة عليه كما أورد عليه عمر عام الحديبية لما صالح المشركين ولم يدخل مكة فقال له: ألم تكن تحدثنا أن نأتي البيت ونطوف به قال: «**بلىٰ أقلت لك أنك تأتيه في هذا العام؟**» قال لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، وكذلك أجابه أبو بكر ولم يكن سمع جواب النبيﷺ له معلوم أنه ليس في ظاهر اللفظ توقيت ذلك بعام ولكن السائل ظن ما لا يدل اللفظ عليه.

وكذلك لما قال من نوقش الحساب عذب قالت له عائشة: ألم يقل الله : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨] فقال: «**ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب**».

ومعلوم أن الحساب اليسير لا يتناول من نوقش، وقد زادها بيانًا فأخبر أنه العرض لا المقابلة المتضمنة للمناقشة.

وكذلك لما قال إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة قالت له حفصة ألم يقل الله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] فأجابها بأنه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢] فبين ﷺ أن هؤلاء هم الذين يدخلون جهنم وهذا الدخول هو الذي نفاه عن أهل الحديبية.

وأما الورود فهو مرور الناس علىٰ الصراط كما فسره في الحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يجزي به العصاة وينفي عن المتقين ومثل هذا كثير.

وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها فهذا كثير جدًّا، فإنه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة في النبوات وتارة في المعاد وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها.

كما قال تعالىٰ سورة الفرقان: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣١-٣٢].

وقد أخبر الله تبارك وتعالىٰ عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالىٰ عن قوم نوح: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

وقال عن الخليل: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٠-٨٣].

وأمر الله تعالىٰ محمدًا ﷺ بالمجادلة بالتي هي أحسن وذم سبحانه من جادل بغير علم أو في الحق بعدما تبين ومن جادل بالباطل فقال تعالىٰ: ﴿هَا أَنتُمْ

هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٦ - ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

وهذا هو الجدال المذكور في قوله : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر:٤].

وإذا كان النبي ﷺ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال وقد أمره الله تعالىٰ أن يجير المستجير حتىٰ يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه والمراد بذلك تبليغ رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ علم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ الأمر بالمجادلة مطلقًا

الوجه الرابع: أن القائل إذا قال إن آية مجادلة الكفار أو غيرها مما يدعي نسخه منسوخة بآية السيف، قيل له: ما تعني بآية السيف؟ أتعني آية بعينها أم تعني كل آية فيها الأمر بالجهاد؟

فإن أراد الأول كان جوابه من وجهين: أحدهما: أن الآيات التي فيها ذكر الجهاد متعددة فلا يجوز تخصيص بعضها.

وإن قال: أريد قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:٥].

قيل له: هذه في قتال المشركين وقد قال بعدها في قتال أهل الكتاب: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩] فلو لم تكن آية السيف إلا واحدة لم تكن هذه أولىٰ من هذه.

وإن قال: كل آية فيها ذكر الجهاد.

قيل له: الجهاد شرع علىٰ مراتب فأول ما أنزل الله تعالىٰ فيه الأذن بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٩] فقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه أول آية نزلت في الجهاد.

ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦]، ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم.

بل قال: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٨٩-٩٠].

وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله وإن كانت الهدنة عقدًا جائزًا غير لازم، ثم أنزل في براءة الأمر بنبذ العهود وأمرهم بقتال المشركين كافة وأمرهم بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا حتىٰ يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولم يبح لهم ترك قتالهم وإن سالموهم وهادنوهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم.

فإن: قال آية السيف التي نسخت المجادلة هي آية الأذن.

قيل: فآية الأذن نزلت في أول مقدمه المدينة قبل أن يبعث شيئًا من السرايا وقد جادل بعد هذا الكفار.

وكذلك إن قيل: آيات فرض القتال.

قيل: فقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] نزلت في أول الأمر قبل بدر، ولا ريب أن الجهاد كان واجبًا والخندق وفتح خيبر ومكة وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد في هؤلاء المغازي كما ذكر ذلك في سورة آل عمران والأحزاب.

وإن قيل: بل الجدال إنما نسخ لما أمر بجهاد من سالم ومن لم يسالم.

قيل: هذا باطل؛ فإن الجدال إن كان منافيًا للجهاد فهو مناف لإباحته ولإيجابه ولو للمسالم، وإن لم يناف الجهاد لم يناف إيجاب الجهاد للمسالمين كما لم يناف إيجاب جهاد غيرهم، فإن المسالم قد لا يجادل ولا يجالد، وقد يجادل ولا يجالد، كما أن غيره قد يجالد ويجادل وقد يفعل أحدهما.

فإن كان إيجابه لجهاد المحارب المبتدئ بالقتال لا ينافي مجادلته فلأن

يكون جهاد من لا يبدأ القتال لا ينافي مجادلته أولىٰ وأحرىٰ، فإن من كان أبعد عن القتال كانت مجادلته أقل منافاة للقتال ممن يكون أعظم قتالًا.

يبين هذا الوجه الخامس: وهو أن يقال المنسوخ هو الاقتصار علىٰ الجدال فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرًا.

قال تعالىٰ في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢].

وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلىٰ المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالىٰ بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت، وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال.

وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعًا من أول الأمر إلىٰ آخره، فإنه إذا شرع جهادهم باليد فباللسان أولىٰ.

وقد قال النبي ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم**».

وكان ينصب لحسان منبرًا في مسجدًا يجاهد فيه المشركين بلسانه جهاد هجو وهذا كان بعد نزول آيات القتال، وأين منفعة الهجو من منفعة إقامة الدلائل والبراهين علىٰ صحة الإسلام وإبطال حجج الكفار من المشركين وأهل الكتاب.

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة ولو أن الناس

آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج إلىٰ القتال فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقًا وجوبًا أصليًّا، وأما الجهاد فمشروع للضرورة فكيف يكون هذا مانعًا من ذلك؟

فإن قيل: الإسلام قد ظهرت أعلامه وآياته فلم يبق حاجة إلىٰ إظهار آياته وإنما يحتاج إلىٰ السيف.

قيل: معلوم أن الله وعد بإظهاره علىٰ الدين كله ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

وقد فسر العلماء ظهوره بهذا وهذا ولفظ الظهور يتناولهما، فإن ظهور الهدي بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل، والله تعالىٰ أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله.

ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعًا واختيارًا بغير سيف لما بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف.

فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعًا فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته.

ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلىٰ السيف فكذلك هو محتاج إلىٰ العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا

به علىٰ كل دين، مع أن كثيرًا من الكفار لم يقهره سيفه، فكذلك كثير من الناس لم يظهر لهم آياته وبراهينه بل قد يقدحون فيه ويقيمون الحجج علىٰ بطلانه لاسيما والمقهور بالسيف فيهم منافقون كثيرون فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان.

يؤكد هذا الوجه السابع: وهو أن القتال لا يكون إلا لظالم، فإن من قاتل المسلمين لم يكن إلا ظالمًا معتديًا ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن إلا ظالمًا.

وأما المجادلة فقد تكون لظالم إما طاعن في الدين بالظلم وإما من قامت عليه الحجة الظاهرة فامتنع من قبولها، وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه، وإما من بلغه بعض أعلام نبوة محمدﷺ ودلائل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافي ذلك فاحتاج إلىٰ جواب تلك المعارضات، وإما طالب لمعرفة دلائل النبوة علىٰ الوجه الذي يعلم به ذلك فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعا فالمجادلة التي تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع غيره مشروعة بطريق الأولىٰ.

قال مجاهد : ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦] قال: الذين ظلموا من قاتلك ولم يعطك الجزية.

وفي لفظ آخر عنه قال الذين ظلموا منهم أهل الحرب من لا عهد لهم المجادلة لهم بالسيف

وفي رواية عنه قال: لا تقاتل إلا من قاتلك ولم يعطك الجزية.

وفي رواية عنه قال: من أدىٰ منهم الجزية فلا تقولوا له إلا خيرًا.

وعن مجاهد : ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فإن قالوا شرًّا فقولوا خيرًا.

فهذا مجاهد لا يجعلها منسوخة وهي قول أكثر المفسرين.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦] ليست منسوخة، ولكن عن قتادة قال نسختها : ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ ولا مجادلة أشد من السيف؟

والأول أصح لأن هؤلاء من الذين ظلموا؛ فلا نسخ.

الوجه الثامن: أن كثيرًا من أهل الكتاب يزعم أن محمدًاﷺ وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف لا بالهدىٰ والعلم والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة فقيل لهم ليس لكم جواب إلا السيف كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم علىٰ فساد الإسلام وأنه ليس دين رسول من عند الله وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف.

الوجه التاسع: أنه من المعلوم أن السيف لاسيما سيف المسلمين وأهل الكتاب هو تابع للعلم والحجة، بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم والسيف من جنس العمل والعمل أبدًا تابع للعلم والرأي.

وحينئذٍ فبيان دين الإسلام بالعلم وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام واجتناب لأصل غيره من الأديان التي يقاتل عليها أهلها ومتىٰ ظهر صحته وفساد غيره كان الناس أحد رجلين إما رجل تبين له الحق فاتبعه فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل وإما رجل لم يتبعه فهذا قامت

عليه الحجة إما لكونه لم ينظر في أعلام الإسلام أو نظر وعلم فاتبع هواه أو قصر.

وإذا قامت عليه الحجة كان أرضىٰ لله ولرسوله وأنصر لسيف الإسلام وأذل لسيف الكفار، وإذا قدر أن فيهم من يعجز عن فهم الحجة فهذا إذا لم يكن معذورًا مع عدم قيامها فهو مع قيامها أولىٰ ألا يعذر، وإن كان معذورًا مع قيامها فهو مع عدمها أعذر فعلىٰ التقديرين قيام الحجة أنصر وأعذر

وقد قال تعالىٰ: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات:٥-٦].

وقال النبي ﷺ: «**ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين**». اهـ

قال القرطبي في تفسيره (١٣ / ٣١١): قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، الآية فيه مسألتان:

الأولىٰ: اختلف العلماء في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن علىٰ معنىٰ الدعاء لهم إلىٰ الله ﷻ والتنبيه علىٰ حججه وآياته رجاء إجابتهم إلىٰ الإيمان، لا علىٰ طريق الأغلاظ والمخاشنة.

وقوله علىٰ هذا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ معناه ظلموكم، وإلا فكلهم ظلمة علىٰ الإطلاق.

وقيل: المعنىٰ لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله ابن سلام ومن آمن معه.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك.

وقوله علىٰ هذا التأويل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يريد به من بقي علىٰ كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم.

والآية علىٰ هذا أيضًا محكمة.

وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال قوله تعالىٰ: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة:٢٩].

قال قتادة: : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي جعلوا لله ولدًا، وقالوا: يد الله مغلولة وإن الله فقير؛ فهؤلاء المشركون الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية فانتصروا منهم.

قال النحاس وغيره: من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية، ولا غير ذلك.

وقول مجاهد حسن، لأن أحكام الله ﷻ لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة من معقول.

واختار هذا القول ابن العربي. اهـ

تلخص مما تقدم: أن المحاورة من أجل نشر الدين والدعوة إليه مشروعة ومستحبة بل قد تجب وذلك بحسب الحال، والله الموفق.

بعض فوائد مجادلة أهل الكتاب بدعوتهم إلىٰ الحق والصواب وتحذيرهم من الكفر والعناد والإعراض والشقاق:

١ - مجادلتهم إقامة للحجة عليهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب.

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: أنه تعالىٰ أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه؛ لئلا يبقىٰ لمعتذر عذر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤].

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧].

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا أحَدَ أغَيرَ من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظَهَر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبَّ إليه المدحُ من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحدَ أحَبَّ إليه العُذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين»، وفي لفظ: «من أجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه». اهـ

٢- مجادلتهم بالدعوة إلىٰ الله سنة نبوية:

عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلىٰ يهود»، فخرجنا حتىٰ جئنا بيت المدراس فقال: «أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله».

٣- مجادلة أهل الكتاب بدعوتهم إلىٰ الله ﷻ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي حديث أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عند البخاري: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: خَيرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِم فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعنَاقِهِم حَتَّىٰ يَدخُلُوا فِي الإِسلَامِ.

٤- مجادلة أهل الكتاب بدعوتهم إلىٰ الله دحض لحجتهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾ [الشورىٰ:١٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالىٰ متوعدًا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدىٰ، ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ أي: باطلة عند الله، ﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ ﴾ أي: منه، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾ أي: يوم القيامة.

قال ابن عباس ومجاهد: جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله، ليصدوهم عن الهدىٰ، وطمعوا أن تعود الجاهلية.

وقال قتادة: هم اليهود والنصارىٰ، قالوا لهم: ديننا خير من دينكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، وأولىٰ بالله منكم. وقد كذبوا في ذلك. اهـ

٥- مجادلتهم بالدعوة إلىٰ الله لعزة الإسلام وبيان لبطلان دينهم.

كيفية الحوار مع اليهود والنصارىٰ الكفار:

الحوار في اللغة: التراجع.

قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٣٨٤): وهما يتحاوران، أي: يتراجعان

الكلام والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. اهـ

وفي **النهاية لابن الأثير**: الجدَل: مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة. والمُجَادَلَةُ: المُناظَرةُ والمخاصَمة. والمراد به في الحَديث الجدل علىٰ الباطل وطَلَبُ المغالَبة به، فأما الجَدَل لإظهار الحقّ فإنَّ ذلك مَحمودٌ لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾. اهـ

والمخاطبة مع اليهود والنصارىٰ وكل من خالف دين الإسلام الحق بدعوتهم إلىٰ هذا الدين، وإظهار محاسنه والتحذير من مخالفته ولنا في ذلك عدة أدلة فيها محاورات وقعت بين رسول الله ﷺ وبين هؤلاء المخالفين، وهو الإمام الأعظم الذي أمرنا بمتابعته والأخذ بسيرته قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، هذا في حال قبولهم وعدم إعراضهم وعنادهم.

يدل علىٰ ذلك قوله الله تعالىٰ لموسىٰ وهارون -عليهما السلام-: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه:٤٣-٤٤]، وفعلًا دخلا عليه وكلماه بالرفق واللين الذي أمرهما الله به كما قص علينا ذلك في سورة طه.

لكن لما حصل العناد والإعراض وزعم أن موسىٰ عليه السلام مسحور قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١].

فرد عليه موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، أي: هالكًا.

فرسول الله ﷺ قال الله عنه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فينبغي لنا متابعة رسول الله ﷺ في الدعوة إلىٰ الله ﷻ، وغيرها من العبادات، وكم نسمع ونقرأ عن أئمة الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ وأعلام المسلمين من العلماء المصلحين والأئمة المهتدين أن وسائل الدعوة توقيفية أي: متوقفة علىٰ دلالة الكتاب والسنة.

قال ابن الحنبلي في استخراج الجدال من القرآن الكريم: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ فيحتمل أن يكون المرادُ بالأحسن الأظهر من الأدلة، ويحتمل التعجيز عن الإتيان بمثل القرآن، لأنه أحسن الأدلة نظامًا وبيانًا وأكملها حسنًا وإحسانًا وأرجحها من الثواب ميزانًا وأوضحها علىٰ اختلاف مدلولاتها كشفًا وبرهانًا.

ويحتمل الإصغاءُ إلىٰ شُبههم والرفق بهم في حلها ودحضها.

ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكد وهي سنة الأنبياءِ -عليهم السلام- مع الأمم عند الدعوة، والمجادلة من ذلك لما قالوا لمحمدٍ: مجنونٌ. قال: وما مسني السُّوء، أي: جنونٌ من غير أن يقابلهم علىٰ ذلك بقولٍ خشنٍ مع النخوة العربية والعزة الهاشمية.

وقالوا لنوح عليه السلام: إن هو إلا رجل به جِنَّةٌ، قال: رب انصرني بما كذبون، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٠-٦١].

وقالوا لصالح: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٣٨

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:٣٨-٣٩].

وقالوا لهودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٦-٦٧].

فلو قابلهم الأنبياءُ بغلظةٍ لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التسديد لما قالوا والتدبر لما جاءوا به من البينات، فلم تتضح لهم المحجة، ولم تقم عليهم الحجة، وشاهدُ هذه الحالة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦] اهـ

أول من سن الجدال:

أول من سن الجدال الملائكة -صلوات الله عليهم- حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وهذا منهم استدلال بالترجيح والأولوية، أي: من سبح وقدس لك هو أولىٰ بالإيجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله لهم الترجيح أيضًا من جهةٍ أُخرىٰ.

ولهذا لم يرد عليهم قولهم، إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنوه فيهم ووصفوهم به كائن، بل عدل الله سبحانه إلىٰ أمر مجملٍ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من ترتيب خلقي وتدبير صنعي المحوط بالحكمة الدال علىٰ القدرة، فإني خلقت الملائكة من نورٍ لا ظلمة فيه، فكان منهم الخير المحض بإرادتي، وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم وهو المارج، فكان منهم الشر المحض بإرادتي.

وخلقت آدم وذريته من نور وظلمةٍ، فكان منهم الخير و الشر بإرادتي، ووضعت فيهم عقلًا يرشد إلىٰ المصالح، ونفسًا ميالةً إلىٰ الهوىٰ المُردي.

وأمددت الفريقين بجندينِ يسوقان العقل والنفس إلىٰ ما سبق من التقدير الناشئ عن علم التدبير، وكان حكمي في هذين الفريقين أَنَّ من غلب عقله علىٰ هواه فهو من الناجين، ومن غلب هواه علىٰ عقله فهو من الهالكين وهذا ما اشتمل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾. اهـ

أفاده ابن الحنبلي في كتابه (استخراج الجدال من القرآن الكريم).

مجادلة أهل الكتاب في غير الكلمة السواء:

هل يجادل أهل الكتاب في غير الكلمة السواء ؟

هذا السؤال يبين الإجابة عليه ما سنذكر من الأدلة:

عَن أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهوَ فِي أَرضٍ يَختَرِفُ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَن ثَلَاثٍ لَا يَعلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ فَمَا أَوَّلُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهلِ الجَنَّةِ، وَمَا يَنزِعُ الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ أَو إِلَىٰ أُمِّهِ؟

قَالَ: «أَخبَرَنِي بِهِنَّ جِبرِيلُ آنِفًا».

قَالَ: جِبرِيلُ!

قَالَ: «نَعَم».

قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِن المَلَائِكَةِ؛ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧].

«أَمَّا أَوَّلُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحشُرُ النَّاسَ مِن المَشرِقِ إِلَىٰ المَغرِبِ، وَأَمَّا

أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكُلُهُ أَهلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرأَةِ نَزَعَت».

قَالَ: أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَومٌ بُهتٌ وَإِنَّهُم إِن يَعلَمُوا بِإِسلَامِي قَبلَ أَن تَسأَلَهُم يَبهَتُونِي.

فَجَاءَت اليَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبدُ اللهِ فِيكُم؟**»، قَالُوا خَيرُنَا وَابنُ خَيرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «**أَرَأَيتُم إِن أَسلَمَ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ؟**»، فَقَالُوا أَعَاذَهُ اللهُ مِن ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبدُ اللهِ فَقَالَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابنُ شَرِّنَا وَانتَقَصُوهُ قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.

عَن ثَوبَانَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنتُ قَائِمًا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حِبرٌ مِن أَحبَارِ اليَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعتُهُ دَفعَةً كَادَ يُصرَعُ مِنهَا؛ فَقَالَ لِمَ تَدفَعُنِي؟ فَقُلتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدعُوهُ بِاسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهلِي**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: جِئتُ أَسأَلُكَ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَينفَعُكَ شَيءٌ إِن حَدَّثتُكَ**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ : «**سَل**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَينَ يَكُونُ النَّاسُ يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**هُم فِي الظُّلمَةِ دُونَ الجِسرِ**».

قَالَ: فَمَن أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟

قَالَ: «**فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: فَمَا تُحفَتُهُم حِينَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ؟

قَالَ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**».

قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُم عَلَىٰ إِثرِهَا؟

قَالَ: «**يُنحَرُ لَهُم ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأكُلُ مِن أَطرَافِهَا**».

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُم عَلَيهِ؟

قَالَ: «**مِن عَينٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلسَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: وَجِئتُ أَسأَلُكَ عَن شَيءٍ لَا يَعلَمُهُ أَحَدٌ مِن أَهلِ الأَرضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَو رَجُلٌ أَو رَجُلَانِ.

قَالَ: «**يَنفَعُكَ إِن حَدَّثتُكَ**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

قَالَ: جِئتُ أَسأَلُكَ عَنِ الوَلَدِ.

قَالَ: «**مَاءُ الرَّجُلِ أَبيَضُ وَمَاءُ المَرأَةِ أَصفَرُ فَإِذَا اجتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرأَةِ أَذكَرَا بِإِذنِ اللهِ وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ المَرأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنثَا بِإِذنِ اللهِ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: لَقَد صَدَقتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَد سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنهُ وَمَا لِي عِلمٌ بِشَيءٍ مِنهُ حَتَّىٰ أَتَانِيَ اللهُ**».

أخرجه مسلم (٣١٥).

وعَن عَبدِ اللهِ قَالَ: بَينَمَا أَنَا أَمشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ إِذ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالُوا مَا

رَابكُم إِلَيهِ لَا يَستَقبِلُكُم بِشَيءٍ تَكرَهُونَهُ فَقَالُوا سَلُوهُ فَقَامَ إِلَيهِ بَعضُهُم فَسَأَلَهُ عَن الرُّوحِ قَالَ: فَأَسكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَم يَرُدَّ عَلَيهِ شَيئًا فَعَلِمتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيهِ، قَالَ فَقُمتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحيُ قَالَ: ﴿ وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِن العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤).

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَكُونُ الأَرضُ يَومَ القِيَامَةِ خُبزَةً وَاحِدَةً يَكفَؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكفَأُ أَحَدُكُم خُبزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهلِ الجَنَّةِ**».

قَالَ: فَأَتَىٰ رَجُلٌ مِن اليَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحمَنُ عَلَيكَ أَبَا القَاسِمِ أَلَا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أَهلِ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ؟

قَالَ: «**بَلَىٰ**».

قَالَ: تَكُونُ الأَرضُ خُبزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَت نَوَاجِذُهُ قَالَ: «**أَلَا أُخبِرُكَ بِإِدَامِهِم**» قَالَ بَلَىٰ، قَالَ: «**إِدَامُهُم بَالَامُ وَنُونٌ**»، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «**ثَورٌ وَنُونٌ يَأكُلُ مِن زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبعُونَ أَلفًا**». أخرجه خ(٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

فتبين لنا مما تقدم ومما سترىٰ أن رفع الشبهة ودفعها والإجابة علىٰ المسائل أمر مطلوب إقامة للحجة وإظهارًا للمحجة سواء كان في الكلمة السواء أو غيرها من المسائل والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.

مقومات الحوار:

الأول: وجود طرفين متحاورين.

الثاني: وجود قضية يجري الحوار بشأنها[1].

وعلينا أن نركز عند الحوار مع المتحاورين هل هم مستعدون لقبول الحق أم أن الجدل معهم جدل عقيم؟

فإن كان الأول فذاك وإن كان الآخر فالبعد وعدم تضييع الأوقات أولىٰ وأحرىٰ حيث قد ذكر الله في كتابه حال بعض المعرضين بقوله: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢].

مراتب الحجج التي يستدل بها المتحاورون:

تعريف الحجة:

قال الراغب في مفردات القرآن: الحجة هي الدلالة.... اهـ

١- **الحجة البرهانية**: وهي الحجة التي تفيد اليقين، ومن الحجج البرهانية في القرآن قياسي إعادة الخلق علىٰ بدئه بالنسبة للخالق العظيم قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾، ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٢- **الحجة الجدلة**: هي الحجة المؤلفة من مقدمات مشهورة تعتقد الجماهير مضمونها اعتقادًا مقارنًا لليقين، فمن القضايا المشهرة التي تعتقدها الجماهير

---

(١) «الحوار الذات والآخر» لعبد الستار الهيتي (٤٩)، «ضوابط المعرفة» للميداني (٤٧٤).

اعتقادًا مقارنًا لليقين الأمثلة التي أوردها الغزالي: حكمنا بإفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وملازمة الصدق في الكلام ومراعاة العدل في القضايا والأحكام.

وحكمنا بقبح إيذاء الإنسان وقتل الحيوان، ووضع البهتان، ورضاء الأزواج بفجور النسوان، ومقابلة النعمة بالكفران، ولكن هذا إذا لم نضع في اعتبارنا تعاليم الشرائع الربانية وما ثبت فيها بيقين.

ومن أمثلة الحجج الجدالية في القرآن: الاستدلال علىٰ ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جل وعلا، وأن من مقتضىٰ العدل عدم التسوية بين المسلمين والمجرمين.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص٢٨].

وقد جاء هذا ردًّا علىٰ الذين أنكروا اليوم الآخر، ويمكن أن نضع هذا الدليل علىٰ الوجه التالي: لو لم يكن يوم آخر للحساب والجزاء حقيقة ثابتة لكان واقع هذه الحياة يستلزم التسوية بين المسلمين والمجرمين.

٣- **الحجة الخطابية:** هي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر الأخذ بها ولكنها تفيد ظنًّا راجحًا مقبولًا .

أو هي تعتمد علىٰ مقدمات ظنية سواء سلَم بها المخاطب أو لم يُسلم، وهذه الحجة تصلحُ في التعليمات والمخاطبات وتصلح للإقناع بوجه نظر صاحب الحجة أو للإقناع بعذر ما ذهب إليه من مذهبه الفقهي أو حكم قضائي أو

فيما انتهىٰ إليه من نظرية علمية، أو فيما قرره من رأي سياسي أو إداري أو اجتماعي، ومعظم الحياة وقضايا الإنسان تعتمد علىٰ الحجج الخطابية.

ومن الحجج الخطابية في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم﴾ [الروم:٢٨].

٤- **الحجة الشعرية**: هي الحجة التي لا يشترط فيها أن تفيد ظنًّا راجحًا مقبولًا، بل قد تعتمد علىٰ مقدمات وهمية وصورية لا تخفىٰ علىٰ المخاطب إلا أنها تشتمل علىٰ ما يتلاعب بمشاعر المخاطب النفسية فيتأثر بها ويستجيبُ لمضمونها وقد يكون عالمًا فكريًّا بعدم صحتها.

٤- الحجة الباطلة القائمة علىٰ الغلط والمغالطة، إذا كان مقدمات الحجة قائمة علىٰ خطأ غير مقصود فهي غلط، وإذا كانت مقدمات الحجة قائمة علىٰ خطأ مقصود مغلف بما يوهم أنه حق من أجل التمويه والتظليل فهي مغالطة. اهـ

بتلخيص من كتاب: «ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» للميداني (٢٩٧ - ٤٠٣).

❊ ❊ ❊

القواعد العامة للحوار (١)

القاعدة الأولى: اعتماد العقل والمنطق:

ويعني ذلك: أن يلتزم أطراف الحوار بالطرق المنطقية السليمة أثناء المحاورة.

ويمكن أن نحدد معالم هذا الالتزام بما يلي:

١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة لكل فرضية، أو دعوى يقدمها المحاور.

٢- صحة النقل للنصوص المنقولة، أو المروية.

وقد وردت الإشارة إلى مضمون هذه القاعدة في كثير من الآيات القرآنية التي تطالب الطرف الآخر بتقديم البراهين والحجج المنطقية منها قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل:٦٤].

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

---

(١) «الحوار الذات والآخر» (ص٥٧-٦٩).

القاعدة الثانية: عدم التناقض:

وتفيد أنه لا يكون في الدعوىٰ أو الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض واضح، أو يكون بعض كلامه ينقض بعض كلامه الآخر، وإذا ظهر في كلامه ما يوجب التعارض بينه.

القاعدة الثالثة: إنصاف المحاور:

وصورة هذه القاعدة: أن الخصم إذا لم يكن لديه قبول للأدلة التي تحاوره بها، فحاول إقناعه بالأدلة العقلية في المسائل المتنازع فيها، ولو نظرنا في القرآن لرأينا ذلك جليًّا ظاهرًا.

قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/ ٤٥٧): إن الحجج السمعية مطابقة للمعقول والسمع الصحيح، لا ينفك عن العقل الصريح، بل هما أخوان نصيران، وصل الله بينهما وقرن أحدهما بصاحبه؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

فجمع سبحانه بين السمع والعقل، وأقام بهما حجته علىٰ عباده، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلا، فالكتاب المنزل، والعقل المدرك؛ حجة الله علىٰ خلقه. . اهـ

ثم ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنتين وعشرين دليلًا من القرآن علىٰ هذه الطرق للمحاجة سوءً في بيان التوحيد مثل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦].

أو باب النبوة والقرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣].

وقال: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٦].

أو في باب البعث والنشور؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٨-٧٩]. إلىٰ غير ذلك مما ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القاعدة الرابعة: تحديد الغاية وتوضيحها:

ومن أمثلة ذلك: ما جرىٰ في محاورة إبراهيم عليه السلام مع المشركين من عبدة الكوكب، وتدرجه العقلي والنفسي معهم حتىٰ وصل إلىٰ تقمصه عبادة الشمس معهم: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ [الأنعام:٧٨]؛ ليصل بهم إلىٰ النتيجة، بعد انتزاع اعترافهم بأن الإله لا يغيب ولا ينبغي أن يغيب.

ومن هنا برزت النتيجة: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٨-٧٩].

وهكذا ركز إبراهيم علىٰ النتيجة، من خلال هذه الكلمات الموجزة التي

راعىٰ فيها المحافظة علىٰ صلته بالخصوم، وإعلان الحكم علىٰ عبادتهم للكواكب بأنها شرك، وتقديم البديل الصحيح الذي يجب أن يتجهوا إليه وهو الإيمان بالله ﷻ .

القاعدة الخامسة: خلق الأجواء الهادئة للتفكير السليم، وزد علىٰ ذلك استحضار العلم والدليل:

يدل علىٰ ذلك: حديث ابن مسعود ﷺ لما سأله اليهود عن الروح.

القاعدة السادسة: إعداد خطة علمية للحوار:

١- تحديد الموضوع.

٢- تحديد المفاهيم.

٣- تحديد الهدف، وهو الغاية التي يريد الطرفان الوصول إليها.

هذه قواعد عامة في أي حوار، لكن ينبغي التنبيه علىٰ أن الحوار مع اليهود والنصارىٰ وغيرهم من الكفار ومخالفي المعتقد الصحيح يجب ألا يصل إلىٰ حد المداهنة لهم بل نزيد:

القاعدة السابعة: وهي الثبات علىٰ منهج الكتاب والسنة، وعدم التنازلات الدينية مهما بلغت الإغراءات

يدل علىٰ هذه القاعدة: حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري (٢٩٩٦)، ومسلم (١٧٦٥)، أن رسول الله ﷺ أتىٰ اليهود فقال: «**يا معشر يهود أسلموا تسلموا**»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ذلك أريد**

أسلموا تسلموا»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ذلك أريد**»، فقال لهم الثالثة: فقال: «**اعلموا أنما الأرض لله ورسوله؛ وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**».

القاعدة الثامنة: قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة:

القاعدة التاسعة: إعلام التسليم في الأمور التي هي من المسلمات:

القاعدة العاشرة: عدم الطعن في أدلة المناظر أن الأحوال المنطقية أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين:

ويدل عليه: حديث ابن عباس في تحاور النبي ﷺ مع مسيلمة، وفيه: «**لوسألتني هذه ما أعطيتكها، ولئن توليت ليعقرنك الله**». متفق عليه

شروط المناظرة:

يشترط في المناظرة أربعة شروط:

الشرط الأول: أن يكون المتناظران على معرفة بما يحتاج إليه من قوانين المناظرة وقواعدها حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه.

الشرط الثاني: أن يكون المتناظران على معرفة بالموضوع الذي يتناظران فيه.

الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المناظرة ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه.

الشرط الرابع: أن يجري المتناظران مناظرتهما علىٰ عرف واحد. اهـ من ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (٣٧٤-٣٧٥).

آداب المناظر:

١- ينبغي للمناظر أن يقدم علىٰ جدله تقوىٰ الله ﷻ؛ ليزكو نظره، ويحمدِ الله ﷻ [١]، ويصلي علىٰ رسول الله ﷺ كثيرًا؛ لتكثر بركته، وتعظم فوائده، ثم يسأل المعونة والتوفيق لنفسه علىٰ طلب الحق.

٢- ويتوقر في مجلسه، ولا ينزعج ولا يكون في حاله قلقًا نفس اضطراب أو في حالة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي.

٣- لا يكثر الصياح؛ فيشق علىٰ نفسه، ولا يخفي صوته؛ فينسب إلىٰ الضعف.

٤- ولا يشغف بكلامه، ولا يعجب بجدله.

٥- يقبل علىٰ خصمه؛ فإنه أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلىٰ كلامه ولا يكون متسرعًا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية.

٦- لا يداخله في نوبته، ويصبر له حتىٰ يفرغ من كلامه.

---

(١) ويدل علىٰ ما ذكره: حديث ابن عباس عند الإمام مسلم (٨٦٨): أن ضماد الأزدي جاء إلىٰ الرسول ﷺ، فقال: يا محمد، إني أرقي من هذه الريح فهلك؟ فقال النبي ﷺ: «**إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...**».

٧- لا يتكلم علىٰ ما لم يقع له العلم به من جهته، ولا يتكلم إلا علىٰ المقصود من كلامه.

٨- لا يستدل بدليل إلا وقد وقف عليه وخبره وامتحنه قبل ذلك، وعرف صحته وسلامته؛ لأنه قد يستدل بما لم يمعن في تأمله، فيظفر به خصمه.

٩- لا يناظر في حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب، ولا في حال تغير فيها طبعه.

١٠- لا يتكلم في مجلس تناله فيه هيبة لئلَّا يؤثر ذلك عليه فيضعفه عن القيام بحجته كما ينبغي، ولا يظن المناظر خصمه حقيرًا ضعيفًا فهذا يقلل اهتمامه فيمكن خصمه منه.

١١- لا يناظر بحضرة من يزدري بكلامه.

١٢- لا يناظر من لا ينصفه من نفسه، ولا من عادته التسفه في الكلام[1].

١٣- أن يكون المراد إظهار الحق.

١٤- أن يتجنب الاختصار المخل والتطويل الممل.

١٥- أن يتجنب المناظر الألفاظ الغريبة.

ما لا يجوز للمناظر أن يرتكبه:

- **المهارة**: وهي جعل نتيجة الدليل نفس مقدمة من مقدمته.
- الغضب.
- المجادلة لا لإظهار الحق.

---

(١) «المنهاج في ترتيب الحجاج» (٩-١٠).

- **المكارة وهي:** المنازعة لا لإظهار الصواب ومنها منع البديهيات وعدم التسليم لها.

- **المعاندة هي:** المنازعة بحيث لا يفهم أحدهما كلام الآخر مع علمه بما في كلامه من الفساد.

- **الجواب الجدلي هو:** ما يذكره المجيب وهو يعتقد بطلانه. اهـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة (٤٥٢ - ٤٥٤).

الأدلة التي يستخدمها المناظر:

١- القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين.

٢- السنة وهي أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله.

٣- الإجماع.

٤- الأدلة العقلية، عن طريق الإلزام وغيره[(١)].

ويشترط في هذه الأدلة ألا تخالف المنقول والمسموع، وقد تقدم كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه الدلالة.

وإذا نظرنا إلىٰ خطاب إبراهيم مع أبيه لرأينا ذلك جليًّا، حيث قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢].

وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ

(١) «المنهاج في ترتيب اللحجاج» للباجي (ص١٥)، و«ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة» (٣٧٢ -٣٧٣).

لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

آداب المجادلة:

١- التهيؤ للمناظرة:

يدل على ذلك حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «**إنك تأتي قوم من أهل الكتاب**». متفق عليه .

قال القرطبي في المفهم: وإنما نبهه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم، ويعد الأدلة لإفحامهم؛ لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين، عبدة الأوثان اهـ

٢- بيان الأساس الذي يجادل عليه:

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وقد تقدم الكلام عليه.

٣- التدرج في الجدال بالأهم فالأهم:

لحديث ابن عباس عند الشيخين: «**إنك تأتي قوم أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه، أن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئًا**»، وفي رواية: «**إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله**»، وفي رواية: «**إلى عبادة الله؛ فإن أطاعوك**

لذالك؛ فأخبرهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإنهم أطاعوك لذالك؛ فأخبرهم أن الله أفترض عليهم زكاة تخرج من أغنيائهم، وتجعل في فقرائهم».

قال الحافظ في الفتح تحت حديث (١٤٩٦): وقعت البداءة بهما؛ لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما، فمن كان منهم غير موحد، فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين علىٰ التعيين، ومن كان موحدًا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه؛ كمن يقول: ببنوة عزير، أو يعتقد التشبيه؛ فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم اهـ

٤- التيسير وترك التعسير:

فعن أبي موسىٰ ﷺ أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذ إلىٰ اليمن، قال: «**بشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»، متفق عليه، وفي رواية: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**».

قال النووي (١٢/ ٤٠): بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا؛ إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده لأنه قد يفعلهما في وقتين، فلو اقتصر علىٰ يسروا لصدق ذلك علىٰ من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسروا؛ انتفىٰ التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب.

ثم قال: وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل

عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلىٰ التبشير، وفيه: تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليهم...

ثم قال: وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي؛ كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلًا قليلًا، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف علىٰ التدريج، فمتىٰ يسر علىٰ الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتىٰ عسرت عليه أو شك ألا يدخل فيها، وإن دخل أو شك ألا يدوم، أو لا يستحليها. اهـ

قال الحافظ في الفتح تحت حديث (٤٣٤٢): ويظهر لي أن النكتة في الإتيان بلفظ البشارة، وهو الأصل، وبلفظ التنفير، وهو اللازم، وأتىٰ بالذي بعده علىٰ العكس؛ للإشارة إلىٰ أن الإنذار لا ينفىٰ مطلقًا، بخلاف التنفير، فاكتفىٰ بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير؛ فكأنه قيل أن أنذرتم فليكن بغير تنفير؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾. اهـ

وقد بعث الله ﷻ النبيين مبشرين ومنذرين؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

والبشارة تكون بالإخبار بما أعد الله للمطيعين من الجزاء الدنيوي والأخروي، والنذارة تكون بالتخويف من عذاب الله ﷻ مقته وغضبه معرضين.

وفي صفة النبي ﷺ التي في التوراة كما عند البخاري، وقد تقدم: «يا أيّهَا النَّبِيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ومبَشِّرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين».

ومما يدل علىٰ التبشير والترغيب: ما جاء في الصحيحين في رسالة النبي ﷺ إلىٰ هرقل، وفيها: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن أبيت؛ فإن عليك**

أثم الأريسيين».

وفي حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: ومنهم رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به...**» الحديث، رواه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (٢٤١).

٥- إنزال الناس منازلهم، وإلانة القول لهم:

جاء في حديث أبي سفيان عند البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) في رسالة النبي ﷺ إلىٰ هرقل، وفيه: «**من محمد بن عبد الله ورسوله، إلىٰ هرقل عظيم الروم؛ سلام علىٰ من أتبع الهدىٰ**».

قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٣): قوله: «عظيم الروم»: فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة؛ لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التآلف. اهـ

وقال النووي رحمه الله **في شرح مسلم** (١٢/ ١٠٧): فيه فوائد: ومنها التوقي في المكاتبة واستعمال الورع فيها، فلا يفرط ولا يفرط؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إلىٰ هرقل عظيم الروم»، فلم يقل ملك الروم؛ لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة.

ولم يقل إلىٰ هرقل فقط، بل أتىٰ بنوع من الملاطفة؛ فقال: «عظيم الروم»، أي: الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالىٰ بإلانة القول لمن يُدعىٰ إلىٰ الإسلام؛ فقال تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال

تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان (٤/ ٥١٦-٥١٧): قوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]؛ أمر الله جل وعلا نبيه موسىٰ، وهارون عليهما، وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه؛ ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، أي: كلامًا لطيفًا سهلًا رقيقًا، ليس فيه ما يغضب وينفر.

وقد بين -جل وعلا- المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، وهذا والله غاية لين الكلام ولطافته ورقته كما ترىٰ.

وما أمر به موسىٰ وهارون في هذه الآية الكريمة؛ أشار له تعالىٰ في غير هذا الموضع، كقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥].

مسألة: يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الدعوة إلىٰ الله يجب أن تكون بالرِّفق واللِّين لا بالقسوة والشدة والعنف؛ كما بيناه في سورة المائدة في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ﴾. اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٩٤): هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسىٰ صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: يا من يتحبب إلىٰ من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن مُنَبه: قولا له إني إلىٰ العفو والمغفرة أقربُ مني إلىٰ الغضب والعقوبة.

وعن عكرمة في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ قال: لا إله إلا الله.

وقال عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ أعذرا إليه، قولا له: إن لك ربًّا ولك معادًا، وإن بين يديك جنة ونارًا.

والحاصل من أقوالهم: أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ الآية [النحل:١٢٥].

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ أي: يُوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالىٰ: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾، فالتذكر: الرجوع عن المحذور، والخشية: تحصيل الطاعة.

٦- مخاطبتهم بما يعرفون:

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فتح القدير (٣/ ١٢٨-١٢٩)**: ثم لما من علىٰ المكلفين بإنزال الكتب وإرسال الرسول؛ ذكر من كمال تلك النعمة: أن ذلك المرسل بلسان قومه فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤]؛ أي: متلبسًا بلسانهم متكلمًا بلغتهم.

لأنه إذا كان كذلك فهم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم، وسهل عليهم ذلك؛ بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم، فإنهم لا يدرون ما يقول، ولا يفهمون ما يخاطبهم به حتىٰ يتعلموا ذلك اللسان دهرًا طويلًا، ومع ذلك فلابد أن يصعب عليه فهم ذلك بعض صعوبة.

ولهذا علل سبحانه ما امتن به علىٰ العباد بقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ أي:

ليوضح لهم ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم، ووحد اللسان لأن المراد بها اللغة.

وقد قيل في هذه الآية إشكال لأن النبي ﷺ أرسل إلىٰ الناس جميعًا بل إلىٰ الجن والإنس، ولغاتهم متباينة، وألسنتهم مختلفة!

وأجيب بأنه وإن كان ﷺ مرسلًا إلىٰ الثقلين كما مرَّ؛ لكن لما كان قومه العرب وكانوا أخص به وأقرب إليه كان إرساله بلسانهم أولىٰ من إرساله بلسان غيرهم، وهم يبينونه لمن كان علىٰ غير لسانهم، ويوضحونه حتىٰ يصير فاهمًا له كفهمهم إياه.

ولو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل إليهم، وبينه رسول الله لكل قوم بلسانهم لكان ذلك مظنة للاختلاف، وفتحًا لباب التنازع؛ لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وربما كان ذلك أيضًا مفضيًا إلىٰ التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون. اهـ

٧- رفع الشبهة المطروحة ودفعها:

جاء عند مسلم، من حديث المغيرة ﷺ: أن نصارىٰ نجران سألوه عن قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، وموسىٰ قبل عيسىٰ بكذا وكذا؟ قال المغيرة: فلما قدمت سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**». اهـ

وأيضًا: لما زعموا أن عيسىٰ ربًا؛ لأنه خلق من غير أب دفع الله هذا الشبهة بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (٢/ ٤٩): يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في قدرة الله تعالىٰ حيث خلقه من غير أبٍ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، فإن الله تعالىٰ خلقه من غير أبٍ ولا أمٍ، بل ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، والذي خلق آدم قادر علىٰ خلق عيسىٰ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسىٰ بكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولىٰ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسىٰ أشد بطلانًا وأظهر فسادًا.

ولكن الرب ﷻ أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خَلَق آدم لا من ذكر ولا من أنثىٰ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثىٰ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثىٰ، ولهذا قال تعالىٰ في سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم:٢١].

وقال هاهنا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٦٠]؛ أي: هذا القول هو الحق في عيسىٰ، الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

ثم قال تعالىٰ آمرا رسوله ﷺ أن يُباهِلَ مَن عَانَدَ الحق في أمر عيسىٰ بعد ظهور البيانِ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي: نحضرهم في حال المباهلة، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾اهـ

وسيأتي عدة وقائع يضع المبطلون الشبهة، ورسول الله ﷺ يعريها، ويبين الحق فيها فمن اهتدىٰ فلنفسه، ومن ضل فعليها.

٨- ملازمة الرفق واللين مع عدم المداهنة، وإنما من باب المداراة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وفي حديث عائشة عند الشيخين، وجاء عن جابر عند مسلم، واللفظ لعائشة، قالت: دخل رهطٌ من اليهود علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلًا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**».

وفي رواية: «**إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**»، قالت: فقلت يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤/ ١٤٤): هذا من عظيم خلقه ﷺ، وكمال حلمه، وفيه: حث علىٰ الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلىٰ المخاشنة. اهـ

والرفق: هو لين الجانب في القول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف. أفاده الحافظ.

وجاء عند مسلم، عَن ثَوبَانَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنتُ قَائِمًا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حِبرٌ مِن أَحبَارِ اليَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعتُهُ دَفعَةً كَادَ يُصرَعُ مِنهَا؛ فَقَالَ لِمَ تَدفَعُنِي؟ فَقُلتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدعُوهُ بِاسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهلِي**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: جِئتُ أَسأَلُكَ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَيَنفَعُكَ شَيءٌ إِن حَدَّثتُكَ**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

فَنكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ : «**سَل**».

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَينَ يَكُونُ النَّاسُ يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**هُم فِي الظُّلمَةِ دُونَ الجِسرِ**».

قَالَ: فَمَن أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟

قَالَ : «**فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: فَمَا تُحفَتُهُم حِينَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ؟

قَالَ : «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**».

قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُم عَلَىٰ إِثرِهَا؟

قَالَ : «**يُنحَرُ لَهُم ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأكُلُ مِن أَطرَافِهَا**».

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُم عَلَيهِ؟

قَالَ : «**مِن عَينٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلسَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: وَجِئتُ أَسأَلُكَ عَن شَيءٍ لَا يَعلَمُهُ أَحَدٌ مِن أَهلِ الأَرضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَو رَجُلٌ أَو رَجُلَانِ.

قَالَ : «**يَنفَعُكَ إِن حَدَّثتُكَ**».

قَالَ: أَسمَعُ بِأُذُنَيَّ.

قَالَ: جِئتُ أَسأَلُكَ عَنِ الوَلَدِ.

قَالَ : «**مَاءُ الرَّجُلِ أَبيَضُ وَمَاءُ المَرأَةِ أَصفَرُ فَإِذَا اجتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرأَةِ أَذكَرَا بِإِذنِ اللهِ وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ المَرأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذنِ اللهِ**».

قَالَ اليَهُودِيُّ: لَقَد صَدَقتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَد سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنهُ وَمَا لِي عِلمٌ بِشَيءٍ مِنهُ حَتَّىٰ أَتَانِيَ اللهُ**».

وقلنا بما تقدم ذكره؛ لأن الداعي إلىٰ الله ﷻ يفعل ذلك من باب الرغبة في قبول دين الله الحق، وإنقاذ المدعو من ظلمات الإعراض إلىٰ نور الانقياد، ولو تأملنا قصة النبي ﷺ مع ثمامة بن أثال لرئينا انتفاع ثمامة بدعوة النبي ﷺ.

ففي البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، من حديث أبي هريرة ؓ قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**»، فقال: عندي يا محمد خير؛ إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتىٰ كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، قال ما قلت لك: إن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتىٰ كان من الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم علىٰ شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق إلىٰ نخلٍ قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان علىٰ الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دينٍ أبغض إليَّ من دينك

فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح يبدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترىٰ؟

فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتىٰ يأذن فيها رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٨): وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمن علىٰ الآسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لِما اسداه النبي ﷺ إليه من العفو، والمن بغير مقابل.

وفيه: الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير.

وفيه: الملاطفة بمن يرجىٰ إسلامه من الأسارىٰ إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه علىٰ إسلامه العدد الكثير. اهـ

هذا في حق من يُرجي تَفهمه وإقباله علىٰ الخير، أما من علم منه الإعراض والكبر والعناد فيكون الحال معه كما في حديث ابن عباس عند البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣)، وفيه: قدم مسيلمة الكذاب علىٰ عهد النبي ﷺ المدينة، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، فقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة جريدة، حتىٰ وقف علىٰ مسيلمة في أصحابه، قال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن**

أتعدىٰ أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت، وهذا ثابت يجيبك عني»، ثم انصرف عنه. اهـ

٩- الإلزام إن لم يقر بالعلم الذي جاءه.

١٠- ترك المناظرة والمجادلة إذا علم منهم عدم إرادة الحق.

١١- الصبر علىٰ غلظة الخصم.

الأسس التي يجادل عليها أهل الكتاب:

الذي ينبغي علىٰ من أراد حوار أهل الكتاب، أو مجادلتهم بتعبير القرآن: يكون بالسير علىٰ الأصل الجامع، والأساس الذي جعله الله محورًا يجادل عليه؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٢/ ٥٦): هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ ومن جرىٰ مجراهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾، والكلمة تطلق علىٰ الجملة المفيدة؛ كما قال هاهنا.

ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، لا وَثَنا، ولا صنمًا، ولا صليبًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نُفرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له.

وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

﴿إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن جُرَيج: يعني: يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله.

وقال عكرمة: يعني: يسجد بعضنا لبعض.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة؛ فأشهدوهم أنتم علىٰ استمراركم علىٰ الإسلام الذي شرعه الله لكم. اهـ

تلخص لنا من كلام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما هي الكلمة السواء، وهي: إفراد الله ﷻ بما يجب له؛ كما قال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ كما في تفسير الطبري (٣/ ٢١٤).

ففي هذا العدل كل العدل، والنصفة كل النصفة: أن نُفرد لله ﷻ نحن واليهود والنصارىٰ بالعبادة، فإذا أقروا لله ﷻ بالوحدانية، يُبين لهم ما بعدها.

ومما يدل علىٰ الدعوة إلىٰ هذه الكلمة ابتداءً: ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلىٰ اليمن، قال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**إلىٰ أن يوحدوا الله**»؛ لأن الأعمال تبع لكلمة لا إله إلا الله، ومن مقتضياتها ولوازمها، ولما دعا رسول الله ﷺ هرقل إلىٰ الإسلام دعاه إلىٰ هذه الكلمة السوء؛

كما سترىٰ في بابه إن شاء الله تعالىٰ.

وفي هذه الآية: رد علىٰ محاوري زمننا هذا الذين يعقدون المؤتمرات والاجتماعات، ويحضرها الجم الغفير ووسائل الإعلام، وتنفق فيها الملايين، ثم مع ذلك لا تسمع من يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

ولا تسمع من يقول لهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١].

المسائل الداخلة تحت الكلمة السواء التي تعرض لها القرآن والسنة في محاورة أهل الكتاب:

أعظم المسائل التي ناقشها القرآن والسنة، وتعرض لها مع أهل الكتابين، هي: مسألة التوحيد، ومسألة الرسالة، ومسألة الكتب المنزلة، ومسألة هيمنة الأحبار والرهبان، وكل هذه المسائل داخلة في الكلمة السواء، حيث والثلاثة المسائل الأولىٰ داخلة في أركان الإيمان كما في حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم رقم (٨)، وفيه: «ما الإيمان؟»، قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وأما المسألة الرابعة: فهي داخلة من حيث أن الله ﷻ المحلل والمحرم، والآمر والناهي، وقد سمىٰ الله ﷻ أحبار أهل الكتاب أربابًا، وما ذلك إلا لإشراكهم في الطاعة، وإليك مسرد بعض الآيات والأحاديث في هذا الباب.

أولًا: التوحيد:

تقدم بيان أن دين الأنبياء واحد، وأن الله ﷻ لا يقبل دينًا سواه؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وعلىٰ التفصيل: نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل:٤٥].

وغير ذلك من الآيات البينات التي ركزت علىٰ هذا الباب؛ لأنه أصل الأصول؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وفي حديث معاذ مرفوعًا: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

وأهل الكتاب كما سيأتي في الأصول التي ناقضها أهل الكتاب قد نقضوا أصل التوحيد وبابه الأعظم؛ تارة بجهلهم بما يجب لله ﷻ، حيث أشرك اليهود في زمن موسىٰ عليه السلام معه العجل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨-١٥٢].

وقال تعالىٰ مخبرًا عما وقع منهم واتباعهم للسامري: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٨٨-٩١].

بل قبل ذلك: كانوا يواجهون موسىٰ في طلب إله مع الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ

أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤١].

وما اتخذوا هذا العجل إلهًا من دون الله ﷻ وفي زمن نبيهم إلا بسبب جهلهم بالله ﷻ، ومكابرتهم ومعاندتهم لأنبياء الله ﷻ.

ثم اتخذت طائفة منهم عزيرًا إلهً مع الله، مع زعمهم أنه ابن الله -تعالىٰ الله ﷻ عن قولهم علوًّا كبيرًا-؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠].

قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٥٠٤): وظاهر قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ أن هذه المقالة لجميعهم، وقيل: هو لفظ خرج علىٰ العموم، ومعناه: الخصوص؛ لأنه لم يقل ذلك إلا البعض منهم.

وقال النقاش: لم يبق يهودي يقولها، بل قد انقرضوا.

وقيل: إنه قال ذلك للنبي ﷺ جماعة منهم؛ فنزلت الآية متضمنة لحكاية ذلك عن اليهود؛ لأن قول بعضهم لازم لجميعهم. اهـ

وعلىٰ أي حال فقد أخبر الله ﷻ عن إشراك هذه الطائفة بالله ﷻ؛ ولذلك دعاهم النبي ﷺ إلىٰ تحقيق التوحيد كما في قوله: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران:٧٠].

وقد أنزل الله ﷻ في شأنهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

وقد بينا أيضًا طعنهم في الله ﷻ -تعالىٰ الله ﷻ عن قولهم علوًّا كبيرًا-، فقالوا: فقير، وقالوا: بخيل إلىٰ غير ذلك؛ فركز القرآن والسنة علىٰ دعوتهم ومناظرتهم، وفي هذا الأصل العظيم كما تقدم الكلام علىٰ الكلمة السواء.

والنصارىٰ كذلك وقع منهم: الإشراك؛ فقالت طائفة منهم بأن المسيح ابن الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وفي الحديث: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فزعم: أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه أياي؛ فقوله: لي ولد؛ فسبحاني أن أتخذ صاحبة، أو ولدًا**»، أخرجه البخاري (٤٤٨٢).

وفي حديث أبي موسىٰ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحدٌ أصبر علىٰ**

أذىٰ سمعه من الله؛ إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم»، أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

وقد بين تعالىٰ ضلال النصارىٰ كما تقدم بيانه في هذا الباب، فرد علىٰ فريتهم بأن عيسىٰ ابن الله؛ فقال تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٥].

فانظر إلىٰ هذا الحجة الدامغة، حيث خصمهم بأن الإله لا يأكل ولا يشرب؛ لغناه وقيوميته، أما هذا فهو مربوب مخلوق فقير إلىٰ الله ﷻ.

وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

فإذ لم يكن آدم إله، وإنما هو مخلوق مربوب مع أن الله خلقه من غير أمٍ ولا أبٍ؛ فمن باب أولي عيسىٰ الذي خلقه الله ﷻ من أمٍ ولا أبٍ له، وقد تقدم بيان قولهم أنه ثالث ثلاثة، وأنه هو الله، وأنه ابن الله؛ فلا دعي للإعادة إلىٰ غير ذلك مما ساقه القرآن والسنة مبينًا ضلال هذه الطوائف في هذا الباب العظيم الذي من ضيعه لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

ثانيًا: الرسل:

أيضًا: من الأمور التي ركز القرآن والسنة على مناقشتها مع القوم: باب الرسل سواءً كان من الملائكة، كما قد بينا شدة عداوتهم لجبريل عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧- ٩٨].

وأما رسل الله ﷻ من البشر؛ فقد كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم؛ ولذلك بين الله ﷻ موقفهم تثبيتًا للنبي ﷺ، ودعوة لهم للتوبة، ومراجعة أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١].

ومما رد القرآن على الأمة الغضبية والضالة: ادعائهم أن إبراهيم عليه السلام كان منهم؛ فقال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠].

وقال ﷻ محاجًا لهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:٦٥].

وزعموا أن سليمان عليه السلام ساحرًا؛ فرد الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ

وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وآذوا موسىٰ عليه السلام؛ فبين الله ﷻ ذلك، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩): قال: قال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة؛ ينظر بعضهم إلىٰ بعض، وكان موسىٰ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسىٰ أن يغتسل معنا؛ إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه علىٰ حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسىٰ في إثره يقول: ثوبي يا حجر، حتىٰ نظرت بنو إسرائيل إلىٰ موسىٰ، فقالوا: والله ما بموسىٰ من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربًا**»، فقال أبو هريرة ﷺ: والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربًا بالحجر.

وفي رواية: فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

وفي جانب عيسىٰ عليه السلام ركز القرآن علىٰ إبطال بهت اليهود وزعمهم أنه من البغاء كما تقدم سرد الآيات في ذلك، وعلىٰ إبطال دعوىٰ النصارىٰ بأنه ابن الله -تعالىٰ الله ﷻ عن قولهم علوًّا كبيرًا، فلا دعي للتكرار.

وأيضًا: بين القرآن عموم رسالة محمد ﷺ، وأنه بشارة عيسىٰ وموسىٰ، ودعوة إبراهيم كما تقدم ذكر ذلك في بيان عموم رسالة النبي ﷺ؛ فعلىٰ حوارات القرآن لأهل الكتاب في هذا الباب يكون حوارنا وجدالنا، والله المستعان وعليه التكلان.

ثالثًا: الكتب السماوية:

وامتد الحوار والجدل مع أهل الكتاب في شأن الكتب السماوية؛ لأنها الحجة عند أهل كل ملة؛ فبين الله ﷻ حقيقة التوراة، وأنها قد حرفت وبدلت، وكذا الأنجيل كما بينا ذلك.

ومع ذلك أخبر الله ﷻ عن هذه الكتب قبل تحريفها؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٨].

فبين الله ﷻ في هذه الآيات حقيقة الكتب السماوية التوراة، والإنجيل، والقرآن، وأخبر أن القرآن هو المهيمن عليها والناسخ لها، وأنه مصدق لما فيها من الحق.

وركز القرآن علىٰ هذا الجانب في الحوار مبينًا تحريف كتب القوم، وحفظ هذا الكتاب.

رابعًا: تسلط الأحبار والرهبان وبيان حالهم:

ومما طرحه القرآن والسنة في مجادلة أهل الكتاب لهو تسلط الرهبان ودورهم في إضلال أممهم وأتباعهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

قال ابن كثير في تفسيره: عن عدي بن حاتم سمعه يقول: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**يا عدي، أسلم تسلم**».

فقلت: إني من أهل دين.

قال: «**أنا أعلم بدينك منك**».

فقلت: أنت أعلم بديني مني؟

قال: «**نعم، ألست من الرَّكُوسِيَّة، وأنت تأكل مرباع قومك؟**».

قلت: بلىٰ.

قال: «**فإن هذا لا يحل لك في دينك**».

قال: فلم يَعدُ أن قالها فتواضعت لها، قال: «**أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة له، وقد رَمَتهم العرب، أتعرف الحيرة؟**».

قلت: لم أرها، وقد سمعت بها.

قال: «**فوالذي نفسي بيده، ليتمن الله هذا الأمر حتىٰ تخرج الظَّعِينة من الحيرة، حتىٰ تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز**».

قلت: كسرىٰ بن هرمز؟

قال: «**نعم، كسرىٰ بن هرمز، وليُبذَلنَّ المال حتىٰ لا يقبله أحد**».

قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة، فتطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرىٰ بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

قال السدي: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارىٰ.

وهو كما قال، فإن الأحبار هم علماء اليهود، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣].

والرهبان: عباد النصارىٰ، والقسيسون: علماؤهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].



الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان[(١)]

١- عند اليهود:

اليهود من أشح الناس بديانتهم، دعوة وحوارًا وتقاربًا؛ لأنهم يعتقدون بأنهم شعب الله المختار.

٢- عند النصارىٰ:

قال أحمد بن عبد الرحمن القاضي: لعل أقدم تراث نصراني يشير إلىٰ نزعة التقارب والحوار الديني المفضي إلىٰ تصويب جميع صور العبادات والأديان هو ما جرىٰ بقلم الراهب (رامون لول) الذي عاش حقبة الحروب الصليبية في المشرق، والصراع الإسلامي النصراني في الأندلس.

وبعد فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣م) رأىٰ (ينكولاىٰ كوزاني) الهالك: (١٤٦٤م)، و (يوحنا سيغوني) الهالك: (١٤٥٨م) أن الحرب لا تحل الخلاف بين الديانتين.

وكلاهما اعتقد أن المحاولات الرامية إلىٰ تحويل المسلمين إلىٰ المسيحية

(١) «دعوة التقريب بين الأديان» (١/ ٣٥٦).

بلا معنىٰ ولا طائل منها، ولذا طالبا بضرورة الكشف عن الفوارق والاختلافات الواقعية، والبحث الجاد عن الأمور المشتركة بينهما[١].

ثم تقاربت الآراء حول هذا الموضوع، وتعددت علىٰ يد كثير من القساوسة والرهبان حتي انتهىٰ المطاف (بالويس ماسنيون) بتأسيس (الجمعية الفرنسية الإسلامية) (١٩٤٧م)، و(جمعية فرنسا المغرب) (١٩٥٣م).

وفي الجانب العملي: دعا إلىٰ الاعتراف بالمصداقية النسبية للقرآن، والاعتراف المشروط بنبوة محمد ﷺ، وأنه يجب علىٰ الكنيسة أن تعترف بالإسلام ومكانته الاعتبارية المستقلة كديانة توحيدية[٢]، وكان علىٰ صلة بـ(البابا بولس السادس)، وتمهد بفعل أفكاره وصلاتة نتائج (المجمع الفاتيكاني الثاني) (١٩٦٣/ م - ١٩٦٥/ م)، حول العلاقة بين الكنيسة الكاثولوكية والإسلام.

صور الحوارات التي تجري في ضوء التقارب بين الأديان:

١- حوار الحياة:

حيث يعمل الناس علىٰ أن يعيشوا بروح انفتاح وحسن جوار مقتسمين أفراحهم ومشاكلهم ومشاغلهم الإنسانية.

٢- حوار الأعمال:

حيث يتعاون المسيحيون والآخرون في سبيل تنمية كاملة، وتحرر للإنسان

---

(١) «الإسلام والمسيحية» (ص ٩١)، نقلًا عن «دعوة التقريب بين الأديان» (١/ ٣٧٢).

(٢) «الإسلام والمسيحية» (١٢٥- ١٢٨)، نقلًا عن المصدر السابق (١/ ٣٨٠).

غير منقوص.

٣- حوار التبادلات اللاهوتية:

حيث يعمل أخصائيون علىٰ تعمق الفهم للتراث الديني لدىٰ كل منهم، وتقدير القيم الروحية الخاصة بكل منهم تقديرًا متبادلًا.

٤- حوار الخبرة الدينية:

حيث يتقاسم أشخاص متجذرون في تقاليدهم الدينية الخاصة لثرواتهم الروحية من مثل ما يتعلق بالصلاة، والتأمل بالإيمان، وطرق البحث عن الله، والمطلق[1].

ومن هذه الوثيقة التي أصدرها أمانة سر الكنيسية للعلاقة بغير المسيحيين عقب (الجمعية العمومية) التي عُقدت (١٩٨٤/ م) يظهر جليًّا أن النصارىٰ لا يحاورون من أجل رفع ودفع الشبة حول هذا الدين، والرغبة في ترك دينهم إن تبين لهم تعريفه، وتبديله، ونسخه.

وإنما يريدون من المسلمين ترك الأحكام الدينية التي يسيرون عليها، وتقديم التنازلات لهم، وإلا فإنك لو رجعت إلىٰ الفصل الأول لرأيت أن هذا الدين كامل شامل لا يحتاج إلىٰ مثل هذا التراهات؛ ألا فاعتبروا يا أولي الألباب، إن كنتم تعقلون.

---

(١) «حوار بشارة تأملات وتوجيها ت في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالأنجيل» (ص ٣١)، نقلًا عن دعوة التقريب (١/ ٤٣٣).

ثم أين الكلمة السواء التي أمر الله ﷻ بالتحاور عليها؟ فاللهم سلِّم سلِّم.

بينما ذهبت الجمعيات العمومية لمجلس الكنائس العالمي إلىٰ أن الغاية الأولىٰ من الحوار هي: حمل الديانتين علىٰ تأمين الاحترام المتبادل، وتعزيز التفاهم[1].

طرق الحوار مع المخالفين:

تقدم القول بمشروعية الحوار مع المخالفين لدلاتهم علىٰ الحق المبين، وصدهم عن كل باطل مشين وفعل مهين، لكن لتكن الحوارات علىٰ طريقة ما نذكره في هذا الباب في نشر الحق وإبطال الباطل، لا التنازلات وترك مواطن الخلاف وإن كان في المسائل العقدية هي من مسائل الكفر والإيمان كما سترىٰ إن شاء الله تعالىٰ.

١- حوار نوح عليه السلام لقومه يدعوهم إلىٰ الإيمان وتحذيرهم من طرق الإلحاد والكفران:

قال الله تعالىٰ مخبرًا عن حوار نوح مع قومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ

(١) «البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة» (٣٦-٣٧)، نقلًا عن: «دعوة التقريب» (٢/ ٤٦٧).

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٢٥-٣٨].

فانظر إلىٰ هذه المحاورات في الدعوة إلىٰ الله ﷻ، والاهتمام بالعقيدة الصحيحة وكذلك رفع الشبهة ودفعها: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ

لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٤].

وفي هذه المحاورات بيان الرفق العظيم الذي لازمه نوح عليه السلام مع أنه اتهم بالضلال مع ذلك ما سبهم وما شتمهم ولكن دفع ما اتهموه به فما أحوجنا إلىٰ مثل هذه الطريقة في الدعوة كي تنشر وتقبل والله المستعان.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٠٥-١٢٢].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا

تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:١-٢٨].

فهذا نوح عليه السلام يتحاور مع قومه السنوات العديدة والأعوام المديدة، يحذر من الشرك ويدعو إلىٰ التوحيد يبين الحق ويرد الباطل، يلقون الشبهة ويردها بالعلم والهدىٰ والحق يعتدون علىٰ عرضه بالسب والثلب فيرد الاعتداء عليه بنفي ما اتهم به ومع ذلك ما حمله إعراضهم علىٰ المداهنة والتنازل، بل قال عند ذلك مبينًا لجوءه إلىٰ الله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾[الشعراء:١١٧]، وعلىٰ طيلة ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو علىٰ الحق لقناعته بما هو عليه لا يتضعضع ولا يتزلزل.

حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فانظر إلىٰ هذا الحوار الذي تطرق فيه إبراهيم عليه السلام إلىٰ أهم أبواب المعتقد مما أدىٰ إلىٰ بهتان ذلك الظالم، وما زال معه في محاورة حتىٰ خصم الباطل وانتصر الحق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره**: هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو: ملك بابل: نمروذ بن كنعان... ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: في وجود ربه، وذلك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إله غيره... اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٧٤-٨٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول الله تعالىٰ مخبرًا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ

﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء:٦٩-٨٣]

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات:٨٣-٩٨].

حوار بني إسرائيل مع موسىٰ عليه السلام ومع أنبيائهم:

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ

مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٦٧-٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ

لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٤٣-٢٥٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة:٤٩-٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الشعراء:١٠-٦٦].

قال تعالىٰ: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:٤٢-٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه:١٠-٧٥].

حوار عيسى عليه السلام مع قومه:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٩-٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٢-١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف:١٤].

حوار هود عليه السلام مع قومه:

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود:٥٤-٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٦٥-٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٦٨-٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٩].

حوار صالح عليه السلام مع قومه:

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤-٧٩].

حوار شعيب عليه السلام مع قومه:

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٥-٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥-٩٣].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ

وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٨٤-٩٥].

حوار لوط عليه السلام مع قومه:

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٥-٥٩].

حوار صاحب آل يس رحمه الله مع قومه:

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ

مَثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:١٣-٢٧].

حوار الناصحين قارون عليه لعنة الله:

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٧٦-٨٣].

حوار المؤمن مع صاحب الجنة:

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٣٢-٤٠].

حوار الجن المؤمنين مع قومهم:

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟

دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:١-٢٢].

حوار مؤمن آل فرعون:

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا

يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر ٢٦-٤٤].



ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه

في ذكر الأدلة علىٰ وجود الصانع سبحانه اعلم أنها لا تحصىٰ؛ لأن كل موجودٍ عن عدم فهو دليل علىٰ وجود موجدٍ كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وذلك التسبيح إذعان لموجده وعبادةٌ لربه كما قيل:

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تدلُّ علىٰ أنهُ الواحدُ

فأما أدلة الكتاب العزيز: فمنها قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبإ:٦-١٦].

وصرف سبحانه هذه الكلمات في كتابه العزيز وصرف هذه الأدلة منها الدلالة علىٰ وجوده وقدرته وحكمته، وأنه لا مشارك له ولا معاضد ولا مغالب فقال: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ

وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازاعات:٢٧-٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٣-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٥-٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم

بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ﴾ [الإسراء:٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس:٧١-٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة:٥٨-٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:٦٨-٦٩].

وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾. إلىٰ قوله: ﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

فوجه الدلالة من هذه الآيات جليٌّ لمن سبقت له السعادات.

قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام:٤٦].

وقد مدح اللهُ تعالىٰ قومًا أدتهم الفكر إلىٰ معرفة العبر؛ قال ﷻ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]. اهـ

استخراج الجدال من القرآن الكريم:

طريقة القرآن في إثبات وحدانية الله ﷻ :

ذكر الأدلة علىٰ أنه واحدٌ سبحانه، ومن حيث ثبت أنه موجود بصفة الوجوب ثبت أنه واحدٌ؛ لأن الصنعة مفتقرة إلىٰ الصانع وليست مفتقرة إلىٰ ما زاد علىٰ الصانع، فصار وجود ما زاد علىٰ الصنعة جائزًا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلهًا مبدعًا قديمًا.

وأما أدلة الكتاب العزيز فكثيرة، من ذلك قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الإسلام، وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال: نظرت في سبعين كتابًا من كتب التوحيد فوجدت مدارها علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

دليل آخر في سورة المؤمنين: قوله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

وفي الكلام حذفٌ وتقديره ولو كان معه آلهةٌ وإنما حذف للإيجاز، والإيجاز مستحسنٌ في كل مكان، وهاهنا أكمل حسنًا لئلَّا يتكرر ذكر الإله؛ لأنه إبطالٌ علىٰ تقدير، وإنما ذهب كل إلهٍ بما خلق لأجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة، وذلك منشأ المخالفة والمنافسة والتغالب والمغلوب لا يكون إلهًا.

دليل آخر: قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾. ومعناه أن الآلهة تطلب المنازعة والمخالفة في المراد فحينئذٍ يقع الفساد إذ يريد أحدهما حياة شخص ولآخر موته، أو إسعاده والآخر إشقاءَه.

فإن قيل: الشبهة علىٰ هذه الأدلة من وجهين:

أحدهما: يجوز أن يكون اثنان تتفق إرادتهما فلا يقع خلاف فلا يقع فساد.

الشبهة الثانية: قالوا لما رأينا وجود الشيء وضده من الموت والحياة، والنور والظلمة، والخير والشر، وما يقتضي الحكمة وينافيها من النقض بعد البناء والعجز بعد القوة، جاز أن ينسب إلىٰ مدبرين اثنين.

والجواب عن الشبهة الأولىٰ: استحالة الإرادة وجود اثنين لا تنفك إرادة

أحدهما عن إرادة الآخر متكافئين في العلم والقدرة والإرادة والحكمة والتدبير علىٰ وجهٍ لا تتقدم صفة الآخر في الأعيان والأذهان فإذا هما واحدٌ سموه اثنين.

والجواب عن الشبهة الثانية: أن صدور الشيء وضده أدل علىٰ قدرة الصانع، وقد نبه سبحانه علىٰ ذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾. اهـ

حوارات القرآن في إثبات نبوة محمد ﷺ من الكتاب العزيز:

ذكر أدلة نبوة محمدٍ من الكتاب العزيز، والكتاب العزيز كله دليلٌ علىٰ صدق رسالته بل كل سورةٍ منهُ دليل عليه لمكان العجز عن الإتيان بمثلها.

وقد ورد التحدي بذلك في الكتاب العزيز في خمسة مواضع من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

الموضع الثاني: قوله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

الثالث: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

الموضعُ الرابعُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

الموضع الخامس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

دليلُ آخرُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. فلو لم يَعلمُوا أنهُ رسولُ اللهِ وأنَّ خبَرَه حقَّ وصدقُ لبادروا إلىٰ ما يبطلُ دعواهُ ويكذبُ خبرهُ.

دليلُ آخرُ: خاص باليهود والنصارىٰ والعرب قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾. وقد علموا أنه لا يعرف الكتابة ولا النظر في الكتب ولم يكن من شأنه.

دليلُ آخرُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾. إلىٰ آخرة الآية.

فالدلالة من ذلك من وجهين:

أحدهما: أن هذه الصفات لا تكون إلا في الصادقين إذ كانت أعدل السمات واكمل الصفات.

الثاني: ذكرهم في التوراة والإنجيل كما سبق.

دليلُ آخرُ: مختص باليهود قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾. فلولا أنه يعلم أنهم يعلمون ذلك لما استجاز أن يخبرهم بأمرٍ يدعي معرفتهم به وهم لا يعرفونه.

دليلُ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قال ابنُ عبد البرِّ: كان بين الأوس والخزرج من العداوة ما لم يكن بين أحدٍ من بني آدم فألَّفَ الله قلوبِهِم؛ لأجلِ نصرة نبيهِ محمدٍ ﷺ فصاروا يدًا واحدةً وقلبًا واحدًا.

دليلُ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾. وهذا خبرٌ عن الغيب وكان كما أخبر.

دليلُ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾.

ومعلوم أن هذه سيرة أصحاب في خوفهم أولًا، وأمنهم ثانيًا، واستخلافهم في الأرض. وهذا ظاهر الدلالة.

دليلُ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾.

فنظرنا فيما دعا إليه فكانت مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم صراط العقلاءِ ومختار النبلاءِ، وهي الأخلاق المأمور بها في قوله سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ومثل هذه السير العادلة والمكارم المستحسنة لا تجري علىٰ لسان ممخرق.

دليلٌ آخرُ: علىٰ اليهود قوله تعالىٰ: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

روي أن إسرائيل أخذه وجعُ العِرقِ الذي يقال له النَّسا فنذر لئن شفاه اللهُ تعالىٰ منه ليحرِّمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب ذلك إليه لحوم الإبل

وألبانها، فَشُفِيَ فوفىٰ بنذره.

وادعت اليهود أن ذلك كان حرامًا علىٰ نوحٍ حتىٰ انتهىٰ الأمر إليهم فبين الله تعالىٰ بطلان دعواهم، وأمر أن يحاجهم بالتوراة فلم يجسروا علىٰ إخراجها، وفي ذلك الدلالة الظاهرة علىٰ صدق محمدٍ.

دليلٌ آخر: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾. وهي السنون التي دعا النبيُّ بها علىٰ أهل مكة، والدخان: الجدبُ سُمِّيَ دخانًا؛ لأن الغبار يزيدُ في الجدبِ فيكونُ كالدخان.

فصل: قد توجه القرآن العظيم علىٰ مائة دليلٍ وأربعة عشر دليلًا عدد سورهِ فالتحدي بالطوال منه كالتحدي بالقصار، فعلىٰ هذا السور القصار إذا أخذت عدلها كلماتٍ علىٰ ترتيبها كانت معجزة ويقع بهذا التحدي أو سورةٍ من القصار وعدلها من أي القرآن من أي سورةٍ كان كانت معجزة، فإذن تبلغ أدلة التعجيز منه مبلغًا يزيدُ علىٰ الألف دليلٍ، وهذا من أسرار الكتاب العزيز وعجائب التنزيل.

دليلٌ آخر: قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾. أخبر أن المنكرين نبوتهُ لم يقدروا علىٰ معارضته وكذلك جرىٰ.

دليلٌ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. وهذا خبرٌ لم يسمع إلا من الرسول وكان الأمر كما أخبر.

دليلٌ آخر: أخبر أنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾. فكان الأمر كما أخبر بحمد الله ومنه.

دليلٌ آخرُ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾. وقصة مبايعة أبي بكر ﷺ لأبي خلفٍ مشهورةٌ.

دليلٌ آخرُ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾. فكان كذلك.

دليلٌ آخرُ: المباهلة قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾. الآية. وهذا دليلٌ يدلُّ بسياقِهِ وبخصوصهِ علىٰ نصارىٰ نجران.

دليلٌ آخرُ: يخص اليهود وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّالِمِينَ﴾.

وهذا دليلٌ واضح وحجةٌ قاطعةٌ علىٰ اليهود، فلو لم يعلموا أنهم إن تمنوه ماتوا، وإلا كانوا تمنوه فيحاجوا به رسول الله ويبطلوا نبوته، وكان ذلك أهم الأشياءَ عندهم.

دليلٌ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾. وأصحاب البأس الشديد مسيلمةُ وأصحابهُ يوم اليمامة وقيل فارس والروم، وأيُّما كان فقد أخبر عن الغيب فيه فكان الأمر كذلك.

دليلٌ آخرُ : قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

وفي هذا دليلٌ ظاهرٌ علىٰ صدق الرسول؛ لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فإنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم.

دليلٌ آخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾.

قيل هم من بعد الصحابة وقيل هم الأعاجم وعلىٰ كلا الأمرين فقد وقع الخبر موافقًا للمُخبَرِ به. اهـ من استخراج الجدال من القرآن الكريم.

حوارات النبيﷺ مع الكفار وغيرهم لبيان الحق:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ شمل كل كافر علىٰ وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوا رسول اللهﷺ إلىٰ عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسولهﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له؛ فـ(ما) هاهنا بمعنىٰ (من).

ثم قال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أعبد عبادتكم، أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ

وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٣] فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لابد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه.

فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١].

وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [القصص:٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر، ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ الإسلام. ولم يقل: ديني؛ لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠].

وقال غيره: لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ﴾ [المائدة:٦٤].

انتهىٰ ما ذكره. اهـ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ج ١ / ص ٨٧): عن يحيىٰ بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَن قَالَ فِي القَدَرِ بِالبَصرَةِ مَعبَدٌ الجُهَنِيُّ، فَانطَلَقتُ أَنَا وَحُمَيدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ الحِميَرِيُّ حَاجَّينِ أَو مُعتَمِرَينِ فَقُلنَا: لَو لَقِينَا أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤُلَاءِ فِي القَدَرِ.

فَوُفِّقَ لَنَا عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ دَاخِلًا المَسجِدَ فَاكتَنَفتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي

أَحدُنَا عَن يَمِينِهِ وَالآخرُ عَن شِمَالِهِ فظَنَنتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلتُ: أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقرءُونَ القُرآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ العِلمَ وَذَكَرَ مِن شَأنِهِم وَأَنَّهُم يَزعُمُونَ أَن لَا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرهُم أَنِّي بَرِيءٌ مِنهُم وَأَنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: لَو أَنَّ لِأَحَدِهِم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قَالَ: بَينَمَا نَحنُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ إِذ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخبِرنِي عَنِ الإِسلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسلَامُ أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِن استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقتَ. قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ: صَدَقتَ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِحسَانِ؟ قَالَ: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا المَسئُولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلتُ:

اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينكُم**».

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يومًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟

قَالَ: «**أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤمِنَ بِالبَعثِ الآخِرِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِسلَامُ؟

قَالَ: «**الإِسلَامُ أَن تَعبُدَ اللهَ وَلَا تُشرِكَ بِهِ شَيئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ المَكتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِحسَانُ؟

قَالَ: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِن لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَىٰ السَّاعَةُ؟

قَالَ: «**مَا المَسئُولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِن السَّائِلِ وَلَكِن سَأُحَدِّثُكَ عَن أَشرَاطِهَا إِذَا وَلَدَت الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِن أَشرَاطِهَا وَإِذَا كَانَت العُرَاةُ الحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِن أَشرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ البَهمِ فِي البُنيَانِ فَذَاكَ مِن أَشرَاطِهَا فِي خَمسٍ لَا يَعلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»، ثُمَّ تَلَا ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾

قَالَ: ثُمَّ أَدبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ**»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَم يَرَوا شَيئًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا جِبرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُم**». (خ٥٠)، و(م٩).

وعَن طَلحَةَ بنَ عُبَيدِ اللهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن أَهلِ نَجدٍ ثَائِرُ

الرَّأسِ نَسمَعُ دَوِيَّ صَوتِهِ وَلَا نَفقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّىٰ دَنَا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسأَلُ عَن الإِسلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَومِ وَاللَّيلَةِ فَقَالَ هَل عَلَيَّ غَيرُهُنَّ قَالَ لَا إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ وَصِيَامُ شَهرِ رَمَضَانَ فَقَالَ هَل عَلَيَّ غَيرُهُ فَقَالَ لَا إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ فَقَالَ هَل عَلَيَّ غَيرُهَا قَالَ لَا إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ قَالَ فَأَدبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا وَلَا أَنقُصُ مِنهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفلَحَ إِن صَدَقَ. (خ٤٦)، ومسلم (١١). فهذا الحوار بين النبي ﷺ كان لإظهار الدين وشرائعه ومعالمه وهكذا فلتكن جميع الحوارات

وعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَن نَسأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن شَيءٍ فَكَانَ يُعجِبُنَا أَن يَجِيءَ الرَّجُلُ مِن أَهلِ البَادِيَةِ العَاقِلُ فَيَسأَلَهُ وَنَحنُ نَسمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِن أَهلِ البَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزعُمُ أَنَّ اللهَ أَرسَلَكَ.

قَالَ: «صَدَقَ».

قَالَ: فَمَن خَلَقَ السَّمَاءَ؟

قَالَ: «اللهُ».

قَالَ: فَمَن خَلَقَ الأَرضَ؟

قَالَ: «اللهُ».

قَالَ: فَمَن نَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟

قَالَ: : «اللهُ».

قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ آللهُ أَرسَلَكَ؟

قَالَ: : «نَعَم».

قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَينَا خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي يَومِنَا وَلَيلَتِنَا؟

قَالَ: «صَدَقَ».

قَالَ: فَبِالَّذِي أَرسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: «نَعَم».

قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَينا زَكَاةً فِي أَموَالِنَا؟

قَالَ : «صَدَقَ».

قَالَ: فَبِالَّذِي أَرسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: «نَعَم».

قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَينَا صَومَ شَهرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا؟

قَالَ: «صَدَقَ».

قَالَ: فَبِالَّذِي أَرسَلَكَ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: «نَعَم».

قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَينَا حَجَّ البَيتِ مَن استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا؟

قَالَ : «صَدَقَ».

قَالَ: ثُمَّ وَلَّىٰ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيهِنَّ وَلَا أَنقُصُ مِنهُنَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَئِن صَدَقَ لَيَدخُلَنَّ الجَنَّةَ».

(خ٦٣)، ومسلم (١٢) واللفظ له.

وعَن أَبِي أَيُّوبَ: أَنَّ أَعرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَو بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَو يَا مُحَمَّدُ أَخبِرنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِن الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِن النَّارِ. قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَد وُفِّقَ أَو لَقَد هُدِيَ قَالَ كَيفَ قُلتَ» قَالَ: فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعبُدُ اللهَ لَا تُشرِكُ بِهِ شَيئًا

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَع النَّاقَةَ». (خ٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ أَعرَابِيًّا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلتُهُ دَخَلتُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَعبُدُ اللهَ لَا تُشرِكُ بِهِ شَيئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا شَيئًا أَبَدًا وَلَا أَنقُصُ مِنهُ فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَن سَرَّهُ أَن يَنظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِن أَهلِ الجَنَّةِ فَلْيَنظُر إِلَىٰ هَذَا**». خ (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

وعَن جَابِرٍ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ النُّعمَانُ بنُ قَوقَلٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيتَ إِذَا صَلَّيتُ المَكتُوبَةَ وَحَرَّمتُ الحَرَامَ وَأَحلَلتُ الحَلَالَ أَأَدخُلُ الجَنَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَم**».

وحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بنُ الشَّاعِرِ وَالقَاسِمُ بنُ زَكَرِيَّاءَ قَالَا حَدَّثَنَا عُبَيدُ اللهِ بنُ مُوسَىٰ عَن شَيبَانَ عَن الأَعمَشِ عَن أَبِي صَالِحٍ وَأَبِي سُفيَانَ عَن جَابِرٍ قَالَ قَالَ النُّعمَانُ بنُ قَوقَلٍ يَا رَسُولَ اللهِ بِمِثلِهِ وَزَادَا فِيهِ وَلَم أَزِد عَلَىٰ ذَلِكَ شَيئًا. أخرجه مسلم (١٥).

وعَن أَبِي جَمرَةَ قَالَ كُنتُ أُترجِمُ بَينَ يَدَي ابنِ عَبَّاسٍ وَبَينَ النَّاسِ فَأَتَتهُ امرَأَةٌ تَسأَلُهُ عَن نَبِيذِ الجَرِّ فَقَالَ: إِنَّ وَفدَ عَبدِ القَيسِ أَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَن الوَفدُ أَو مَن القَومُ؟**».

قَالُوا: رَبِيعَةُ.

قَالَ: «**مَرحَبًا بِالقَومِ أَو بِالوَفدِ غَيرَ خَزَايَا وَلَا النَّدَامَىٰ**».

قَالَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَأتِيكَ مِن شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَإِنَّ بَينَنَا وَبَينَكَ هَذَا الحَيَّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ وَإِنَّا لَا نَستَطِيعُ أَن نَأتِيَكَ إِلَّا فِي شَهرِ الحَرَامِ فَمُرنَا بِأَمرٍ فَصلٍ نُخبِر

بِهِ مَن وَرَاءَنَا نَدخُلْ بِهِ الجَنَّةَ.

قَالَ فَأَمَرَهُم بِأَربَعٍ وَنَهَاهُم عَن أَربَعٍ قَالَ أَمَرَهُم بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحدَهُ وَقَالَ : **«هَل تَدرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟»**.

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ : **«شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَومُ رَمَضَانَ وَأَن تُؤَدُّوا خُمُسًا مِن المَغنَمِ»** وَنَهَاهُم عَن الدُّبَّاءِ وَالحَنتَمِ وَالمُزَفَّتِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبدِ القَيسِ : **«إِنَّ فِيكَ خَصلَتَينِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلمُ وَالأَنَاةُ»**. متفق عليه. خ (٥٣)، ومسلم (١٧).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : **«إِنَّكَ تَأتِي قَومًا مِن أَهلِ الكِتَابِ فَادعُهُم إِلَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِم فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِم وَاتَّقِ دَعوَةَ المَظلُومِ فَإِنَّهُ لَيسَ بَينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ»**. (خ٢٤٤٨)، ومسلم (١٩).

وعَن سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ عَن أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَت أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِندَهُ أَبَا جَهلٍ وَعَبدَ اللهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«يَا عَمِّ قُل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أَشهَدُ لَكَ بِهَا عِندَ اللهِ»**، فَقَالَ أَبُو جَهلٍ وَعَبدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرغَبُ عَن مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ! فَلَم يَزَل رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعرِضُهَا عَلَيهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلكَ المَقَالَةَ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُم: هُوَ عَلَىٰ

مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ وَأَبَىٰ أَن يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ**»، فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوا أُولِي قُربَىٰ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أَصحَابُ الجَحِيمِ ﴾.

وَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ ﴾. خ (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

وعَن ابنِ شِمَاسَةَ المَهرِيِّ قَالَ: حَضَرنَا عَمرَو بنَ العَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ المَوتِ فَبَكَىٰ طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجهَهُ إِلَىٰ الجِدَارِ فَجَعَلَ ابنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا! قَالَ: فَأَقبَلَ بِوَجهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي كُنتُ عَلَىٰ أَطبَاقٍ ثَلَاثٍ لَقَد رَأَيتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَن أَكُونَ قَد استَمكَنتُ مِنهُ فَقَتَلتُهُ فَلَو مُتُّ عَلَىٰ تِلكَ الحَالِ لَكُنتُ مِن أَهلِ النَّارِ.

فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسلَامَ فِي قَلبِي أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلتُ ابسُط يَمِينَكَ فَلأُبَايِعكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضتُ يَدِي قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمرُو؟**» قَالَ قُلتُ أَرَدتُ أَن أَشتَرِطَ قَالَ: «**تَشتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلتُ أَن يُغفَرَ لِي قَالَ: «**أَمَا عَلِمتَ أَنَّ الإِسلَامَ يَهدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ وَأَنَّ الهِجرَةَ تَهدِمُ مَا كَانَ قَبلِهَا وَأَنَّ الحَجَّ يَهدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ؟**».

وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَينِي مِنهُ وَمَا كُنتُ أُطِيقُ أَن أَملَأَ عَينَيَّ مِنهُ إِجلَالًا لَهُ، وَلَو سُئِلتُ أَن أَصِفَهُ مَا أَطَقتُ لِأَنِّي لَم أَكُن أَملَأُ عَينَيَّ مِنهُ وَلَو مُتُّ عَلَىٰ تِلكَ الحَالِ لَرَجَوتُ أَن أَكُونَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ.

ثُمَّ وَلِينَا أَشيَاءَ مَا أَدرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصحَبنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ،

فَإِذَا دَفنتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَولَ قَبرِي قَدرَ مَا تُنحَرُ جَزُورٌ وَيُقسَمُ لَحمُهَا حَتَّىٰ أَستَأنِسَ بِكُم وَأَنظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. أخرجه مسلم (١٢١).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَالَ :فَاشتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَىٰ الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَي رَسُولَ اللهِ كُلِّفنَا مِنَ الأَعمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَد أُنزِلَت عَلَيكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَتُرِيدُونَ أَن تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهلُ الكِتَابَينِ مِن قَبلِكُم سَمِعنَا وَعَصَينَا بَل قُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ**»، قَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ فَلَمَّا اقتَرَأَهَا القَومُ ذَلَّت بِهَا أَلسِنَتُهُم فَأَنزَلَ اللهُ فِي إِثرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾، قَالَ نَعَم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قَالَ نَعَم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، قَالَ نَعَم، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. أخرجه مسلم (١٢٥).

وعن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعطَىٰ رَهطًا وَسَعدٌ جَالِسٌ فِيهِم قَالَ سَعدٌ فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنهُم مَن لَم يُعطِهِ وَهُوَ أَعجَبُهُم إِلَيَّ فَقُلتُ :يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَن فُلَانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤمِنًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَو مُسلِمًا**».

قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعلَمُ مِنهُ فَقُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَن فُلَانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤمِنًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَو مُسلِمًا**».

قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمتُ مِنهُ فَقُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا لَكَ عَن فُلَانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤمِنًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَو مُسلِمًا، إِنِّي لَأُعطِي الرَّجُلَ وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ خَشيَةَ أَن يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجهِهِ**». خ (٢٧)، مسلم (١٥٠).

وعَن عَائِشَةَ قَالَت: قُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ ابنُ جُدعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطعِمُ المِسكِينَ فَهَل ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ : «**لَا يَنفَعُهُ إِنَّهُ لَم يَقُل يَومًا رَبِّ اغفِر لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ**». أخرجه مسلم (١٤).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: لَمَّا أُنزِلَت هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيشًا فَاجتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ : «**يَا بَنِي كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعبٍ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ شَمسٍ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ مَنَافٍ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِن النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنقِذِي نَفسَكِ مِن النَّارِ فَإِنِّي لَا أَملِكُ لَكُم مِن اللهِ شَيئًا غَيرَ أَنَّ لَكُم رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**». خ (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

وعَن عَائِشَةَ قَالَت: لَمَّا نَزَلَت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا فَقَالَ : «**يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنتَ عَبدِ المُطَّلِبِ يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ**

لَا أَملِكُ لَكُم مِن اللهِ شَيئًا سَلُونِي مِن مَالِي مَا شِئتُم». أخرجه مسلم (٢٠٥).

وعَن قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ وَزُهَيرِ بنِ عَمرٍو قَالَا: لَمَّا نَزَلَت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قَالَ انطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَىٰ رَضمَةٍ مِن جَبَلٍ فَعَلَا أَعلَاهَا حَجَرًا ثُمَّ نَادَىٰ : «يَا بَنِي عَبدِ مَنَافَاه إِنِّي نَذِيرٌ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُم كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَىٰ العَدُوَّ فَانطَلَقَ يَربَأُ أَهلَهُ فَخَشِيَ أَن يَسبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهتِفُ يَا صَبَاحَاه». أخرجه مسلم (٢٠٥).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وَرَهطَكَ مِنهُم المُخلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ الصَّفَا فَهتَفَ : «يَا صَبَاحَاه»، فَقَالُوا مَن هَذَا الَّذِي يَهتِفُ قَالُوا مُحَمَّدٌ فَاجتَمَعُوا إِلَيهِ فَقَالَ : «يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ» فَاجتَمَعُوا إِلَيهِ.

فَقَالَ : «أَرَأَيتَكُم لَو أَخبَرتُكُم أَنَّ خَيلًا تَخرُجُ بِسَفحِ هَذَا الجَبَلِ أَكُنتُم مُصَدِّقِيَّ؟».

قَالُوا: مَا جَرَّبنَا عَلَيكَ كَذِبًا.

قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ».

قَالَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَت هَذِهِ السُّورَةُ: تَبَّت يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَد تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الأَعمَشُ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وحَدَّثَنَا أَبُو بَكرِ بنُ أَبِي شَيبَةَ وَأَبُو كُرَيبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَن الأَعمَشِ بِهَذَا الإِسنَادِ قَالَ صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ الصَّفَا فَقَالَ يَا صَبَاحَاه بِنَحوِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ وَلَم يَذكُر نُزُولَ الآيَةِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. خ (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

عن عَائِشَةَ زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ أَخبَرَتهُ: قَالَت: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ

مِن الوَحي الرُّؤيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّومِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤيَا إِلَّا جَاءَت مِثلَ فَلَقِ الصُّبحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيهِ الخَلَاءُ فَكَانَ يَخلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ أُولَاتِ العَدَدِ قَبلَ أَن يَرجِعَ إِلَىٰ أَهلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثلِهَا.

حَتَّىٰ فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقرَأ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهدَ ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ اقرَأ قَالَ قُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهدَ ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ: أَقرَأ فَقُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهدَ ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنهُ الرَّوعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «**أَي خَدِيجَةُ مَا لِي؟**»، وَأَخبَرَهَا الخَبَرَ قَالَ: «**لَقَد خَشِيتُ عَلَىٰ نَفسِي**»، قَالَت لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبشِر فَوَاللهِ لَا يُخزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصدُقُ الحَدِيثَ وَتَحمِلُ الكَلَّ وَتَكسِبُ المَعدُومَ وَتَقرِي الضَّيفَ وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانطَلَقَت بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَت بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبدِ العُزَّىٰ وَهُوَ ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ وَيَكتُبُ مِن الإِنجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَكتُبَ، وَكَانَ شَيخًا كَبِيرًا قَد عَمِيَ فَقَالَت لَهُ خَدِيجَةُ: أَي عَمِّ اسمَع مِن ابنِ أَخِيكَ.

قَالَ وَرَقَةُ بنُ نَوفَلٍ: يَا ابنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، يَا لَيتَنِي فِيهَا جَذَعًا يَا لَيتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخرِجُكَ قَومُكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟**»، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَم لَم يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِن يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُركَ نَصرًا مُؤَزَّرًا. خ (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

عن عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس علىٰ ضلالة، وأنهم ليسوا علىٰ شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا.

فقعدت علىٰ راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتىٰ دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟

قال: «**أنا نبي**».

فقلت: وما نبي؟

قال: «**أرسلني الله**».

فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**».

قلت له: فمن معك علىٰ هذا؟

قال: «**حر وعبد**» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، ممن آمن به.

فقلت: إني متبعك.

قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترىٰ حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلىٰ أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**».

قال: فذهبت إلىٰ أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتىٰ قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك.

فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟

قال: «**نعم أنت الذي لقيتني بمكة؟**».

قال: فقلت: بلىٰ، فقلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟

قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تطلع الشمس، حتىٰ ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتىٰ يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذٍ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتىٰ تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتىٰ تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**».

قَالَ: فَقُلتُ يَا نَبِيَّ اللهِ فَالوُضُوءَ حَدِّثنِي عَنهُ.

قَالَ: «**مَا مِنكُم رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضمَضُ وَيَستَنشِقُ فَيَنتَثِرُ إِلَّا خَرَّت خَطَايَا وَجهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّت خَطَايَا وَجهِهِ مِن أَطرَافِ لِحيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغسِلُ يَدَيهِ إِلَىٰ المِرفَقَينِ إِلَّا خَرَّت خَطَايَا يَدَيهِ مِن أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَمسَحُ رَأسَهُ إِلَّا خَرَّت خَطَايَا رَأسِهِ مِن أَطرَافِ شَعرِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغسِلُ قَدَمَيهِ إِلَىٰ الكَعبَينِ إِلَّا خَرَّت خَطَايَا رِجلَيهِ مِن أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ**

فَإِن هُوَ قَامَ فَصَلَّىٰ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَىٰ عَلَيهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهلٌ وَفَرَّغَ قَلبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انصَرَفَ مِن خَطِيئَتِهِ كَهَيئَتِهِ يَومَ وَلَدَتهُ أُمُّهُ».

أخرجه مسلم (٨٣٢).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِن أَزدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يرقِي مِن هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِن أَهلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجنُونٌ، فَقَالَ: لَو أَنِّي رَأَيتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ.

قَالَ: فَلَقِيَهُ فقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرقِي مِن هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللهَ يَشفِي عَلَىٰ يَدِي مَن شَاءَ فَهَل لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الحَمدَ لِلَّهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعدُ**».

قَالَ: فَقَالَ أَعِد عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ فَأَعَادَهُنَّ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ لَقَد سَمِعتُ قَولَ الكَهَنَةِ وَقَولَ السَّحَرَةِ وَقَولَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعتُ مِثلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَد بَلَغنَ نَاعُوسَ البَحرِ قَالَ فَقَالَ: «**هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعكَ عَلَىٰ الإِسلَامِ**» قَالَ: فَبَايَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَعَلَىٰ قَومِكَ؟**»، قَالَ: وَعَلَىٰ قَومِي.

قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَومِهِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلجَيشِ: هَل أَصَبتُم مِن هَؤُلَاءِ شَيئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِن القَومِ أَصَبتُ مِنهُم مِطهَرَةً فَقَالَ : «**رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَومُ ضِمَادٍ**».

أخرجه مسلم (٨٦٨).

وعَن نَافِعٍ أَنَّ عَبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ أَخبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ

قَد زَنَيَا، فَانطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ جَاءَ يَهُودَ فَقَالَ: «**مَا تَجِدُونَ فِي التَّورَاةِ عَلَىٰ مَن زَنَىٰ؟**».

قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا وَنُحَمِّلُهُمَا وَنُخَالِفُ بَينَ وُجُوهِهِمَا وَيُطَافُ بِهِمَا.

قَالَ: «**فَأتُوا بِالتَّورَاةِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ**».

فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّىٰ إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجمِ وَضَعَ الفَتَىٰ الَّذِي يَقرَأُ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجمِ وَقَرَأَ مَا بَينَ يَدَيهَا وَمَا وَرَاءَهَا؛ فَقَالَ لَهُ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مُرهُ فَليَرفَع يَدَهُ فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحتَهَا آيَةُ الرَّجمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: كُنتُ فِيمَن رَجَمَهُمَا فَلَقَد رَأَيتُهُ يَقِيهَا مِنَ الحِجَارَةِ بِنَفسِهِ. ومسلم (١٦٩٩).

وعَن البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ قَالَ: مُرَّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجلُودًا فَدَعَاهُم ﷺ فَقَالَ: «**هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُم؟**»، قَالُوا نَعَم، فَدَعَا رَجُلًا مِن عُلَمَائِهِم فَقَالَ: «**أَنشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنزَلَ التَّورَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُم؟**»، قَالَ: لَا وَلَولَا أَنَّكَ نَشَدتَنِي بِهَذَا لَم أُخبِركَ نَجِدُهُ الرَّجمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذنَا الشَّرِيفَ تَرَكنَاهُ، وَإِذَا أَخَذنَا الضَّعِيفَ أَقَمنَا عَلَيهِ الحَدَّ قُلنَا تَعَالَوا فَلنَجتَمِع عَلَىٰ شَيءٍ نُقِيمُهُ عَلَىٰ الشَّرِيفِ وَالوَضِيعِ؛ فَجَعَلنَا التَّحمِيمَ وَالجَلدَ مَكَانَ الرَّجمِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَن أَحيَا أَمرَكَ إِذ أَمَاتُوهُ**»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ ۞ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ** ﴾، إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿**إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ**﴾.

يَقُولُ: ائتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِن أَمَرَكُم بِالتَّحمِيمِ وَالجَلدِ فَخُذُوهُ، وَإِن أَفتَاكُم بِالرَّجمِ فَاحذَرُوا فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ**

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾. أخرجه مسلم (١٧٠٠).

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ قَالَ: بَينَا نَحنُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقسِمُ قَسمًا أَتَاهُ ذُو الخُوَيصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعدِل! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَيلَكَ وَمَن يَعدِلُ إِن لَم أَعدِل قَد خِبتُ وَخَسِرتُ إِن لَم أَعدِل**».

فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ ائذَن لِي فِيهِ أَضرِب عُنُقَهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**دَعهُ فَإِنَّ لَهُ أَصحَابًا يَحقِرُ أَحَدُكُم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِم وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم يَقرَءُونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمرُقُونَ مِنَ الإِسلَامِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّةِ، يُنظَرُ إِلَىٰ نَصلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يُنظَرُ إِلَىٰ رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يُنظَرُ إِلَىٰ نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ وَهُوَ القِدحُ، ثُمَّ يُنظَرُ إِلَىٰ قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ سَبَقَ الفَرثَ وَالدَّمَ آيَتُهُم رَجُلٌ أَسوَدُ إِحدَىٰ عَضُدَيهِ مِثلُ ثَديِ المَرأَةِ أَو مِثلُ البَضعَةِ تَدَردَرُ يَخرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرقَةٍ مِن النَّاسِ**».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشهَدُ أَنِّي سَمِعتُ هَذَا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَشهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَاتَلَهُم وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالتُمِسَ فَوُجِدَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّىٰ نَظَرتُ إِلَيهِ عَلَىٰ نَعتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَ.

خ (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

وعَن جَابِرٍ قَالَ: أَقبَلنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَينَا عَلَىٰ شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن المُشرِكِينَ وَسَيفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ فَأَخَذَ سَيفَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَاختَرَطَهُ؛ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لَا**». قَالَ: فَمَن يَمنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ : «**اللهُ يَمنَعُنِي مِنكَ**»، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَغمَدَ السَّيفَ وَعَلَّقَهُ قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ

فَصَلَّىٰ بِطَائِفَةٍ رَكعَتَينِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا وَصَلَّىٰ بِالطَّائِفَةِ الأُخرَىٰ رَكعَتَينِ قَالَ: فَكَانَت لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَربَعُ رَكَعَاتٍ وَلِلقَومِ رَكعَتَانِ.

خ (٢٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الجِنِّ وَمَا رَآهُم انطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِن أَصحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ وَقَد حِيلَ بَينَ الشَّيَاطِينِ وَبَينَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرسِلَت عَلَيهِم الشُّهُبُ، فَرَجَعَت الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَومِهِم فَقَالُوا مَا لَكُم؟ قَالُوا حِيلَ بَينَنَا وَبَينَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرسِلَت عَلَينَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِن شَيءٍ حَدَثَ فَاضرِبُوا مَشَارِقَ الأَرضِ وَمَغَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَينَنَا وَبَينَ خَبَرِ السَّمَاءِ.

فَانطَلَقُوا يَضرِبُونَ مَشَارِقَ الأَرضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحوَ تِهَامَةَ وَهُوَ بِنَخلٍ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصحَابِهِ صَلَاةَ الفَجرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرآنَ استَمَعُوا لَهُ وَقَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَينَنَا وَبَينَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ قَومِهِم فَقَالُوا يَا قَومَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾.

خ (٧٧٣)، أخرجه مسلم (٤٤٩).

وعن عُبَيدُ بنُ حُنَينٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ قَالَ: مَكَثتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَن أَسأَلَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ عَن آيَةٍ فَمَا أَستَطِيعُ أَن أَسأَلَهُ هَيبَةً لَهُ حَتَّىٰ خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ فَكُنَّا بِبَعضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَىٰ الأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ فَوَقَفتُ لَهُ حَتَّىٰ فَرَغَ ثُمَّ سِرتُ مَعَهُ فَقُلتُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ مَن اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَىٰ

رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن أَزوَاجِهِ؟ فَقَالَ: تِلكَ حَفصَةُ وَعَائِشَةُ. قَالَ فَقُلتُ لَهُ: وَاللهِ إِن كُنتُ لَأُرِيدُ أَن أَسأَلَكَ عَن هَذَا مُنذُ سَنَةٍ فَمَا أَستَطِيعُ هَيبَةً لَك، قَالَ: فَلَا تَفعَل مَا ظَنَنتَ أَنَّ عِندِي مِن عِلمٍ فَسَلنِي عَنهُ فَإِن كُنتُ أَعلَمُهُ أَخبَرتُكَ.

قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إِن كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمرًا حَتَّىٰ أَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِنَّ مَا أَنزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ، قَالَ: فَبَينَمَا أَنَا فِي أَمرٍ أَأتَمِرُهُ إِذ قَالَت لِي امرَأَتِي لَو صَنَعتَ كَذَا وَكَذَا فَقُلتُ لَهَا: وَمَا لَكِ أَنتِ وَلِمَا هَاهُنَا وَمَا تَكَلُّفُكِ فِي أَمرٍ أُرِيدُهُ. فَقَالَت لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ مَا تُرِيدُ أَن تُرَاجَعَ أَنتَ وَإِنَّ ابنَتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَومَهُ غَضبَانَ.

قَالَ عُمَرُ فَآخُذُ رِدَائِي ثُمَّ أَخرُجُ مَكَانِي حَتَّىٰ أَدخُلَ عَلَىٰ حَفصَةَ فَقُلتُ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَومَهُ غَضبَانَ! فَقَالَت حَفصَةُ: وَاللهِ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ. فَقُلتُ: تَعلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ اللهِ وَغَضَبَ رَسُولِهِ يَا بُنَيَّةُ لَا يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي قَد أَعجَبَهَا حُسنُهَا وَحُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّاهَا، ثُمَّ خَرَجتُ حَتَّىٰ أَدخُلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنهَا فَكَلَّمتُهَا فَقَالَت لِي أُمُّ سَلَمَةَ: عَجَبًا لَكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ قَد دَخَلتَ فِي كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰ تَبتَغِيَ أَن تَدخُلَ بَينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزوَاجِهِ.

قَالَ: فَأَخَذَتنِي أَخذًا كَسَرَتنِي عَن بَعضِ مَا كُنتُ أَجِدُ فَخَرَجتُ مِن عِندِهَا وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِن الأَنصَارِ إِذَا غِبتُ أَتَانِي بِالخَبَرِ وَإِذَا غَابَ كُنتُ أَنَا آتِيهِ بِالخَبَرِ، وَنَحنُ حِينَئِذٍ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِن مُلُوكِ غَسَّانَ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَن يَسِيرَ إِلَينَا فَقَد امتَلَأَت صُدُورُنَا مِنهُ، فَأَتَىٰ صَاحِبِي الأَنصَارِيُّ يَدُقُّ البَابَ وَقَالَ افتَح افتَح فَقُلتُ جَاءَ الغَسَّانِيُّ فَقَالَ أَشَدُّ مِن ذَلِكَ اعتَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزوَاجَهُ، فَقُلتُ: رَغِمَ أَنفُ حَفصَةَ وَعَائِشَةَ.

ثُمَّ آخذُ ثوبي فأخرُجُ حتَّىٰ جِئتُ فإذا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَشرُبَةٍ لَهُ يُرتقَىٰ إليها بعَجلَةٍ وغُلَامٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أسودُ عَلَىٰ رَأسِ الدَّرَجَةِ فقُلتُ: هَذَا عُمَرُ فأُذِنَ لِي قَالَ عُمَرُ: فقَصَصتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا الحَدِيثَ.

فلَمَّا بَلَغتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنَّهُ لَعَلَىٰ حَصِيرٍ مَا بَينَهُ وَبَينَهُ شَيءٌ وَتَحتَ رَأسِهِ وِسَادَةٌ مِن أَدَمٍ حَشوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِندَ رِجلَيهِ قَرَظًا مَضبُورًا، وَعِندَ رَأسِهِ أُهُبًا مُعلَّقَةً، فَرَأَيتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَكَيتُ فقَالَ: «**مَا يُبكِيكَ؟**»، فقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسرَىٰ وَقَيصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنتَ رَسُولُ اللهِ! فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَرضَىٰ أَن تَكُونَ لَهُمَا الدُّنيَا وَلَكَ الآخِرَةُ**».

خ (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

وعن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: قُلتُ لِابنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوفًا البِكَالِيَّ يَزعُمُ أَنَّ مُوسَىٰ عليه السلام صَاحِبَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَيسَ هُوَ مُوسَىٰ صَاحِبَ الخَضِرِ عليه السلام؛ فقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ سَمِعتُ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ يَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَامَ مُوسَىٰ عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعلَمُ؟ فقَالَ: أَنَا أَعلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيهِ إِذ لَم يَرُدَّ العِلمَ إِلَيهِ، فَأَوحَىٰ اللهُ إِلَيهِ أَنَّ عَبدًا مِن عِبَادِي بِمَجمَعِ البَحرَينِ هُوَ أَعلَمُ مِنكَ قَالَ مُوسَىٰ أَي رَبِّ كَيفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ احمِل حُوتًا فِي مِكتَلٍ فَحَيثُ تَفقِدُ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ.**

فَانطَلَقَ وَانطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَىٰ عليه السلام حُوتًا فِي مِكتَلٍ وَانطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمشِيَانِ حَتَّىٰ أَتَيَا الصَّخرَةَ فَرَقَدَ مُوسَىٰ عليه السلام وَفَتَاهُ فَاضطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكتَلِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنَ المِكتَلِ فَسَقَطَ فِي البَحرِ.

قَالَ: وَأَمسَكَ اللهُ عَنهُ جِريَةَ المَاءِ حَتَّىٰ كَانَ مِثلَ الطَّاقِ فَكَانَ لِلحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَىٰ وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانطَلَقَا بَقِيَّةَ يَومِهِمَا وَلَيلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَىٰ أَن يُخبِرَهُ.

فَلَمَّا أَصبَحَ مُوسَىٰ عليه السلام قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، قَالَ: وَلَم يَنصَب حَتَّىٰ جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

قَالَ مُوسَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّىٰ أَتَيَا الصَّخرَةَ فَرَأَىٰ رَجُلًا مُسَجًّىٰ عَلَيهِ بِثَوبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ مُوسَىٰ فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: أَنَّىٰ بِأَرضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ. قَالَ: مُوسَىٰ بَنِي إِسرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَم، قَالَ: إِنَّكَ عَلَىٰ عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعلَمُهُ، وَأَنَا عَلَىٰ عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعلَمُهُ.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

قَالَ لَهُ الخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

قَالَ: نَعَم.

فَانطَلَقَ الخَضِرُ وَمُوسَىٰ يَمشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحرِ فَمَرَّت بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُم أَن يَحمِلُوهُمَا فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيرِ نَولٍ فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَىٰ لَوحٍ مِن أَلوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ.

فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: قَومٌ حَمَلُونَا بِغَيرِ نَولٍ عَمَدتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِم فَخَرَقتَهَا

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

ثُمَّ خرَجَا مِن السَّفِينَةِ فَبينَمَا هُمَا يَمشِيَانِ عَلَىٰ السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلعَبُ مَعَ الغِلمَانِ فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأسِهِ فَاقتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِن الأُولَىٰ.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾

يَقُولُ مَائِلٌ قَالَ الخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ قَومٌ أَتينَاهُم فَلَم يُضَيِّفُونَا وَلَم يُطعِمُونَا ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرحَمُ اللهُ مُوسَىٰ لَوَدِدتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّىٰ يُقَصَّ عَلَينَا مِن أَخبَارِهِمَا».

قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَت الأُولَىٰ مِن مُوسَىٰ نِسيَانًا».

قَالَ: «وَجَاءَ عُصفُورٌ حَتَّىٰ وَقَعَ عَلَىٰ حَرفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي البَحرِ فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلمِي وَعِلمُكَ مِن عِلمِ اللهِ إِلَّا مِثلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصفُورُ مِن البَحرِ».

قَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ وَكَانَ يَقرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُم مَلِكٌ يَأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصبًا)، وَكَانَ يَقرَأُ: (وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا).

خ (١٢٢)، ومسلم (٢٢٣٨٠).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَومَ خَيبَرَ: «**لَأُعطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيهِ**» قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مَا أَحبَبتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَومَئِذٍ قَالَ فَتَسَاوَرتُ لَهَا رَجَاءَ أَن أُدعَىٰ لَهَا، قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَعطَاهُ إِيَّاهَا وَقَالَ : «**امشِ وَلَا تَلتَفِت حَتَّىٰ يَفتَحَ اللهُ عَلَيكَ**».

قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَم يَلتَفِت فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ : «**قَاتِلهُم حَتَّىٰ يَشهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَد مَنَعُوا مِنكَ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُم عَلَىٰ اللهِ**».

أخرجه مسلم (٢٤٠٥).

وعَن أَبِي حَازِمٍ أَخبَرَنِي سَهلُ بنُ سَعدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَومَ خَيبَرَ : «**لَأُعطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم أَيُّهُم يُعطَاهَا.

قَالَ: فَلَمَّا أَصبَحَ النَّاسُ غَدَوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُم يَرجُونَ أَن يُعطَاهَا فَقَالَ : «**أَينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشتَكِي عَينَيهِ قَالَ: فَأَرسِلُوا إِلَيهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَينَيهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَن لَم يَكُن بِهِ وَجَعٌ فَأَعطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُم حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثلَنَا؟ فَقَالَ : «**انفُذ عَلَىٰ رِسلِكَ حَتَّىٰ تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم ثُمَّ ادعُهُم إِلَىٰ الإِسلَامِ وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ اللهِ فِيهِ فَوَاللهِ لَأَن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكُونَ لَكَ حُمرُ النَّعَمِ**». أخرجه خ (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ: أَنَّ أَعرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن الهِجرَةِ فَقَالَ :

«وَيحَكَ إِنَّ شَأنَ الهِجرَةِ لَشَدِيدٌ فَهَل لَكَ مِن إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَم قَالَ : «فَهَل تُؤتِي صَدَقَتَهَا؟» قَالَ: نَعَم قَالَ : «فَاعمَل مِن وَرَاءِ البِحَارِ فَإِنَّ اللهَ لَن يَتِرَكَ مِن عَمَلِكَ شَيئًا».

وعن عَبدِ اللهِ بنَ عُمَرَ: أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهطٍ قِبَلَ ابنِ صياد حتىٰ وجده يلعبُ مع الصبيانِ عند أُطُمِ بني مَغالة، وقد قاربَ ابنُ صياد يومئذٍ الحُلُم، فلم يشعر حتىٰ ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ ظهرَه بيده، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ لابن صياد: «أتشهدُ أني رسولُ الله؟».

فنظر إليه ابنُ صياد فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الأُمِّيِّين.

فقال ابنُ صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسولُ الله؟

فرفضه رسول الله ﷺ وقال: «آمنتُ باللهِ وبرسله».

ثم قال له رسول الله ﷺ: «ماذا ترىٰ؟».

قال ابنُ صياد: يأتيني صادق وكاذب.

فقال رسولُ الله ﷺ: «خُلِّطَ عليه الأمر».

ثم قال له رسول الله ﷺ: «إني قد خبَّأتُ لكَ خبيئًا».

فقال ابنُ صياد: هُوَ الدُّخُّ.

فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تَعدُوَ قدرَك».

فقال عمرُ بن الخطاب: ذرني يا رسولَ الله أضرِب عنقه!

فقال له رسولُ الله ﷺ: «إِن يَكُنهُ فلن تُسلَّطَ عليه، وإن لم يَكُنهُ فلا خيرَ لك في قتله».

وَقَالَ سَالِمُ بنُ عَبدِ اللهِ: سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ يَقُولُ: انطَلَقَ بَعدَ ذَلِكَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأُبَيُّ بنُ كَعبِ الأَنصارِيُّ إِلَىٰ النَّخلِ الَّتِي فِيهَا ابنُ صَيَّادٍ حَتَّىٰ إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّخلَ طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخلِ وَهُوَ يَختِلُ أَن يَسمَعَ مِن ابنِ صَيَّادٍ شَيئًا قَبلَ أَن يَرَاهُ ابنُ صَيَّادٍ.

فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضطَجِعٌ عَلَىٰ فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا زَمزَمَةٌ، رَأَت أُمُّ ابنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخلِ فَقَالَت لِابنِ صَيَّادٍ: يَا صَافِ وَهُوَ اسمُ ابنِ صَيَّادٍ هَذَا مُحَمَّدٌ فَثَارَ ابنُ صَيَّادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَو تَرَكَتهُ بَيَّنَ**».

قَالَ سَالِمٌ قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «**إِنِّي لَأُنذِرُكُمُوهُ مَا مِن نَبِيٍّ إِلَّا وَقَد أَنذَرَهُ قَومَهُ لَقَد أَنذَرَهُ نُوحٌ قَومَهُ، وَلَكِن أَقُولُ لَكُم فِيهِ قَولًا لَم يَقُلهُ نَبِيٌّ لِقَومِهِ تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعوَرُ وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيسَ بِأَعوَرَ**».

وعن عُمَرُ بنُ ثَابِتٍ الأَنصَارِيُّ أَنَّهُ أَخبَرَهُ بَعضُ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَومَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ : «**إِنَّهُ مَكتُوبٌ بَينَ عَينَيهِ كَافِرٌ يَقرَؤُهُ مَن كَرِهَ عَمَلَهُ أَو يَقرَؤُهُ كُلُّ مُؤمِنٍ وَقَالَ تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَن يَرَىٰ أَحَدٌ مِنكُم رَبَّهُ ﷻ حَتَّىٰ يَمُوتَ**». أخرجه مسلم (٢٩٣٠).

وعَن أَنَسِ بنُ مَالِكٍ: أَنَّ أُنَاسًا مِن الأَنصَارِ قَالُوا يَومَ حُنَينٍ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَموَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعطِي رِجَالًا مِن قُرَيشٍ المِائَةَ مِن الإِبِلِ فَقَالُوا: يَغفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ يُعطِي قُرَيشًا وَيَترُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقطُرُ مِن دِمَائِهِم.

قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن قَولِهِم فَأَرسَلَ إِلَىٰ الأَنصَارِ فَجَمَعَهُم فِي قُبَّةٍ مِن أَدَمٍ، فَلَمَّا اجتَمَعُوا جَاءَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : «**مَا**

حَدِيثٌ بِلَغَنِي عَنكُم»، فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأيِنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَلَم يَقُولُوا شَيئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسنَانُهُم قَالُوا يَغفِرُ اللهُ لِرَسُولِهِ يُعطِي قُرَيشًا وَيَترُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقطُرُ مِن دِمَائِهِم.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فَإِنِّي أُعطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهدٍ بِكُفرٍ أَتَأَلَّفُهُم أَفَلَا تَرضَونَ أَن يَذهَبَ النَّاسُ بِالأَموَالِ وَتَرجِعُونَ إِلَىٰ رِحَالِكُم بِرَسُولِ اللهِ فَوَاللهِ لَمَا تَنقَلِبُونَ بِهِ خَيرٌ مِمَّا يَنقَلِبُونَ بِهِ**»، فَقَالُوا بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ قَد رَضِينَا. قَالَ : «**فَإِنَّكُم سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصبِرُوا حَتَّىٰ تَلقَوا اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَىٰ الحَوضِ**» قَالُوا: سَنَصبِرُ.

خ (٤٣٣٠)، مسلم (١٠٦١).

وعَن أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَامَ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ يومَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنفُسَكُم لَقَد كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ الحُدَيبِيَةِ وَلَو نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلنَا وَذَلِكَ فِي الصُّلحِ الَّذِي كَانَ بَينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَينَ المُشرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسنَا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُم عَلَىٰ بَاطِلٍ قَالَ : «**بَلَىٰ**»، قَالَ: أَلَيسَ قَتلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتلَاهُم فِي النَّارِ؟ قَالَ : «**بَلَىٰ**»، قَالَ: فَفِيمَ نُعطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرجِعُ وَلَمَّا يَحكُمِ اللهُ بَينَنَا وَبَينَهُم؟ فَقَالَ : «**يَا ابنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَن يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**».

قَالَ: فَانطَلَقَ عُمَرُ فَلَم يَصبِر مُتَغَيِّظًا فَأَتَىٰ أَبَا بَكرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكرٍ أَلَسنَا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُم عَلَىٰ بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: أَلَيسَ قَتلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتلَاهُم فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَعَلَامَ نُعطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرجِعُ وَلَمَّا يَحكُمِ اللهُ بَينَنَا وَبَينَهُم؟ فَقَالَ: يَا ابنَ الخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَن يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ فَنَزَلَ القُرآنُ عَلَىٰ

رَسُولِ اللهِ ﷺ بالفَتحِ فَأَرسَلَ إِلَىٰ عُمَرَ فَأَقرَأَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَو فَتحٌ هُوَ قَالَ نَعَم، فَطَابَت نَفسُهُ وَرَجَعَ.

خ (٣١٨١)، ومسلم (١٧٨٥).

وعَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنهما قَالَ: دَخَلتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلتُ نَاقَتِي بِالبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «**اقبَلُوا البُشرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَد بَشَّرتَنَا فَأَعطِنَا مَرَّتَينِ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيهِ نَاسٌ مِن أَهلِ اليَمَنِ فَقَالَ: «**اقبَلُوا البُشرَىٰ يَا أَهلَ اليَمَنِ إِذ لَم يَقبَلهَا بَنُو تَمِيمٍ**» قَالُوا قَد قَبِلنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالُوا: جِئنَاكَ نَسأَلُكَ عَن هَذَا الأَمرِ قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَم يَكُن شَيءٌ غَيرُهُ وَكَانَ عَرشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكرِ كُلَّ شَيءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ**» فَنَادَىٰ مُنَادٍ ذَهَبَت نَاقَتُكَ يَا ابنَ الحُصَينِ فَانطَلَقتُ فَإِذَا هِيَ يَقطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ فَوَاللهِ لَوَدِدتُ أَنِّي كُنتُ تَرَكتُهَا.

أخرجه البخاري (٧٤١٨).

عَن أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهوَ فِي أَرضٍ يَختَرِفُ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَن ثَلَاثٍ لَا يَعلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ فَمَا أَوَّلُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهلِ الجَنَّةِ، وَمَا يَنزِعُ الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ أَو إِلَىٰ أُمِّهِ؟

قَالَ: «**أَخبَرَنِي بِهِنَّ جِبرِيلُ آنِفًا**».

قَالَ: جِبرِيلُ!

قَالَ: «**نَعَم**».

قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ؛ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

«**أَمَّا أَوَّلُ أَشرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحشُرُ النَّاسَ مِن المَشرِقِ إِلَىٰ المَغرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكُلُهُ أَهلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرأَةِ نَزَعَت**».

قَالَ: أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَومٌ بُهتٌ وَإِنَّهُم إِن يَعلَمُوا بِإِسلَامِي قَبلَ أَن تَسأَلَهُم يَبهَتُونِي.

فَجَاءَت اليَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبدُ اللهِ فِيكُم؟**»، قَالُوا خَيرُنَا وَابنُ خَيرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «**أَرَأَيتُم إِن أَسلَمَ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ؟**»، فَقَالُوا أَعَاذَهُ اللهُ مِن ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبدُ اللهِ فَقَالَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابنُ شَرِّنَا وَانتَقَصُوهُ قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.

خ (٤٤٨٠).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فُتِحَت خَيبَرُ أُهدِيَت لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اجمَعُوا إِلَيَّ مَن كَانَ هَاهُنَا مِن يَهُودَ**»، فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ: «**إِنِّي سَائِلُكُم عَن شَيءٍ فَهَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَنهُ**»، فَقَالُوا: نَعَم.

قَالَ لَهُم النَّبِيُّ ﷺ: «**مَن أَبُوكُم؟**».

قَالُوا: فُلَانٌ.

فَقَالَ: «**كَذَبتُم بَل أَبُوكُم فُلَانٌ**».

قَالُوا: صَدَقتَ.

قَالَ: «**فَهَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَن شَيءٍ إِن سَأَلتُ عَنهُ؟**».

فَقَالُوا: نَعَم يَا أَبَا القَاسِمِ وَإِن كَذَبنَا عَرَفتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفتَهُ فِي أَبِينَا.

فَقَالَ لَهُم : «**مَن أَهلُ النَّارِ**».

قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخلُفُونَا فِيهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**اخسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخلُفُكُم فِيهَا أَبَدًا** ثُمَّ قَالَ: **هَل أَنتُم صَادِقِيَّ عَن شَيءٍ إِن سَأَلتُكُم عَنهُ؟**».

فَقَالُوا: نَعَم يَا أَبَا القَاسِمِ.

قَالَ : «**هَل جَعَلتُم فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**».

قَالُوا: نَعَم.

قَالَ : «**مَا حَمَلَكُم عَلَىٰ ذَلِكَ؟**».

قَالُوا: أَرَدنَا إِن كُنتَ كَاذِبًا نَستَرِيحُ وَإِن كُنتَ نَبِيًّا لَم يَضُرَّكَ.

خ (٥٧٧٧).

وعَن جُبَيرِ بنِ حَيَّةَ قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفنَاءِ الأَمصَارِ يُقَاتِلُونَ المُشرِكِينَ فَأَسلَمَ الهُرمُزَانُ فَقَالَ: إِنِّي مُستَشِيرُكَ فِي مَغَازِيَّ هَذِهِ، قَالَ: نَعَم مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَن فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِن عَدُوِّ المُسلِمِينَ مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجلَانِ، فَإِن كُسِرَ أَحَدُ الجَنَاحَينِ نَهَضَت الرِّجلَانِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأسُ، فَإِن كُسِرَ الجَنَاحُ الآخَرُ نَهَضَت الرِّجلَانِ وَالرَّأسُ، وَإِن شُدِخَ الرَّأسُ ذَهَبَت الرِّجلَانِ وَالجَنَاحَانِ وَالرَّأسُ، فَالرَّأسُ كِسرَىٰ، وَالجَنَاحُ قَيصَرُ، وَالجَنَاحُ الآخَرُ فَارِسُ، فَمُر المُسلِمِينَ فَليَنفِرُوا إِلَىٰ كِسرَىٰ.

وَقَالَ بَكرٌ وَزِيَادٌ جَمِيعًا عَن جُبَيرِ بنِ حَيَّةَ قَالَ فَنَدَبَنَا عُمَرُ وَاستَعمَلَ عَلَينَا النُّعمَانَ بنَ مُقَرِّنٍ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِأَرضِ العَدُوِّ وَخَرَجَ عَلَينَا عَامِلُ كِسرَىٰ فِي أَربَعِينَ أَلفًا فَقَامَ تَرجُمَانٌ فَقَالَ: لِيُكَلِّمنِي رَجُلٌ مِنكُم فَقَالَ المُغِيرَةُ سَل عَمَّا شِئتَ قَالَ: مَا

أَنتُم؟ قَالَ: نَحنُ أُنَاسٌ مِن العَرَبِ كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ نَمَصُّ الجِلدَ وَالنَّوَىٰ مِن الجُوعِ وَنَلبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ وَنَعبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَينَا نَحنُ كَذَلِكَ إِذ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ تَعَالَىٰ ذِكرُهُ وَجَلَّت عَظَمَتُهُ إِلَينَا نَبِيًّا مِن أَنفُسِنَا نَعرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ أَن نُقَاتِلَكُم حَتَّىٰ تَعبُدُوا اللهَ وَحدَهُ أَو تُؤَدُّوا الجِزيَةَ، وَأَخبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَن رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَن قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَىٰ الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَم يَرَ مِثلَهَا قَطُّ وَمَن بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُم.

فَقَالَ النُّعمَانُ رُبَّمَا أَشهَدَكَ اللهُ مِثلَهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَم يُنَدِّمكَ وَلَم يُخزِكَ، وَلَكِنِّي شَهِدتُ القِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا لَم يُقَاتِل فِي أَوَّلِ النَّهَارِ انتَظَرَ حَتَّىٰ تَهُبَّ الأَروَاحُ وَتَحضُرَ الصَّلَوَاتُ.

أخرجه البخاري (٣١٥٩).

وعَن ابنِ عُمَرَ: أَنَّ زَيدَ بنَ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّأمِ يَسأَلُ عَن الدِّينِ وَيَتبَعُهُ فَلَقِيَ عَالِمًا مِن اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَن دِينِهِم فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَن أَدِينَ دِينَكُم فَأَخبِرنِي.

فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَىٰ دِينِنَا حَتَّىٰ تَأخُذَ بِنَصِيبِكَ مِن غَضَبِ اللهِ.

قَالَ زَيدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِن غَضَبِ اللهِ وَلَا أَحمِلُ مِن غَضَبِ اللهِ شَيئًا أَبَدًا، وَأَنَّىٰ أَستَطِيعُهُ فَهَل تَدُلُّنِي عَلَىٰ غَيرِهِ؟

قَالَ: مَا أَعلَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ حَنِيفًا.

قَالَ زَيدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟

قَالَ: دِينُ إِبرَاهِيمَ لَم يَكُن يَهُودِيًّا وَلَا نَصرَانِيًّا وَلَا يَعبُدُ إِلَّا اللهَ.

فَخَرَجَ زَيدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِن النَّصَارَىٰ فَذَكَرَ مِثلَهُ فَقَالَ لَن تَكُونَ عَلَىٰ دِينِنَا

حَتَّىٰ تَأخُذَ بِنَصِيبِكَ مِن لَعنَةِ اللهِ.

قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِن لَعنَةِ اللهِ وَلَا أَحمِلُ مِن لَعنَةِ اللهِ وَلَا مِن غَضَبِهِ شَيئًا أَبَدًا، وَأَنَّىٰ أَستَطِيعُ فَهَل تَدُلُّنِي عَلَىٰ غَيرِهِ؟

قَالَ: مَا أَعلَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ حَنِيفًا.

قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟

قَالَ: دِينُ إِبرَاهِيمَ لَم يَكُن يَهُودِيًّا وَلَا نَصرَانِيًّا وَلَا يَعبُدُ إِلَّا اللهَ.

فَلَمَّا رَأَىٰ زَيدٌ قَولَهُم فِي إِبرَاهِيمَ عليه السلام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشهَدُ أَنِّي عَلَىٰ دِينِ إِبرَاهِيمَ.

وعن حذيفة ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**».

قلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «**نعم، وفيه دخن**».

قلت: وما دخنه؟

قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**».

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم، دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟

قال: «**نعم، هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**».

قلت: يا رسول الله، فما ترىٰ إن أدركني ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**». متفق عليه.

فهذه حوارات دارت من أجل إظهار الحق مع القريب والبعيد والمؤيد والمخالف.



باب
بيان الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند المسلمين[(١)]

أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة بحمد الله علىٰ مرِّ الدهور وتقلبات الأمور واختلاف العصور، يسيرون علىٰ طريق قويم وصراط مستقيم سواءً في العقائد والإيمان أو المعاملات والأحكام، وهذا من فضل الله عليهم وعلىٰ الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

والسبب في ذلك هو تعظيمهم للكتاب والسنة ولعدم الخروج عليهما لرأي أو مذهب أو فكر، بل ينطبق عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وينطبق عليهم كل ما تقدم من أدلة فضل هذا الدين وقوامه وشموله وتمامه؛ لأنهم هم أصحاب الدين الحق والطريق الأحب الصدق، ومن دونهم إما مقصر وإما غالٍ منفر.

لكن قد وقع من بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام من غلاة الصوفية ومن

---

(١) هذا الباب مستقىٰ من «الدعوة إلىٰ التقارب بين الأديان» (١/ ٣٨١)، وكل هذه النقولات منه، ما عدا ما كانت من كلامي.

وافقهم من أهل الإلحاد والزندقة والعناد بعض من ذلك، وغالب ذلك يصدر عن مقدمة فاسدة أو شبهة كاسدة ألقاها عليهم الشيطان حيث زين لهم الكفر والطغيان والمعاصي والإجرام.

ومن أشد شبه القوم هو القول بوحدة الوجود وما في الكون إلَّا الله، هذا القول الذي يخالف المعقول والمنقول ويناقض القواعد والأصول حيث ومن المعلوم أن الخالق غير المخلوق والرب غير المربوب.

قال شيخ الإسلام في كتابه الرد علىٰ المنطقيين (ص٢٨٢): وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مشركًا يعبد الأوثان؛ فليس الإسلام عندهم واجبًا ولا التهود والتنصر والشرك محرمًا لكن قد يرجحون شريعة الإسلام علىٰ غيرها.

وإذا جاء المريد إلىٰ شيخ من شيوخهم وقال أريد أن أسلُك علىٰ يديك يقول له علىٰ دين المسلمين أو اليهود أو النصارىٰ فإذا قال له المريد: اليهود والنصارىٰ أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمون خير منهم.

وهذا من جنس جهال التتر أول ما أسلموا فإن الإسلام عندهم خير من غيره وإن كان غيره جائزًا لا يوالون عليه ويعادون عليه. اهـ

وقال البقاعي في تنبيه الغبي إلىٰ كفر ابن عربي (٢٤٠-٢٤١): وعلىٰ هذا الأصل المخبث الخبيث وهو الاتحاد بين جميع الكائنات وأنه لا غير ولا في غيريه في شيء من الوجود فرع صحة كل دين لأن الفاعل عنده إنما هو الله.

وقال عبد الرحمن الوكيل في هذه هي الصوفية (٩٣): آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه هذه الأسطورة -أسطورة وحدة الوجود- استلزمت عند

الصوفية الإيمان بوحدة الأديان، سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام وافترته أساطير الخيال وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله تعالىٰ إلىٰ رسله -صلىٰ الله عليهم وسلم-، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام علىٰ هداه وقدسه عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه. اهـ

قال ابن عربي لعنه الله كما في ذخائر الآعلاق (ص ٢٤٥):

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلىٰ دينه داني

فقد صار قلبي قابلًا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنىٰ توجهت ... راكبته فالحب ديني وإيماني

وقال في نصوص الحكم (٣٤٥)

عقد الخلائق في الإله عقائدًا ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وإلىٰ هذا القول وبه يقول ابن الفارض الصوفي الزنديق وهكذا عبد الكريم الجيلاني سبط عبد القادر الجيلاني وصدر الدين الرومي، وغيرهم من الزنادقة الملاحدة، وكذا الباطنية واستقوا هذا المعتقد من رسائل أخوان الصفا، والبهائية حيث يقول الميراز حسين المازندراني البها في نبذة عن تعاليم بهاء الله (١٢٣): يا علماء الأمم عضوا الأعين عن التجانب وانظروا إلىٰ التقارب والإتحاد.. اهـ ونادىٰ إلىٰ أن تتحد الأمم علىٰ دين واحد.

ثم تلاهم طلائع العصرايين العقلانيين من أمثال الماسون جمال الدين

الأفغاني عليه من الله ما يستحق رأس البوار الهالك سنة (١٣١٥هـ / ١٨٩٧ م)، حيث يقول: هكذا نجد الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية علىٰ تمام الاتفاق في المبدأ والغاية إذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية، لقد لاح لي أمل كبير أن تتحد أهل هذه الأديان الثلاثة مثل ما تحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها وبهذا الإتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة. اهـ (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ص٢٩٠-٢٩٥).

وقد تبعه تلميذه البار به وبئس التلميذ محمد عبده المصري، حيث طبق هذه الفكرة وسعىٰ في تحقيقها قاتله الله.

وأما في هذه الأيام فقد تبعهم كثيرٌ من علماء ودعاة الإخوان المسلمين مثل: القرضاوي، والزنداني، وعمرو خالد لا عمره لله ولا صبحه ولا مساه فاللهم سلم.

فتلخص أن هذه الدعوة البائرة والفكرة الصاغرة لا يدعو إليها ذو عقل رشيد ولا صاحب رأي سديد وإنما هي دعوة أهل الزندقة والإلحاد البائرين المخذولين المخذّلين.

مصطلحات لابد من معرفتها:

١ - التقريب بين الأديان:

قال في اللسان (١١/ ٨٣): والتقريب ضد التباعد.

قال الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي في كتابه (دعوة التقريب بين الأديان) (١/ ٣٣٥): أولًا التقريب بين الأديان ويمثل معظم المحاولات العالمية والإقليمية والمحلية لإيجاد تواصل وبناء علاقات بين مختلف الأديان والملل.

ويقوم علىٰ الخصائص الفكرية التالية:

١- اعتقاد إيمان الطرف الآخر وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو.

٢- نبذ التلفيقة أو التوفيقة بجمع عناصر من مختلف الأديان أو محاولة حمل بعضها علىٰ بعض للوصول إلىٰ وضع معين.

٣- الاعتراف بالآخر واحترام عقائده وشعائره ورفع الأحكام المسبقة.

أما من الناحية المنهجية فيعتمد الأساليب التالية:

١- الدعوة إلىٰ التعرف علىٰ الآخر كما يريد أن يُعرف.

٢- تجنب البحث في المسائل العقدية الشائكة.

٣- نسيان الماضي التأريخي والاعتذار من أخطائه ومحاولة التخلص من آثاره.

٤- إبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق.

٥- التعارف علىٰ تحقيق القيم المشتركة.

٦- تبادل التهاني والزيارات والمجاملات في المناسبات الدينية المختلفة. اهـ

فهذا هو معنىٰ التقارب ونتيجة التقارب بين الأديان كما يعبرون: أي لا تنكر علىٰ يهودي معتقداته البائرة الباطلة ولا علىٰ نصراني ولا علىٰ بوذي ولا هندوسي.

ومعنىٰ ذلك: أيها المسلم أن ترضىٰ بالشرك والإلحاد والكفر والزندقة وتجعل الأديان المعرفة المعيرة المبدلة، هي دين الإسلام الحق الذي هو من عند

الله سبحانه الحكيم الخبير، والله المستعان.

٢- وحدة الأديان:

وهو اعتقاد صحة الأديان وصواب جميع العبادات وأنها طرق إلىٰ غاية واحدة، وهذا قول زنادقة الصوفية والفرق الباطنية، ومن أبرز الدعاة إلىٰ هذه الفكرة: روجيه جارودي، الذي أعلن إسلامه (١٩٨٢) ثم باستدلال صوفي وطرحوا نوعين من الوحدة:

أحدها: وحدة صغري، وهي الإبراهيمية ويهدف من ورائها إلىٰ توحيد الأديان التي تعلن انتمائها إلىٰ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، أي الإسلام والنصرانية واليهودية.

الثانية: وحدة كبرىٰ، تشمل جميع الأديان والملل الوثنية بل والملحدين بجامع أن تلكم الوثنيات آثار نبوات سابقة، وأن الملحدين يؤمنون بالإنسان وإن للحياة معنىٰ. اهـ مختصرًا من دعوة التقريب بين الديان (١/ ٣٤٠-٣٤٣).

وانظر وفقك الله إلىٰ ما تحمله هذه الفكرة الخبيثة التي تؤدي إلىٰ تخطئة الرسل والأنبياء -عليهم السلام- في أفعالهم وأقوالهم، بل فيها الطعن في البارئ جل وعلا حيث أنه ما قبل هذه الأديان بل وأباح دمائهم وأموالهم وأعراضهم للمسلمين.

في هذه الفكرة نفي أحكام الردة وأحكام النكاح والمواريث وأحكام المعاملات، وغيرها من الأحكام، فلا فرق عندهم بين مسلم موحد وبين مشرك وثني، اللهم سلم. . وراجع هذه الأحكام فيما تقدم.

٣- توحيد الأديان:

ويقصد به مجموعة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعًا، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها وينخرطون في الدين الملفق الجديد.

والفرق بينه وبين الاتجاه السابق: أن المناداة بوحدة الأديان تعني تصويب أوضاع قائمة ضمن أُطرها الخاصة التي تميزها بشرط عدم نفي أو استبعاد الآخرين، وربط تلك الوحدات المفردة بإطار عام يسوغ توجيهات جميعًا.

في حين أن توحيد الأديان يقتضي إنها وحل تلك الأوضاع السابقة ونسختها بوضع جيد وإن كانت عناصره مأخوذة من حطام سابق، ويكون هذا التوحيد علىٰ صورة النقاطية وهذه الصورة تظهر بشكل جلي في الديانة المونية.

والنوع الثاني من توحيد الأديان: ما يسمىٰ التلفيقية حيث يسعىٰ أصحاب هذا النوع إلىٰ الوصول إلىٰ صيغة عقدية موحدة تتجاوز حدود الإبراهيمية التي جاء بها جارودي وغيره لتشمل سائر الوثنيات، ولكن ليس تحت شعار غير ديني كما صنع جارودي أيضًا باسم الإنسانية أو المعنىٰ ويسعون إلىٰ الاتفاق علىٰ ألوهية المسيح، أفاده دعوة التقريب (١/ ٣٤٥).

الحوار بين الأديان:

شاع في العصور الأخيرة استعمال مصطلح الحوار **DIALOGUE** علىٰ كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وطال هذا دعوة التقريب بين الأديان فطغىٰ هذا التعبير علىٰ ما عداه.

وصارت تعرف بحوار الأديان أو الحوار بين الأديان:

Intever eligiouse Dialogue أو Inter Faith

اهـ من دعوة التقارب (١/ ٣٤٧). وقد تقدم معنىٰ الحوار.

قال القاضي في دعوة التقريب (١/ ٣٤٨): ولعل من أسباب شيوع هذا الشعار في دعوة التقريب بين الأديان كونه لا يفصح في حد ذاته عن هدف مبين، أو يوحي بتوجه معين يمكن أن يعد ملزمًا أو مخرجًا للمنادين به من الطرفين.

فالحوار لافته تخفي وراءها أشكالًا متنوعة من المضامين، ووعاء يمكن أن يحوي مواد متباينة؛ فقد يكون حوار يقصد به التقريب وفق الأسس الفكرية والمنهجية التي سبق بيانها، وربما كان غطاء لوحدة الأديان كما في الحوار الإبراهيمي، وقد يتذرع به دعاة توحيد الأديان للتسلل إلىٰ مقاصدهم الخفية كما تصنع المونية ومجموعة كريسلام.

وقال: وعليه لابد من التبين والاستفصال لدعوات الحوار المجملة. اهـ

بمعنىٰ أنهم إذا أرادوا بالحوار إظهار الإسلام وبيان محاسنه ودفع الشبهة التي طرأت علىٰ مخالفيه فنعم، وإن أرادوا بالحور التقارب والتوحد فشتان كما قيل:

ابتغي إصلاح سلمىٰ بجهدي وهي تسعىٰ جهدها في فسادي

وقبل ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤١-٤٤].

تنبيه: العناوين التي اتخذها المجتمعون في هذا الصدد في العقود الأربعة نرتبها حسب كثرة ورودها في مسرد المؤتمرات (الحوار ٣٢ مرة)، (السلام ١٨ مرة)، (التعايش ١٦ مرة)، (التعاون ١٤مرة)، (التفاهم ٧ مرات)، الانسجام خمس مرات)، (التعددية ٥ مرات)، (الاشتراك ومشتقاته ٤ مرات)، (التسامح ٣ مرات)، (الانفتاح، التباحث، التعارف، الصداقة مرتين لكل منهما، أفاده صاحب دعوة التقريب (١/ ٣٣٦).

ومع ذلك هذا الحوار الذي ينادون به حتىٰ لا تنقلب الأفكار ويتغير المسار لدىٰ كثير ممن ليس عندهم بعد الأنظار هو ما صرح به محمد مهدي شمس الدين، وهو -بظلامه أولىٰ- لأنه رافضي أولًا، ومن دعاة الأفكار المنحرفة ثانيًا.

قال واصفًا مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي: يقوم بصورة أساسية علىٰ أن يبحث قادة الفكر والروح في كلا الدينين عن المساحات المشتركة بينهما في قضايا الإنسان والمجتمع والحضارة، فإذا اكتشفت هذه المساحات المشتركة يتوجه الدينان معًا نحو العالم في عملية فتح روحي للحضارة الحديثة وإنسانها.

ثم يجمل المساحات المشتركة في ثمان نقاط: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان ببعثة الأنبياء إجمالًا، الإيمان بالبعد الروحي للإنسان، الإيمان بحاجة الإنسان إلىٰ العبادة، الإيمان بكرامة الإنسان، الإيمان بأخلاق الإنسان، الإيمان بالأسرة مع التأكيد البالغ علىٰ الابتعاد عن دائرة حوار اللاهوت وعلم الكلام -أي الحوار العقدي-. اهـ من (المجمع الفايتكاني الثاني دساتير قرارات بيانات) (١٨-١٩)، نقلًا عن دعوة التقريب (١/ ٣٣٨).

فهاهم قد صرحوا بطريقة حوارهم، فهل ترىٰ في هذه الدعوة الدعوة إلىٰ

دين الإسلام الحق، أم هو السعي الحثيث لنصر دين النصارىٰ المحرف وإظهاره في صورة أخاء مع دين المسلمين.

وأيضًا في قوله: الإيمان ببعثة الأنبياء إجمالًا، اعتذار للنصارىٰ بعدم إيمانهم بدعوة النبي ﷺ الشاملة لقوله ﷺ: «**بعثت إلىٰ الخلق كافة**»، وقد تقدم الكلام علىٰ هذا مع أنه يجب أن يُدعوا إلىٰ الإيمان بنبوته ورسالته العامة الشاملة وأن دينه ناسخ للأديان الماضية.

وفي هذا الحوار أيضًا الرضا بعقائدهم اللاهوتية المحرفة سواء عقيدة الصلب أو النبوة والأبوة أو الاتحاد والحلول إلىٰ غير ذلك مما بيناه في هذه الكتاب تحت عقائد النصارىٰ.

فأي حوار هذا وأي دعوة هذه إلا الدعوة إلىٰ تقويض الدين الحق وإلا فقد تنازل هؤلاء المحاورون عن أهم أسس الدين، وهو توحيد رب العالمين، فنسأل الله السلامة.

وبنفس ما صرح به ظلام الدين هذا صرح القرضاوي حيث قال في كتاب الإسلام والغرب (١٦): نحن معًا نؤمن بالله ولو إيمانًا إجمالًا...

وذكر نحو ما تقدم، ثم قال: من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب، إذا هذا الذي يريده من يدندن حول هذه الأفكار ويقول: الإيمان بالله إجمالًا، فرارًا من إنكاره المعتقدات الباطلة التي يعتقدها النصارىٰ.

الفصل الخامس: الشبهات التي يستدل بها أصحاب هذه الدعوة الكاسدة التي هي للحق محايدة، وهذه الشبه هي التي يستدل بها اليهود والنصارى وبعض العصريين المتأثرين بهذه الأفكار وبيان أن الشبهات يبتلي الله بها من علم زيغ قلبه

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

وقال تعالىٰ محذرًا المؤمنين من التشبه بمن قبلهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣].

وقال تعالىٰ مبينًا أنه يبتلي بالشبه ومرض القلب من علم سوء سريرته وخبث طويته.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فهذه الطرق المذكورة في هذه الآيات البينات هي أوصاف للزائغين عن دين الإسلام الحق والتائهين في مهاوي الشبه، وتراهم أصنافًا عددًا وطرائق قددًا يحلون ما حرم الله ويحرفون ما أحكم الله ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة.

وقد قال رسول الله ﷺ محذرًا من هذه الأصناف كما عند الشيخين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآيات: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، قال: **«فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فأحذروهم»**.

قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره (١/ ٥٢٨): قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

زَيۡغٞ﴾ هذه الآية تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق.

قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ مذهبهم الفاسد. اهـ

والمحكم في هذا الباب أن الإسلام هو الدين الحق الدين الذي لا يرضىٰ الله دينًا سواه ولن يقبل غيره بحال، وأن اليهود والنصارىٰ كفار كفر ملة لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلًا وبأنهم شر البرية، وبأن في النار جزمًا لما تقدم من الآيات.

ولحديث أبي هريرة عند مسلم: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**».

ثم يعمد زنادقة العصر من أمثال: الترابي قاتله الله، أو جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والقرضاوي، وغيرهم ممن سلك سبيل المغضوب عليهم والضالين من التحريف والتغيير والتبدل والإيمان ببعض والكفر ببعض يلتمسون شبهًا تحسن باطلهم وتغطي عوارهم وتذكي نارهم.

وتجد مع هذا قومًا جهالًا أغمارًا أتباع كل ناعق يأخذون بطريقهم ويقتدون بسيرهم، فالله المسؤول أن يقطع دابر المجرمين.

وإليك بعض هذه الشبه التي هي أوهىٰ من خيط العنكبوت، لكن آه ثم آه ثم آه من غربة الدين وذلة المسلمين والجهل السحيق والسبات العميق الذي تقمصت به الأمة حتىٰ تصدر فيها كل مهوس وملبس إلا من رحم الله.

وهذا مصداق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا**

بغير علم فضلوا وأضلوا». متفق عليه وفي رواية للبخاري: «**فأفتوا برأيهم**».

وحديث أنس بن مالك عند أحمد أن «**بين يدي الدجال أيام يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويخون فيها الأمين ويؤمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة**».

قالوا: وما الرويبضة؟

قال: «**السفيه يتكلم في العامة**».

والسبيل للخلاص من هذا الواقع هو ما ذكره الله في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ﴾ الآية.

الشبهة الأولىٰ:

التقريب بين الأديان وسيلة لتحقيق التعارف المذكور في قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

قال السيد متولي الدرش في موضوع الحوار الإسلامي المسيحي ووجهة نظر إسلامية كما في مجلة البحوث الإسلامية العدد الخامس (٢٤٦)، بعد ذكره للحوار والسعي من أجل الرفاهة والإخاء الإنساني وهما الأساس الضروري لبقاء النوع الإنساني بقاء قائمًا علىٰ المودة والإخاء والتعارف الذي نادت به رسالات السماء ونادىٰ به الإسلام من أول لحظة أشرقت فيها شمس النبوة الإسلامية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

قال: وهكذا يضع الإسلام المعيار الإنساني العام القائم علىٰ أخوة الخلق ووحدة الرب دون تفريق بين دين أو جنس.

قلت: وهذا والله قول باطل تمجه العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولو تأمل هذا المخذول هداه الله ﷻ آخر الآية لعرف أن الكرامة والعزة والشرف والرفعة والأحقية هي للأتقياء الذين رضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا.

وإليك تفسير أهل العلم الربانيين لهذه الآية:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يقول تعالىٰ مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبًا، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك.

وقيل: المراد بالشعوب بطون العَجَم، وبالقبائل بطون العرب، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل.

وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب: الإنباه لأبي عمر بن عبد البر، ومن كتاب القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم.

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلىٰ آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالىٰ بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبها علىٰ تساويهم في البشرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌّ يرجع إلىٰ قبيلته.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح القدير (٥/ ٩٠): والفائدة في التعارف أن

ينتسب كل واحد منهم إلىٰ نسبة ولا يعتري إلىٰ غيره.

والمقصود من هذا: أن الله خلقهم لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوىٰ أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب وهذه القبيلة أشرف من هذه القبيلة وهذا البطن أشرف من هذا البطن، ثم علل سبحانه وما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. اهـ

هذا هو معنىٰ التعارف عند المسلمين والمستقيمين.

بينما ذهب العقلانيون والعصرانيون إلىٰ أن التعارف هو الاعتراف بالآخرين، ويقصدون بهم اليهود والنصارىٰ.

يقول الدكتور موسىٰ الكيلاني بعد الاستدلال بالآية السابقة: فالمعرفة هي محور الحوار والاعتراف المتبادل هو ركنه وأساسه. اهـ نقلًا عن دعوات التقريب بين الأديان (٤/ ١٥١٥).

حتىٰ صرح المخذول كامل الشريف في كلمة له في اللقاء الرابع (١٤٠٨هـ -١٩٨٧م) حيث قال: إن الحوار من وجهة النظر الإسلامية ينطلق من الاعتراف بالأديان السماوية السابقة وكتبها المقدسة ورسلها الكرام ويدعو الطرف الآخر لمثل هذا الاعتراف. نقلًا عن «دعوة التقريب» (٤/ ١٥١٦).

أقول: هذا قول مخالف للأدلة والنصوص وإجماع المسلمين، بل الواجب علينا أن نعترف بأن دينهم مغيير مبدل محرف منسوخ لا يجوز التعبد به ولا التقرب إلىٰ الله به بحال من الأحوال، ومن اجوازه بعد بعثت النبي ﷺ فهو كافر بالله العظيم يستتاب وإلا قتل ردة وفي الآخرة معهم دركات الجحيم.

وأما كتبهم المقدسة فالتوارة والإنجيل نؤمن بها إجمالًا لا تفصيلًا، نؤمن

بأن الله أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ﷺ وأنزل الإنجيل علىٰ عيسىٰ ﷺ، وأما اليوم فلا يصدقون في هذه الكتب لأنهم قد حرفوها وبدلوها.

وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾» الآية. أخرجه البخاري.

قال الحافظ في الشرح: قوله: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملًا لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه. اهـ

وأما الإيمان برسلهم الكرام فنحن المسلمون والحمد لله علىٰ ذلك، ولا والله ينفعهم اعترافهم بهذا الدين إلا بالدخول فيه وعبادة الله ﷻ بما شرعه فيه والإيمان بمحمد ﷺ، وأنه رسول الله إلىٰ الخلق كافة وأنه خاتم النبيين وأن هذا الدين ناسخ لما قبله من الأديان إلىٰ غير ذلك مما تقدم بيانه والحمد لله.

الشبهة الثانية:

قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ووجه الشبهة ما قاله المخذول يوسف القرضاوي في كتابه نحن والغرب (١٥): نرىٰ القرآن يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف، ولذلك قال في حوار أهل الكتاب وذكر الآية.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٣/ ٢٥٩): قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من إيضاح الحق بالرفق واللين.

وعم مجاهد ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ قال: أعرض عن أذاهم.

وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ في قوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجادلهم بالسيف حتىٰ يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن: قوله لموسىٰ وهارون في شأن فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

ومن ذلك القول اللين: قول موسىٰ له: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات:١٨-١٩].

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أعلم بمن ضل عن سبيله. أي زاغ عن طريق الصواب والحق، إلىٰ طريق الكفر والضلال.

وأوضح هذا المعنىٰ في مواضع أخر كقوله في أول القلم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم:٧-٨].

وقوله في الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام:١١٧].

وقوله في النجم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [النجم:٣٠] والآيات لمثل ذلك كثيرة جدًا.

والظاهر أن صيغة التفضيل التي هي ﴿أَعْلَمُ﴾ في هذه الآيات يراد بها مطلق الوصف لا التفضيل؛ لأن الله لا يشاركه أحد في علم ما يصير إليه من شقاوة وسعادة. فهي كقول الشنفري:

وإن مدت الأيدي إلىٰ الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

أي: لم أكن بعجلهم.

وقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنىٰ لنا ... بيتًا دعائمه أعز وأطول

أي: عزيزة طويلة.

وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٤٤٤): ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: إلاّ بالخصلة التي هي أحسن، وذلك علىٰ سبيل الدعاء لهم إلىٰ الله ﷻ، والتنبيه لهم علىٰ حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلىٰ الإسلام، لا علىٰ طريق الإغلاظ والمخاشنة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدّبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم، هكذا فسر الآية أكثر المفسرين بأن المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ.

وقيل: معنىٰ الآية: لا تجادلوا من آمن بمحمد من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يعني: بالموافقة فيما حدّثوكم به من أخبار أهل الكتاب، ويكون المراد بالذين ظلموا علىٰ هذا القول هم: الباقون علىٰ كفرهم.

وقيل: هي الآية منسوخة بآيات القتال، وبذلك قال قتادة، ومقاتل.

قال النحاس: من قال: هذه منسوخة احتج بأن الآية مكية، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية ولا غير ذلك.

قال سعيد بن جبير ومجاهد: إن المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين فجدالهم بالسيف حتىٰ يسلموا أو يعطوا الجزية.

﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من التوراة والإنجيل، أي آمنا بأنهما منزلان من عند الله، وأنهما شريعة ثابتة إلىٰ قيام الشريعة الإسلامية والبعثة المحمدية، ولا يدخل في ذلك ما حرّفوه وبدّلوه ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ولا ضد ولا ند.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أي ونحن معاشر أمة محمد مطيعون له خاصة، لم نقل: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، ولا اتخذنا أحبارنا ورهباننا أربابًا من دون الله.

ويحتمل أن يراد: ونحن جميعًا منقادون له، ولا يقدح في هذا الوجه كون انقياد المسلمين أتمّ من انقياد أهل الكتاب وطاعتهم أبلغ من طاعاتهم. اهـ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.

وقال آخرون: بل هي باقية أو محكمة لِمَن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالىٰ لموسىٰ وهارون حين بعثهما إلىٰ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ

يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: حادوا عن وجه الحق، وعَمُوا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلىٰ الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

قال جابر: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف.

قال مجاهد: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يعني: أهل الحرب، وَمَنِ امتنع منهم عن أداء الجزية.

وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا نُقدم علىٰ تكذيبه لأنه قد يكون حقًّا، ولا علىٰ تصديقه فلعله أن يكون باطلًا، ولكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقًا علىٰ شرط وهو أن يكون منزلًا لا مبدلًا ولا مؤولًا. اهـ

فهذا كلام أهل العلم علىٰ الآية وزد أيضًا أن الآية فيها الدعوة لهم إلىٰ الإيمان بهذه الشريعة وإلىٰ الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة. اهـ

بل في آخر الآية بيان أن جدالهم بالتي هي أحسن للوصول إلىٰ حقيقة واحدة وغاية سامية وهي الإيمان بكل ما أنزل الله ﷻ، وبأنه إله واحد لا شريك له ويجب أن نسلم له جميعًا وننقاد لتشريعه، ولكن من دليل صحيح يستدل به

مبطل إلا وفي الدليل رد عليه من حيث لا يشعر.

الشبهة الثالثة:

استدلالهم بقوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥].

ووجه الشبهة: أن من أهل الكتاب من أثنىٰ عليهم القرآن وذكر خصالهم الحميدة ،فليس لنا أن نعاملهم جميعًا علىٰ حد سواء، وأعلم أن هذا المدح الحسن والوصف الجميل هو لمن آمن منهم

قال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ في روح المعاني (٣/ ٥٣): والمراد من هذه الأمة من تقدم في سبب النزول وجعل أهل الكتاب من الأمة المذكورة نحو النجاشي وأصحابه.

قال العلامة يحيىٰ الحجوري -حفظه الله-: وعلىٰ كل حال فلا يجوز الاستدلال بالآية المذكورة علىٰ أن من الكفار سواء اليهود أو النصارىٰ أمة قائمة.

فإن سياق الآية يدل علىٰ مدح المسلمين المؤمنين التالين آيات الله الساجدين آناء الليل الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمسارعين في الخيرات، فهذه الأفعال من قام بها صار من ذروة كعبد الله بن سلام ومثله من أهل الخير والهدىٰ.

أما أن يستدل بهذه الآية بما تدل عليه من معاني أو سياق الآية عن سياقها

لقصد الثناء على شر البرية فهذا من أشد البتر وأفجر الفجور وتحريف الكلم عن مواضعه كما صنع بنو إسرائيل.

الشبهة الرابعة:

ويستدلون بقوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

ووجه الدلالة: أنهم جعلوا من الآية إقرارًا لليهود والنصارىٰ علىٰ ما هم فيه من الشرك والإلحاد والكفر والعناد عياذًا بالله.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ هذه الآية تدل بظاهرها علىٰ أنه لا يكره أحد علىٰ الدخول في الدين، ونظيرها قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾.

وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل علىٰ إكراه الكفار علىٰ الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالىٰ: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ أي الشرك.

ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله**» الحديث.

والجواب عن هذا بأمرين:

الأول -وهو الأصح-: أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب، والمعنىٰ أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون علىٰ الدين مطلقًا، وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

المقلاة: التي لا يعيش لها ولد وفي المثل: أحر من دمع المقلاة.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ قال: أمر رسول الله ﷺ أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان، فلم يقبل منهم إلَّا لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبلوا منهم الجزية فقال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضًا في قوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، قال: «وذلك لما دخل الناس في الإسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية».

فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية، ومن في حكمهم ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن التخصيص فيها عرف بنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب.

ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح: «**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**».

الأمر الثاني: أنها منسوخة بآيات القتال كقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية ومعلوم أن من أول ما نزل بالمدينة وسورة براءة من آخر ما نزل بها.

والقول بالنسخ مروي عن ابن مسعود وزيد بن أسلم.

وعلىٰ كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ الآية والمتأخر أولىٰ من المتقدم والعلم عند الله تعالىٰ. اهـ

فعلىٰ هذا فالآية ليس فيها إقرار للدين المحرف المغير المبدل دين المغضوب عليهم والضالين، وإنما هي منسوخة كما هو الأرجح من أقوال أهل العلم في حق الكفار الوثنيين وفي حق اليهود والنصارىٰ إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف.

كما في حديث بريدة عند الإمام مسلم (١٧٣٧) كان الرسول ﷺ إذا أمر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوىٰ الله ومن معه من المسلمين... الحديث بطوله.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

قال الشوكاني في فتح القدير(٢/ ٥٠١): قوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية فيه الأمر بقتال من جمع بين هذه الأوصاف.

الشبهة الخامسة:

ويستدلون بقوله تعالىٰ: ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ أي علىٰ عدم دعوة اليهود والنصارىٰ إلىٰ الدين الحق وهو الإسلام.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٩ / ٣٢٠): هو نظير ما تقدم في سورة يونس: ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١].

وكقوله: ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [البقرة:١٣٩].

وليس في هذا تقريرهم علىٰ دينهم الذي هم عليه، ولكن من قبيل التهديد والوعيد كقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف:٢٩].

وفي هذه السورة قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١] وصف يكفي بأن عبادتهم وديانتهم كفر.

وقد قال لهم الحق: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢]، لأنها عبادة باطلة. عباد الكفار، وبعد ذلك إن أبيتم إلا هي، فلكم دينكم ولي دين.

الشبهة السادسة:

ويستدلون بقوله: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

قال الشنقيطي في «دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ يدل بظاهره علىٰ أن الكفار المخاطبين بها لا يعبدون الله أبدًا، مع أنه دلّت آيات أخر علىٰ أن منهم من يؤمن بالله تعالىٰ كقوله: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ الآية.

والجواب من وجهين:

الأول: أنه خطاب لجنس الكفار وإن أسلموا فيما بعد فهو خطاب لهم ما داموا كفارا، فإذا أسلموا لم يتناولهم ذلك لأنهم حينئذٍ مؤمنون لا كافرون، وإن كانوا منافقين فهم كافرون في الباطن فيتناولهم الخطاب، واختار هذا الوجه أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١/ ٢٤٧٠): وأما المسألة الحادية عشرة وهي أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه هل هو إقرار فيكون منسوخًا، أو مخصوصًا، أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة وقد غلط في السورة خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم علىٰ دينهم وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون علىٰ دينهم وهم أهل الكتاب وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ.

وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها؛ فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمىٰ سورة الإخلاص كما تقدم ومنشأ الغلط ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم علىٰ دينهم ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف فقالوا منسوخ.

وقالت طائفة زال عن بعض الكفار وهم من لا كتاب لهم فقالوا هذا مخصوص ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريرًا لهم أو إقرارا علىٰ دينهم أبدًا، بل لم يزل رسول الله في أول الأمر وأشده عليه وعلىٰ أصحابه أشد علىٰ الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه والتهديد والوعيد كل وقت وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه فأبىٰ إلا مضيًّا علىٰ الإنكار عليهم وعيب دينهم فكيف يقال إن الآية اقتضت تقريره لهم معاذ الله من هذا الزعم الباطل.

وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم، وأن ما هم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشرككم فيه ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق.

فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم فأين الإقرار حتىٰ يدعي النسخ أو التخصيص أفترىٰ إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال لكم دينكم ولي دين، بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلىٰ أن يظهر الله منهم عباده وبلاده . اهـ

الشبهة السابعة:

قال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ووجه الشبهة: قوله:﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾.

قال القرضاوي في كتابه «نحن والغرب» (٢٣): في قوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [البقرة:١٠٩].

قال: ومعنىٰ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي حتىٰ يشرح صدورهم للإسلام أو يروا انتصار الإسلام وعلو كلمته أمام أعينهم. اهـ

وهذا التفسير منه نابع من مكره وكيده للإسلام وأهله ودفاعه عن اليهود والنصارىٰ واستماتته في ذلك، وإلا فإن سلفنا الصالحين ومن سار علىٰ سيرهم من اللاحقين يفسرون هذه الآية بغير هذا المعنىٰ الباطل والبائر.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٩-٤٩٠): ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فيحدث لكم من أمره فيهم ما يشاء ويقضي فيهم بما يريد فقضىٰ فيهم بعد ذلك تعالىٰ ذكره أن أمره فقال لبنيه: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[التوبة:٢٩].

فنسخ العفو ﷻ عنهم والصفح بفرض قتالهم علىٰ المؤمنين حتىٰ تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وصغار.

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٧٠-٧١): هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية [التوبة:٢٩] عن ابن عباس.

وقيل الناسخ لها: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال أبو عبيد: كل آية فيها ترك للقتال، فهي مكية منسوخة بالقتال.

قال ابن عطية: وحكمه بأن هذه الآية مكية ضعيف، لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة.

قلت: وهو الصحيح، روىٰ البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ركب علىٰ حمار عليه قطيفة فدكية وأسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتىٰ مرا بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول - وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي-، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة.

فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه وقال: لا

تغيروا علينا! فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلىٰ الله تعالىٰ وقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلىٰ رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

قال عبد الله بن رواحة: بلىٰ يا رسول الله، فاغشنا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستتب المشركون والمسلمون واليهود حتىٰ كادوا يتثاورون، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتىٰ سكنوا.

ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتىٰ دخل علىٰ سعد بن عبادة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا سعد ألم تسمع إلىٰ ما قال أبو حباب** -يريد عبد الله بن أبي- **قال كذا وكذا**» فقال: أي رسول الله، بأبي أنت وأمي، اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب بالحق لقد جاءك الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة علىٰ أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ﷻ، ويصبرون علىٰ الأذىٰ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦].

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٠٩].

فكان رسول الله ﷺ يتناول في العفو عنهم ما أمره الله به حتىٰ أذن له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل به من قتل من صناديد الكفار وسادات قريش قال عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام فأسلموا.

قلت: في الظاهر وإلا فهم منافقون اعتقاديون.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني قتل قريظة وجلاء النضير. اهـ

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ فنسخ هذه عنوة عن المشركين. اهـ

وقال الشوكاني في «فتح القدير» (١/ ٢٥٣): قوله: حتىٰ يأتي الله بأمره: هو غاية ما أمره الله به من العفو والصفح أي افعلوا ذلك إلىٰ أن يأتي إليكم الأمر من الله ﷻ في شأنهم بما يختاره ويشاوه، وما قد قضىٰ به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم وإجلاء من أجلي وضرب الجزية علىٰ من ضرب عليه وإسلام من أسلم. اهـ

وقال ابن عثيمين في تفسير (١/ ٣٥٨): قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي يأمر سوىٰ ذلك وهو الأمر بالقتال.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأمرهم بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح حتىٰ يأتي الله بأمره، ثم بعد ذلك أتىٰ الله بأمره إياهم بالجهاد فشفىٰ الله أنفس المؤمنين منهم فقتلوا من قتلوا واسترقوا وأجلوا من أجلوا. اهـ

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (ج ١ / ص ٦١): قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هذه الآية في أهل الكتاب كما هو واضح من السياق، والأمر في قوله: ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال بعض العلماء: هو واحد الأوامر. وقال بعضهم: هو واحد الأمور.

فعلىٰ القول الأول بأنه الأمر الذي هو ضد النهي، فإن الأمر المذكور هو

المصرَّح به في قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وعلىٰ القول بأنه واحد الأمور، فهو ما صرح الله به في الآيات الدالة علىٰ ما أوقع باليهود من القتل والتشريد كقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر: ٢-٣] الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات، والآية غير منسوخة علىٰ التحقيق.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر:٢].

أما معنىٰ الآية، فإن سياق القرآن يدل علىٰ أن مثل هذا السياق ليس من باب الصفات كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴾ [النحل:٢٦]، أي هدمه واقتلعه من قواعده.

ونظيره: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ [يونس:٢٤].

وقوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ﴾ [الرعد:٤١].

وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ ﴾ [الأنبياء:٤٤].

فيكون قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾ أخذهم ودهاهم وباغتهم من حيث لم يحتسبوا من قتل كعب بن الأشرف وحصارهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

فعلىٰ القول الأول بأنه الأمر الذي هو ضد النهي، فإن الأمر المذكور هو المصرح به في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وعلىٰ القول بأن واحد الأمور، فهو ما صرح الله به في الآيات الدالة علىٰ ما أوقع باليهود من القتل والتشريد كقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ﴾ [الحشر:٢-٣] الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات، والآية غير منسوخة علىٰ التحقيق. اهـ

فقد نص رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن آية: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ مرتبطة بآية: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ هذه كما قدمنا: أن هذا هو الأمر الموعود به، وقد أتاهم به من حيث لم يحتسبوا، ويشهد لهذا كله القراءة الثانية فآتاهم بالمد: بمعنىٰ أعطاهم وأنزل بهم، ويكون الفعل متعديًا والمفعول محذوف دل عليه قوله ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ أي أنزل بهم عقوبة وذلة ومهانة جاءتهم من حيث لم يحتسبوا والعلم عند الله تعالىٰ. اهـ

فهذه تفاسير أئمة الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ المأخوذة من جمع الأدلة، فيا ليت شعري من أين جاء هذا الرويبض الزنديق بهذا التفسير الذي فيه الكف عن اليهود والنصارىٰ في جميع الأوقات مع ما يلزم من تفسيره هذه من تخطئة السلف بما فيهم رسول الله ﷺ في حربهم وإجلائهم وقتلهم وتخطئة لكل علماء الدين من بعده ﷺ الذين فسروا الآية بما تقدمت الإشارة إليه، لكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكنا في الزمن السالف لا نحتاج إلىٰ سوق الأدلة في أثبات كفر اليهود والنصارىٰ حتىٰ جاء أفراخ اليهود والنصارىٰ مدافعين ومنافحين وملتمسين للشبه والأقوال الشاذة التي يحصل من سماعها الغثيان واللمم والأحزان، فيا حرقتاه علىٰ غربة الزمان وضياع الدين وقلة الأمانة وتكلم الرويبضة وتسلط الكافرين وقلة النصحاء العاملين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشبهة الثامنة:

ويستدلون بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

ووجه الشبهة: أن الذين يُعادون ولا يُتولون هم المحاربون من أهل الكتاب فقط كما نص علىٰ هذا القول البائر الخاسر القرضاوي وغيره من الضلال الإخوان المسلمين.

فقال في كتاب غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (٦٦): فقسم المخالفين إلىٰ فريقين فريق للمسلمين لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم فهؤلاء لهم حق البر والإقساط وإليهم، وفريق اتخذوا موقف العداوة والمحاداة للمسلمين بالقتال أو إخراج من الديار أو المظاهرة والمعاونة علىٰ ذلك فهؤلاء تحرم موالاتهم مثل مشركي مكة الذين ذاق المسلمون علىٰ أيديهم الوبلات، ومفهوم هذا أن الفريق الآخر لا تحرم مولاته. اهـ

فانظر إلىٰ هذا التلميع والدعوة إلىٰ موالاة أعداء الله ﷻ من اليهود والنصارىٰ ولاغرو فالرجل مدافع ومحامي عنهم والله المستعان.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» (٨/ ٢٢٧) في بيان معنىٰ هذه الآية: اعتبر بعض المفسرين الآية الأولىٰ رخصة من الآية في أول السورة، ولكن في هاتين الآيتين صنفان من الأعداء وقسمان من المعاملة.

الصنف الأول: عدو لم يقاتلوا المسلمين في دينهم ولم يخرجوهم من ديارهم؛ فهؤلاء يقول تعالىٰ في حقهم ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾.

والصنف الثاني: قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا علىٰ إخراجهم، وهؤلاء يقول تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾.

إذا فهما قسمان مختلفان وحكمان متغايران، وإن كان القسمان لم يخرجا عن عموم عدوي وعدوكم المتقدم في أول السورة، وقد اعتبر بعض المفسرين الآية الأولىٰ رخصة بعد النهي المتقدم، ثم إنها نسخت بآية السيف أو غيرها علىٰ ما سيأتي.

واعتبر الآية الثانية تأكيدًا للنهي الأول، وناقش بعض المفسرين دعوىٰ النسخ في الأولىٰ، واختلفوا فيمن نزلت ومن المقصود منها، والوقع أن الآيتين تقسيم لعموم العدو المتقدم في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، مع بيان كل قسم وحكمه، كما تدل له قرائن في الآية الأولىٰ، وقرائن في هاتين الآيتين علىٰ ما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

أما التقسيم فقسمان: قسم مسالم لم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم، فلم ينه الله المسلمين عن برهم والإقساط إليهم، وقسم غير مسالم يقاتل المسلمين ويخرجهم من ديارهم ويظاهر علىٰ إخراجهم، فنهىٰ الله المسلمين عن موالاتهم، وفرق بين الإذن بالبر والقسط، وبين النهي عن الموالاة والمودة، ويشهد لهذا التقسيم ما في الآية الأولىٰ من قرائن، وهي عموم الوصف بالكفر، وخصو الوصف بإخراج الرسول وإياكم.

ومعلوم أن إخراج الرسول ﷺ والمسلمين من ديارهم كان نتيجة لقتالهم وإيذائهم، فهذا السم هو المعني بالنهي عن موالته لموقفه المعادي لأن المعاداة تنافي الموالاة.

ولذا عقب عليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فأي ظلم بعد موالاة الفرد لأعداء أمته وأعداء الله ورسوله!

أما القسم العام وهم الذين كفروا بما جاءهم من الحق لكنهم لم يعادوا المسلمين في دينهم لا بقتال ولا بإخراج ولا بمعاونة غيرهم عليهم ولا ظاهروا علىٰ إخراجهم، فهؤلاء من جانب ليسوا محلًّا للموالاة لكفرهم، وليس منهم ما يمنع برهم والإقساط إليهم.

وعلىٰ هذا فإن الآية الثانية ليس فيها جديد بحث بعد البحث المتقدم في أول السورة، وبقي البحث في الآية الأولىٰ، ومن جانبين: الأول: بيان من المعنىٰ بها، والثاني: بيان حكمها، وهل هي محكمة أم نسخت.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في الأمرين، ولأهمية هذا المبحث وحاجة الأمة إليه في كل وقت وأشد ما تكون في هذا العصر لقوة تشابك مصالح العالم

وعمق تداخلها، وترابط بعضه ببعض في جميع المجالات، وعدم انفكاك دولة عن أخرىٰ مما يزيد من وجوب الاهتمام بهذا الموضوع.

الشبهة التاسعة:

ويستدلون بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٥]. وهذه الآية يستدل بها النصارىٰ أنفسهم وقد تقدم القول بعد جواز استدلالهم بالقرآن لعدم إيمانهم به.

ووجه الدلالة عندهم: أن أتباع عيسىٰ -يزعمون أنفسهم- لهم الظهور لصحة دينهم وهذا لقلة فهمهم وسوء فعلهم.

قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٢/ ١٧٨): فصل وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٥].

فهذا حق كما أخبر الله به؛ فمن اتبع المسيح عليه السلام جعله الله فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة وكان الذين اتبعوه علىٰ دينه الذي لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضًا فالنصارىٰ فوق اليهود الذين كفروا به إلىٰ يوم القيامة.

وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به، بل لما بدل النصارىٰ دينه وبعث الله محمدًا بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمدًا وأمته فوق النصارىٰ إلىٰ يوم القيامة.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا إنه ليس بيني وبينه نبي**».

وقال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ:١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥١-٥٣].

فكل من كان أتم إيمانًا بالله ورسله كان أحق بنصر الله تعالىٰ فإن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وقال في كتابه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

واليهود كذبوا المسيح ومحمدًا كما قال الله فيهم: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ فالغضب الأول بتكذيبهم المسيح والثاني بتكذيبهم لمحمد.

والنصارىٰ لم يكذبوا المسيح فكانوا منصورين علىٰ اليهود، والمسلمون منصورون علىٰ اليهود والنصارىٰ، فإنهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحدًا من رسله، بل اتبعوا ما قال الله لهم حيث قال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ولما كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر الرسل وأتباعهم قال النبي في الحديث الصحيح: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة**».

وقال أيضًا: «**سألت ربي ألا يسلط علىٰ أمتي عدوًّا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها..**» الحديث فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم.

وللإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة بعنوان وبل الغمامة في تفسير وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلىٰ يوم القيامة (٣/ ١١٢١) من الفتح الرباني خلص فيها بقوله:

فالحاصل: أن المجعلوين فوق الذين كفروا هم أتباع عيسىٰ قبل النبوة المحمدية، وهم النصارىٰ والحواريون، وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون النصارىٰ والحواريون الأولون هم الأتباع حقيقة وغيرهم هم الأتباع في الصورة.

وقد جعل الله الجميع فوق الذين كفروا من اليهود وسائر الطوائف الكفرية، وقد كان الواقع هكذا؛ فإن الملة النصرانية قبل البعثة المحمدية كانت قاهرة لجميع الطوائف الكفرية ظاهرة عليها غالبة لها، وبعد البعثة المحمدية صارت جميع الطوائف الكفرية نهًا بين الملة الإسلامية والملة النصرانية ما بين قتيل وأسير ومسلم للجزية.

وهذا يعرفه من كان له إلمام بأخبار العالم، ولكن الله تعالىٰ قد جعل الملة الإسلامية قاهرة للملة النصرانية مستظهرة عليها وفاء بوعده في كتابه العزيز كما في الآيات المشتملة علىٰ الأخبار بأن جنده هم الغالبون وحزبه هم المنصورون.

وقد أخبر الصادق المصدوق بظهور أمته علىٰ جميع الأمم وقهر ملته لجميع الملل، وبالجملة أنا إذا جردنا النظر إلىٰ الملة الإسلامية والملة النصرانية فقد ثبت بالكتاب والسنة ما يدل علىٰ استظهار الملة الإسلامية علىٰ الملة النصرانية.

وإذا نظرنا إلىٰ جميع الملل فالملة الإسلامية والملة النصرانية هما فوق سائر الملل الكفرية ولهذه الآية التي ورد السؤال عنها. اهـ

الشبهة العاشرة:

أن التقريب والحوار وسيلة للدعوة إلىٰ الله:

وهذه شبهة حسن الترابي الكافر قاتله الله حيث قال: إنه -أي الحوار- ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة وحمل أمانة الدعوة. نقلًا عن «دعوة التقريب» (٤/ ١٥١٨).

قلت: وهذا الكلام من هذا الزنديق مغالطة ومراوغة وإلا متىٰ كان الاعتراف بدين اليهود والنصارىٰ أنه دين حق دعوة إلا أن كان دعوة إلىٰ الباطل والكفر منهم؟

وأما دعوة إلىٰ الله فلا والله وبالله وتالله إلا أن يسلك ما قدمنا في طريق الحوار وهو الصدع بالحق والدعوة إلىٰ عبادة الله وحده والإيمان بنبوة محمد ﷺ

ونسخه بجميع الأديان.

قال الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي في «دعوة التقريب بين الأديان» (٤/ ١٥٢٠) حاشية: رسم الدكتور حسن الترابي ما أسماه استراتيجية منظومة شاملة للحوار مع الغرب أدرج فيه اثنتين وأربعين عنوانًا في قضايا الحوار المقترحة في جميع الشؤون حتىٰ الفنون والألعاب الرياضية ولم تتضمن عنوانًا واحدًا في التوحيد الذي دعت إليه الرسل. اهـ

قلت: لأنه ليس من أهل التوحيد أصلًا حتىٰ يدعوا إليه وما أحوجه إلىٰ السيف إلا أن يتوب من كفرياته.

الشبهة الحادية عشرة:

الحوار والتقارب بين الأديان وسيلة للتعارف بين أتباع الأديان لمواجهة الإلحاد والفساد.

وأي فساد أعظم من الشرك والكفر بالله ﷻ، وأعظم مما يفعله اليهود والنصارىٰ، وأما الإلحاد فهم ملحدون في الآيات الشرعية حيث لم يؤمنوا بها وملحدون في الآيات الكونية حيث أشركوا مع الله غيره.

وإن كانوا يريدون بالفساد الفساد الأخلاقي فهو ناتج عن الفساد العقدي.

وهذه الشبهة الخبيثة انطلقت من يوسف القرضاوي لأنه يحب الكفار يدافع عنهم قال قاتله الله في أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (١٧٥) نقلًا عن «دعوة التقريب» (٤/ ١٥٢١): الوقوف وجه تيار الإلحاد والمادية الذي يعادي كل الرسالات السماوية... وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي. اهـ

الشبهة الثانية عشرة:

التقريب وسيلة لإبراز تسامح الإسلام.

وهذه من المغالطات فسماحة الإسلام هم يعرفونها، كما هو مدون في التاريخ والسير وكذلك حقوق أهل الذمة لكنهم يريدون أن يتوصلوا بهذا إلىٰ المداهنة.

وإلا فأين تسامحهم؟ ما ذنب من ذبحوا وشردوا وقتلوا واغتصبوا في بلاد البوسنة والهرسك؟

ما ذنب الشيشانيين والقوقازيين وغيرهم كثير تفعل بهم أبشع الجرائم وصدق رب العالمين ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾.

الشبهة الثالثة عشرة:

التقريب وسيلة يفرضها الواقع العالمي الجديد:

وهذه شبهة الزنديق حسن الترابي والواقع لماذا لم يفرض إلا علىٰ هؤلاء المناحيس ولم يفرضها والواقع في زمن رسول الله ﷺ علىٰ كل من ذاق طعم الإيمان ورضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا.

فعلينا أن نتمسك بالدين الحق ويكون المفروض ما فرضه الله ﷻ ولماذا لا نستفيد من ننشر الدين الحق بعيدين عما يغضب الله ورسوله من متابعة أهل الكفر والإلحاد، مع أننا لم نر فائدة تذكر أو ترجىٰ من هذه الحوارات، بل المفاسد ظاهرة جلية ملخصها في قوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة:١٠٩].

الشبهة الرابعة عشرة:

فيه دعوة إلىٰ تحاشي النزعات والحروب وصدام الحضارات:

الواجب علىٰ المسلمين الجهاد من أجل إظهار دين الله ﷻ وإزالة الفتنة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

فهذا هو الواجب علىٰ المسلمين في حال قوتهم وقدرتهم أما إذا ضعفوا فلا بأس بالصلح والهدنة مع الكفار لكن مع إظهار عزة الإسلام وأهله وانتظار الفرج.

الشبهة الخامسة عشرة:

التقريب وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف الأمة:

كما أشار إلىٰ ذلك محمد عمارة في كتابه: «الإسلام والوحدة القومية».

وهذه القومية المذكورة حذر منها كتاب الله وسنة رسوله ولم يدع إليها الإسلام أبدًا، وإنما دعا إلىٰ ودة الدين.

قال الله ﷻ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

أما الدعوة إلىٰ تعظيم القومية فهي دعوة اشتراكية بعثية ناصرية دعوة أحزاب كفر من إلحاد لا دعوة أصحاب الدين الحق، ولشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب بعنوان: «تحريم الوحدة مع الشيوعيين».

وهذا الكلام منه غير صواب.

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الكتاب المذكور (٢٩- ٣٠): وأنا أقول: نضر الله امرأ بلغ ما أقوله لأخواني المسلمين: الوحدة مع الشيوعين تعتبر كفرًا، ليبلغ الشاهد الغائب، دليلي من كتاب الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ الآية.

الشبهة السادسة عشرة:

التقريب وسيلة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب.

وهذه من المغالطات وإلا إلىٰ الآن لم نر تحسينًا لأوضاع الأقليات المسلمة نتج عن هذه الحوارات، وإنما رأينا تنازلات من كثير من المسلمين عن دينهم الحق بسبب ما يقوم به علماء السوء أو أفراخ العلمانية والماسونية الذين هم في الواقع عملاء أكثر منهم علماء ومفسدون أكثر منهم مصلحون.

وهم والله أضر علىٰ الإسلام وأهله من المفتين من الجهال الذين قال عنهم رسول الله ﷺ كما في حديث عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِن العِبَادِ وَلَكِن يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَم يُبقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

ولو تحقق ما ذكره لما جاز التقريب لأن الواجب علىٰ المسلم أن يكون

متمسكًا بدينه الحق صلحت حاله أو ساءت ولا يكون حاله كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ الآية.

الشبهة السابعة عشرة:

قول السيد متولي الدرش واستدلاله بقول الله تعالىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ الآية [المائدة:٤٨] تأسيسًا لقواعد أصيلة، وتقريرًا لواقع شاء الله أن يمتحن به عبادة.

فهنالك شرائع شرعها الله هي التي يجب أن تكون المراجع في حياة من أوحي إليهم بها وتقريرًا لواقع اختلاف المناهج ورد ذلك إلىٰ مشيئة الخالق فلا حق لأحد أن يكره الآخر أن يدين بما يدين به: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[يونس:٩٩]، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[البقرة:٢٥٦] إلىٰ آخر كلامه الذي هو مسطر في مجلة البحوث العدد (٥) ص٢٤٧.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾:
قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ﴾ قال: سبيلًا.

وحدثنا أبو سعيد، حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ قال: وسنة.

وكذا روىٰ العَوفِيّ، عن ابن عباس: ﴿شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾: سبيلًا وسنة.

وكذا رُوي عن مجاهد وعكرمة، والحسن البصري، وقتادة، والضحاك،

والسُّدِّي، وأبي إسحاق السبيعي أنهم قالوا في قوله: ﴿شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾ أي: سبيلًا وسنة.

وعن ابن عباس ومجاهد أيضًا وعطاء الخراساني عكسه: ﴿شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾ أي: سنة وسبيلًا، والأول أنسب، فإن الشرعة وهي الشريعة أيضًا، هي ما يبتدأ فيه إلىٰ الشيء ومنه يقال: شرع في كذا أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلىٰ الماء.

أما المنهاج: فهو الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله: ﴿شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد.

كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد**» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الآية [النحل:٣٦].

وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا ثم يحل في الشريعة الأخرىٰ، وبالعكس، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالىٰ في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة: قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ يقول: سبيلًا وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل. اهـ

ثم اعلم أن سبيل الأنبياء وشرائعهم منسوخة بنبوة محمد ﷺ كما تقدم بيانه.

ثم نراهم كثيرًا ما يعبرون بالأخوة الإنسانية وغيرها من التعابير المخالفة للدين الحق والشريعة المطهرة، فالله ﷻ لم يقل جميع الناس أخوة وإنما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «العذب النمير» (٢/ ٢٢٤): وكل أمة كافرة أخت للكافرة كما أن الأمة المؤمنة أخت للمؤمنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. اهـ

وهذا القول منهم مخالف لأدلة الولاء والبراء التي تقدم ذكرها.

ويؤيد ما نقول أيضًا: قول الله ﷻ لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

وهذا منزلقٌ خطير يقع فيه كثير من جهال المسلمين هداهم الله حتى لقد سمعت أحدهم وهو في حوار مع أحد القساوسة من إذاعة أمريكا وهو يقول له اسمع أخي القس كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

الشبهة الثامنة عشرة:

أن الإسلام لا ينهىٰ عن مودة المسلم لغير المسلم بصفة مطلقة:

قال محامي اليهود والنصارىٰ يوسف القرضاوي في كتابه نحن والغرب (١٩): ومن الناس من اتخذ من قوله تعالىٰ في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال: اتخذوا منها دليلًا علىٰ أن الإسلام ينهىٰ عن مودة المسلم لغير المسلم بصفة مطلقة ويؤيدون ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وأود أن أبين أن آية المجادلة لا تنهىٰ عن مودة من كان غير مسلم ولو كان مسالمًا للمسلمين، بل تنهىٰ عن موالاة من حاد الله ورسوله، أي حارب الله ورسوله، وشاق الله ورسوله، فآية من حاد الله ورسوله تعني الأعداء المحاربين. اهـ كلامه.

والمحادة ليست هي المحاربة فقط كما يقول هذا المتهوك.

قال ابن كثير في تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ [التوبة:٦٣]: أي: لم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله ﷻ أن شاقه وحاربه وخالفه وكان في حد والله ورسوله في حد فإن له نار جهنم أي مهانًا معذبًا وذلك الخزي العظيم، أي وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير. اهـ

وقال في تفسير آية المجادلة: أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]. اهـ

ومعلوم أن اليهود والنصارىٰ في حدٍّ والله ورسوله ﷺ في حدٍّ؛ فاليهود والنصارىٰ في جرف هار انهار بهم في نار جهنم، وهم المغضوب عليهم والضالون والمسخوط عليهم، وما حصل عليهم وبهم مما ذكر إلا بسبب شدة المحادة والمشاقة.

قال تعالىٰ في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

ثم يُقال للقرضاوي: هل ادعاء أن عيسىٰ إلهًا وربًّا محادة أم لا وهم زعمهم أن الله فقير أو أن يديه مغلولتان محادة أم لا؟

فإن قال نعم خصم وإن قال لا فهي الطامة الكبرىٰ والبلية العظمىٰ التي ليس بعدها بلاء نسأل الله السلامة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠]: هذا وعد ووعيد لمن حاد الله ورسوله بالكفر والمعاصي أنه مخذول مذلول لا عاقبة له حميدة ولا راية منصورة، ووعد

لمن آمن به وبرسله واتبع ما جاء به المرسلون فصار من حزب الله المفلحين أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد لا يخلف ولا يغير لأنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء. اهـ

الشبهة التاسعة عشرة:

قال القرضاوي في كتابه: «نحن والغرب» (٢٠-٢١): وقوله تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [المائدة:٥١]، يجب أن يفهم في ضوء السياق وأسباب النزول للآيات؛ فالآية التي تليها تشير إلىٰ أن اليهود والنصارىٰ كانوا معادين للمسلمين وكانوا في حالة من القوة والمنعة، بحيث أصبح كثير من المنافقين ومرضىٰ القلوب يحاولون التقرب إليهم والموالاة لهم علىٰ حساب دينهم وأمتهم وجماعتهم.

وهذا لا ينازع منصف في أنه خطر علىٰ سيادة الأمة ووحدتها وتماسكها ولاسيما في مرحلة تكوينها وتأسيس بنيانها...

إلىٰ أن قال: ولا غرو أن من يوالي الأعداء وينضم إليهم ويلقي إليهم بالمودة علىٰ حساب أمته أمر محرم ومحرم وطنيًّا ودينيًّا، ولاسيما في أوقات الحروب فهو في نظر الوطنية خيانة وهو في نظر الدين ردة.

إلىٰ أن قال: فهذه الآيات ليست في مطلق يهود ونصارىٰ عاديين مسالمين للمسلمين، بل في يهود ونصارىٰ معادين لهم محاربين لدعوتهم كاليهود الذين نقضوا عهد رسول الله ﷺ وانضموا إلىٰ أعدائه من الوثنيين والمشركين. اهـ

وللإجابة علىٰ هذه الشبهة المدافعة عن اليهود والنصارىٰ أكثر من دفاعهم

عن أنفسهم يجب أن يعلم أن هذه الآية محكمة المعنىٰ والمبنىٰ ولا مجال للتشكيك في دلالتها في البعد عن موالاة الكافرين من اليهود والنصارىٰ.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «فتح القدير» (٢/ ٧٠)**: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ الظاهر أنه خطاب للمؤمنين حقيقة، وقيل: المراد به المنافقون، ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه وقد كانوا يوالون اليهود والنصارىٰ فنهوا عن ذلك.

والأولىٰ أن يكون خطابًا لكل من يتصف بالإيمان أعم من أن يكون ظاهرًا وباطنًا أو ظاهرًا فقط؛ فيدخل المسلم والمنافق.

ويؤيد هذا قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، والاعتبار بعموم اللفظ، والمراد من النهي عن اتخاذهم أولياء أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة. اهـ

ثم قوله: يجب أن يفهم من خلال سياق أسباب النزول، فقد تقدم السياق والمراد به، وأما أسباب النزول فالعبرة كما هو مقرر في علم أصول التفسير بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال السيوطي في «الإتقان» (١/ ٨٦): المسألة الثانية اختلف أهل الأصول هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب، والأصح عندنا الأول وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا علىٰ تعديها إلىٰ غير أسبابها، كنزول آية الظهار في سلمة ابن صخر وآية اللعان في شأن هلال بن أمية وحد القذف في رماة عائشة ثم تعدىٰ إلىٰ غيرهم...

إلىٰ أن قال: قال ابن تيمية: قد يجيء كثير من هذا الباب قولهم هذه الآية

نزلت في كذا لاسيما إن كان المذكور شخصًا كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله، وأن قوله: وأن أحكم بينهم نزلت في بني قريظة ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة أو في قوم من اليهود والنصارىٰ أو في قوم من المؤمنين.

فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل علىٰ الإطلاق.

والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد علىٰ سبب هل يختص بسببه، فلم يقل أحد أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ.

والآية التي لها سبب معنىٰ إن كانت أمرًا أو نهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته وإن كانت خيرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ومن كان بمنزلته. اهـ

قلت: ومما يدل علىٰ ذلك ما أخرجه مسلم عن بريدة ﷺ: أن رجلًا وجد امرأة فقبلها ثم توضأ وصلىٰ مع النبي ﷺ فجاءه فقال: يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه علي فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤]، فقال: يا رسول الله إلي هذه خاصة؟ فقال النبي ﷺ: «**بل لجميع أمتي كلهم**».

واعلم أن موالاة اليهود والنصارىٰ محرمة علىٰ أي وجهة كانت إلا ما خصه الدليل من التقية.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾.

ولا ينبغي أن تتلمس الشبه لجواز هذا الأمر الخطير.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يرشد تعالىٰ عباده المؤمنين حين بين لهم أحوال اليهود والنصارىٰ وصفاتهم غير الحسنة ألا يتخذوا أولياء، فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون بينهم ويكونون يدًا علىٰ من سواهم، فأنتم لا تتخذونهم أولياء فإنهم هم الأعداء علىٰ الحقيقة ولا يبالون بضركم بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا علىٰ إضلالكم فلا يتولهم إلا من هو مثلهم.

ولهذا قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة:٥١]؛ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلىٰ دينهم والتولي القليل يدعوا إلىٰ الكثير ثم يندرج شيئًا فشيئًا حتىٰ يكون العبد منهم. اهـ

ويجب أن يفرق بين التولي الذي هو تقية فإنه لا تصاحبه محبة ولا مودة ولا شيء من ذلك، بخلاف ما يؤدي إليه هذا التقسيم الذي ذكره القرضاوي في تقسيم اليهود والنصارىٰ من جهة المسالمة والمقاتلة فهم أعدائنا في جميع الحالات والأوقات والأشهر والسنوات، ولا مودة بيننا وبينهم حتىٰ يدخلوا في دين الله الحق الذي لا يرضىٰ الله دينًا سواه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٩٩-١٠٠): قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولىٰ اليهود والنصارىٰ من المسلمين فإنه يكون منهم بتولية إياهم.

وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله والخلود في عذابه، وأن

متولهم لو كان مؤمنًا ما تولاهم وهو قوله تعالىٰ: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٨٠-٨١].

ونهىٰ في موضع آخر عن توليهم مبينًا سبب التنفير منه وهو قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة:١٣].

وبين في موضع آخر أن محل ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وتقية وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ [آل عمران:٢٨].

فهذه الآية فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا وإيضاح لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة.

ومن يأتي الأمور علىٰ اضطرار فليس كمثل من يأتيها علىٰ اختيار ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تول الكفار عمدًا اختيارًا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم. اهـ

وفي فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ٦٥) رقم (٤٢٤٦): نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين أن يوالوا اليهود وغيرهم من الكفار ولاء ود ومحبة وإخاء ونصرة، وأن يتخذوهم بطانة ولو كانوا غير محاربين للمسلمين.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ الآية.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وما في معناها من نصوص الكتاب والسنة.

ولم ينه الله تعالىٰ المؤمنين عن مقابلة معروف غير الحربيين بالمعروف أو تبادل المنافع المباحة معهم من بيع وشراء وقبول الهدايا والهبات، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اهـ

والعداوة لهم كما تقدم علىٰ كل حال حتىٰ في وقت التقية لهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ بالمحبة والموالاة والنصرة.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: البضاعة الكاسدة والصفقة الخاسرة وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء والخلود الدائم في العذاب العظيم، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم.

وقد ظلموا أنفسهم إذا فوتوها النعيم المقيم: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة:٨١]، فإن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه يوجب على العبد موالاة ربه وموالاة أولياءه ومعاداة من كفر به وعاداه وأوضع في معاصيه. اهـ

الشبهة العشرون:

قال القرضاوي في «نحن والغرب» (٢٤): ويقرر القرآن أن من أقام منهم الأركان الأساسية للدين وهي الإيمان بالله تعالى والإيمان بالخلود والجزاء في الآخرة والعمل الصالح فإن الله لن يضيع أجره ولن يخيب جزاء سعيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة: ٦٢]. اهـ

أقول: بالنسبة للاستدلال بالآية قد تقدم بيان بطلان استدلالهم بها، وأن هذه الآية في قوم مؤمنين من اليهود والنصارى والصائبين قبل بعثة النبي ﷺ وإلا فقد قال رسول الله ﷺ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم وقد كررناه كثيرًا: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**».

وقد تقدم تكفير الله ﷻ لمن فرق بين رسله بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[النساء:١٥١].

ثم إن قوله: من أقام منهم الأركان الأساسية للدين حصره الأركان في هذه الثلاثة خالف لأدلة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين قاطبة؛ فالأركان الأساسية للإيمان قد دل عليها حديث عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

والأركان الأساسية الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا. أخرجاه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قوله وهي: «الإيمان بالله» متىٰ قام اليهود والنصارىٰ المحرفون بالإيمان بالله عز وجل كما أراد الله عز وجل مع العلم أن أركان الإيمان بالله عز وجل أربعة:

- الإيمان بوجود الله.

- الإيمان بربوبية الله عز وجل، وشركهم في هذا الباب لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ تبصرة من الله عز وجل، فهم يزعمون أن له معين ونظير وظهير وند كما قرر الله عز وجل عليهم ذلك في القرآن وليس هذا موطن بسطه.

- والإيمان بألوهية الله عز وجل، وشرك اليهود والنصارىٰ أظهر من الشمس الساطعة لما قامت به الحجة الدامغة ألم يقل الله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]؟

وقد تقدم بيان شيء من ذلك.

ثم أليس من الإيمان بالله ﷻ الإيمان بما أخبر في كتابه الكريم ومن لوازمه الإيمان بجميع رسله والإيمان بشرائعه وكتبه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

وما ذكره هذا المخذول في كون من آمن بما ذكر مع عمله الصالح فقد جاوز القنطرة، فهو من القول على الله بلا علم.

والله قد حرم ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وبقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وأما العمل الصالح المجرد عن الإيمان فلا ينفع صاحبه؛ قال الله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

وفي حديث عائشة عند مسلم: يا رسول الله ابن جدعان كان يطعم المسكين ويصل الرحم ويفعل ويفعل فهل ذلك نافعة؟ فقال: «**لا إنه لم يقل ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾: هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم بشيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله.

فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال

الكفار لا تخلوا من واحد من هذين وقد تجمعها معًا فتكون أبعد من القبول.

مضمون الآية أنهم عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها علىٰ شيء، فلما عرضت علىٰ الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا إذ إنها لا شيء بالكلية وشبهت في ذلك بالشيء الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه علىٰ شيء منه بالكلية كما قال تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨]. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩].

وجاء أيضًا عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطىٰ بها في الدنيا ويجزئ بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل الله بها في الدنيا حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة**» أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

قال القرطبي في «المفهم» (١/ ٤٦٠): وتسمية ما يصدر عن الكافر حسنة إنما كان بحسب ظن الكافر وإلا فلا تصح قربة لعدم شرطها الذي هو الإيمان أو سميت حسنة لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهرًا. اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٣٩-٤٠]:

هذا مثلان ضربهما الله تعالىٰ لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريًّا ومائيًّا، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدىٰ والعلم في سورة الرعد مثلين مائيًّا وناريًّا، وقد تكلمنا علىٰ كل منها في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته، ولله الحمد والمنة.

فأما الأول من هذين المثلين: فهو للكفار الدعاة إلىٰ كفرهم، الذين يحسبون أنهم علىٰ شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر علىٰ شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرىٰ في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام.

والقيعة: جمع قاع، كجار وجيرَةٍ. والقاع أيضًا: واحد القيعان، كما يقال: جار وجيران. وهي: الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار. وأما الآل فإنما يكون أول النهار، يرىٰ كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأىٰ السراب من هو محتاج إلىٰ الماء، حسبه ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهىٰ إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملًا وأنه قد حَصَّل شيئًا، فإذا وافىٰ الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش علىٰ أفعاله، لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً

مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال هاهنا: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. وهكذا رُوي عن أُبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغير واحد.

وفي الصحيحين: أنه يقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزَيْر ابن الله. فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من ولد، ماذا تبغون؟ فيقولون: أي رَبَّنَا، عَطشنا فاسقنا. فيقال: ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فينطلقون فيتهافتون فيها.

وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب. فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الطَّماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر، الصم البكم الذين لا يعقلون، فمثلهم كما قال تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾: قال قتادة: وهو العميق. ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا هو يعرف حال من يقوده، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلىٰ أين يذهبون؟ قال: لا أدري.

وقال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ يعني بذلك: الغشاوة التي علىٰ القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧]، وكقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

وقال أُبيّ بن كعب في قوله: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فهو يتقلب في

خمسة من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلىٰ الظلمات، إلىٰ النار.

وقال الربيع بن أنس، والسُّدِّي نحو ذلك أيضًا.

وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وهذا في مُقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورًا وعن أيماننا نورًا وعن شمائلنا نورًا وأن يعظم لنا نورًا. اهـ

ثم هذا القول منه فيه التصريح والتلويح بعدم كفرهم، وقد تقرر في مسائل الإيمان أن من لم يكفر الكافر الأصلي فهو كافر.

فما أدري أين يتجه القرضاوي حيث يخالف أدلة الكتاب والسنة والإجماع علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ، وأن الله لا يقبل منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، وقد تقدمت الأدلة علىٰ كفرهم بما يغني عن الإعادة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأيضًا أرىٰ القرضاوي وغيره من أهل الزيغ والريب كثيرًا ما يستدلون بمتشابه القرآن معرضين عن تفسيره بالسنة أو الاستدلال لمحكم البين وهذا الذي نراه قد حذرنا رسول الله ﷺ من أصحابه حيث قال: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**».

ورحم الله عمر إذ يقول: سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فجادلوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله. أخرجه ابن بطة (٨٣)، والدارمي (١/ ٤٩) وسنده صحيح.

وأخرج ابن بطة (١٨٨) عن مكحول قال: القرآن أحوج إلىٰ السنة من السنة إلىٰ القرآن.

قال: وقال يحيىٰ بن أبي كثير: السنة قاضية علىٰ الكتاب وليس الكتاب قاضيًا علىٰ السنة.

قلت: وذلك لأن رسول الله ﷺ فسر القرآن وقيد مطلقة وفصل مجمله وفسر ما أشكل من متشابه وكل من عند الله.

وجاء في بعض الآثار أهل الكلام وفي رواية الرأي أعداء السنن، فهؤلاء أعيتهم السنن وأفلجتهم وقرتهم لوضوح دلالتها ولقوة حجتها ولكونها مفسرة للقرآن وقاضية عليها، فأصبحوا يفسرون القرآن بأهوائهم وآرائهم وأفكارهم التي لم تبن علىٰ نص من كتاب أو سنة أو فهم سلف، فلما كان هذا حال علمهم وكونه مبتور فهم كذلك مبتورون، ولما عادوا السنة وكرهوها وقلوها بتروا بنص قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾[الكوثر:٣].

قول القرضاوي: إنني وغيري من المسلمين لا نكره اليهود لكونهم يهودًا.

وقال القرضاوي قاتله الله (ص٨٩): الحق الذي يجب أن يعلمه الناس كل الناس: أنني وغيري من المسلمين لا نكره اليهود لكونهم يهودًا، ولهذا قلت مرارًا إن اليهودية باعتبارها ديانة ليست هي المعركة وبيننا وبين دولة إسرائيل، والقرآن اختار لليهود وكذلك النصارىٰ لقبًا يوحي بالقرب والإيناس منهم وهو أهل الكتاب. اهـ

قلت: قول القرضاوي هذا يدل علىٰ ضلاله البعيد المشتمل علىٰ مودتة العميقة للكفار، وعلىٰ اعتقاده للباطل السحيق، فإنه يجب علىٰ المسلم أن يكون

حبه لله ﷻ وبغضه لله ﷻ كما في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله**».

وفي حديث أبي هريرة عندهما في ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

والله ﷻ يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

واليهود أعدائنا دينًا لأنهم كذبوا نبينا ﷺ وسحروه وقاتلوه وتمالئوا عليه وسفهوا دينه.

ولكونهم كذبوا القرآن، ولكونهم قوم بهت وقوم حسد ومشركون وقتلة الأنبياء وأوصافهم القبيحة وأفعالهم النتنة توجب بغضهم وكراهيتهم فهم شر البرية.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

يكفي في ذمهم ما تقدم من وصف الله ﷻ لهم، وكيف لا نبغضهم عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ قيام الساعة وهم الأمة التي غضب الله ﷻ عليهم كما قال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح:٦] وكرههم ومقتهم وسماهم المغضوب عليهم وسمىٰ النصارىٰ الضالين.

وما ذلك إلا إخبارًا بما هم عليه في نفس الأمر ثم دعوته إلىٰ بغضهم وبغض طريقتهم وسيرهم، فلا ولن يجمع الإيمان وحب اليهود والنصارىٰ في قلب مؤمن، ولكن إذا وجد أحدهما رفع الآخر، لكن لا يستغرب مثل هذا القول من القرضاوي فهذه نغمة الزنادقه الطاعنين في الإسلام باسمه وما ربك بغافل عما يعملون.

تفسير القرضاوي لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾.

وقال المفتون القرضاوي في نفس الكتاب (ص٢٤): ومن الآيات التي تذكر كثيرًا ويساء فهمها في العلاقة بين المسلمين من ناحية واليهود والنصارىٰ من ناحية أخرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة:١٢٠].

أرىٰ كثيرًا من المتدينين المسلمين الذين لا يتدبرون الآيات ولا يتأملون النصوص بعمق يجدون في هذه الآية حائلًا دون التفاهم والتعايش والتصالح مع اليهود والنصارىٰ وهذا ليس بصحيح ولا ينبثق هذا التفكير عن فهم سليم لعدة أمور:

أولًا: أن الآية خطاب خاص للرسول ﷺ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ﴾، ولم تجيء

بلفظ عام وألفاظ العموم معروفة.

ثانيًا: لو سلمنا بأنها خطاب للجميع، فإنها لا تدل علىٰ أكثر من عدم رضاهم عنا الرضاء الكامل أو الرضا المطلق حتىٰ نتبع ملتهم، وهذا شأن كل ذي ملة متمسك بملة حريص عليها، ونحن كذلك لا نرضىٰ عنهم تمام الرضا حتىٰ يتبعوا ملتنا فهو موقف طبيعي ومتبادل بين أهل الملل وأهل الأديان جميعًا.

ثم علل بعلل ركيكية يغني عن نقلها ما تقدم ذكره في كيفية التعامل مع اليهود والنصارىٰ والله المستعان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٢/ ٩١): ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام وأتباعهم. اهـ

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح القدير» (١/ ٢٦٣-٢٦٤): قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، أي ليس غرضهم ومبلغ الرضا منهم ما يقترحونه عليك من الآيات ويوردونه من التعنتات فإنك لو جئتهم بكل ما يقترحون وأجبتهم عن كل تعنت لم يرضوا عنك ثم أخبره بأنهم لن يرضوا عنه حتىٰ يدخل في دينهم ويتبع ملتهم.

والملة: اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه علىٰ ألسن أنبيائه وهكذا الشريعة ثم رد عليهم سبحانه فأمره بأن يقول لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ الحقيقي لا ما أنتم عليه من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ثم أتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله إن اتبع أهواءهم وحاول رضاهم وأتعب نفسه في طلب ما يوافقهم ويحتمل أن يكون تعريضًا لأمته وتحذيرًا لهم أن يواقعوا شيئًا من ذلك أو يدخلوا

في أهوية أهل الملل ويطلبوا رضا أهل البدع.

وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب علىٰ أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل المتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما، فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولًا وأبان من أخلاقه لينًا لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في خبائله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدىٰ الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة، ورأي منهار وتقليد علىٰ شفا جرف هار فهو إذ ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة وهالك بلا شك ولا شبهة. اهـ

فهذا معنىٰ الآية عند أئمة الشأن من المتقدمين والمتأخرين، وإنما خالف هذا المنكر الذي لا يعتد بخلافه ولا وفاقه ولا يفرح بنصره ولا يرهب من تخذيله.

وأما كون الخطاب خاص بالنبي ﷺ كما يزعم فقد أوتي من سوء قصده وقلة فقهه ومن كثرة تلبيسه وزيغه، وإلا فمعنىٰ هذا القول إلغاء التعبد بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والأخذ بأحكامها.

وكذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١].

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١].

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وإلغاء حكم الله في قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٨٤].

وإلغاء ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ ﴾ [التوبة:١٠٣].

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور:٤٨].

وغيرها من خطابات القرآن الكريم التي هي خطاب للنبيﷺ ولأمته.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: والخطاب وإن كان لرسول اللهﷺ فإن أمته داخلة في ذلك، فإن الاعتبار بعموم المعنىٰ لا بخصوص المخاطب كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. اهـ

وأما قوله ثانيًا... إلىٰ آخره؛ فأقول: بل تدل علىٰ عدم رضاهم عنا كما قال الله ﷻ حتىٰ يحصل منا المتابعة لهم في دينهم المحرف المبدل المغير الباطل.

وفي قوله: إن عدم الرضا منا ومنهم موقف طبيعي ومتبادل فهو باطل بل موقفنا منهم موقف شرعي مفروض فرضًا لازمًا محتمًا وليس بالأمر الطبيعي فقط.

وراجع لذلك اقتضاء الصراط المستقيم في وجوب مخالفة أصحاب الجحيم، لكن أصحاب الأفكار العصرانية الجديدة الهدامة هكذا يحاولون تمييع الحق وأصباغ الباطل بصورة الحق.

ولا غرو؛ لأنهم يدافعون عن اليهود والنصارىٰ الملبسين المغيرين

المبدلين الذي قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

وقال القرضاوي أيضًا في نفس المصدر (٢٨) في كلامه حول أهل الذمة: فهم مسلمون بحكم انتمائهم إلىٰ الدار والثقافة والحضارة. اهـ

وقال (٣٩): فقلت له: أنا مسلم بمقتضىٰ العقيدة وأنت مسلم بمقتضىٰ الثقافة والحضارة. اهـ

ويقول: وفي عصرنا يتأذىٰ إخواننا من المسيحيين وغيرهم من هذه التسمية أي أهل ذمة فلا مبرر للإصرار علىٰ بقائها. اهـ

قلت: هذا القول من القرضاوي مبني علىٰ أن الإسلام عبارة عن جنسية تعطىٰ لمن حل في بلدها، وهذا القول مخالف للمنقول والمعقول الموافق للمنقول ويلزم منه أن نطرده في من أقام بين ظهراني الكفار، فتقول أنت كافر ملة وأنا كافر بحكم الثقافة والحضارة فهل بعد هذا المراء من هُراء.

وأيضًا هذا القول الذي قاله القرضاوي طردًا مع قاعدته التي يصرح بها دائمًا أن اليهود والنصارىٰ إخوانًا له ونعم والله إنهم إخوانك، أما المسلمون فليسوا لهم بإخوان، بل هم أعدائنا والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

قال السعدي: هذا عقد عقده الله ﷻ مع المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان من مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر فإنه أخ للمؤمنين أخوة، توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم. اهـ

عن عُقبَةَ بنَ عَامرٍ عند مسلم عَلَىٰ المِنبَرِ يقول: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**المُؤمِنُ أَخُو المُؤمِنِ؛ فَلَا يَحِلُّ لِلمُؤمِنِ أَن يَبتَاعَ عَلَىٰ بَيعِ أَخِيهِ وَلَا يَخطُبَ عَلَىٰ خِطبَةِ أَخِيهِ حَتَّىٰ يَذَرَ**».

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكذِبُهُ وَلَا يَخذُلُهُ، كُلُّ المُسلِمِ عَلَىٰ المُسلِمِ حَرَامٌ عِرضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقوَىٰ هَا هُنَا بِحَسبِ امرِئٍ مِن الشَّرِّ أَن يَحتَقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ**».

وعن ابن عمر رضي الله عنه:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَظلِمُهُ وَلَا يُسلِمُهُ، وَمَن كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَن فَرَّجَ عَن مُسلِمٍ كُربَةً فَرَّجَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ**».

والله ﷻ يقول في شأن الكفار: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي من كفرهم ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾، ومفهومها أن من لم يحصل منه ذلك فليس بأخ لنا ولا كرامة كما قرر ذلك المفسرون من السلف والخلف.

وهذا الذي يقوله القرضاوي مخالف فيه لإجماع المسلمين والله ﷻ لما قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥] ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود:٤٦]، مع أنه ولده من صلبه لكن لما انتفىٰ عنه الإيمان انتفت عنه الأهلية.

وأما قول الله تعالىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ ﴾[الشعراء:١٠٦]، وهكذا في سورة الشعراء فالمراد به أخوة النسب لا أخوة الدين، فلا تجمع بين المتناقضات وتفرق بين المجتمعات.

لا يجوز احتجاج اليهود والنصارىٰ بأدلة القرآن لنصرة باطلهم:

قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (١/ ١٣٠): (فصل): إذا عرف هذا فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا أن محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم بل إلىٰ أهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوىٰ علىٰ وجهين:

إما أن يقولوا إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم ولكن أمته ادعوا له ذلك، وإما أن يقولوا إنه ادعىٰ أنه أرسل إليهم وهو كاذب في هذه الدعوىٰ، وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول وفي آخره قد يقال أنهم أشاروا إلىٰ الوجه الثاني لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلىٰ العرب وإنما أنكروا رسالته إليهم، وأما رسالته إلىٰ العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه.

وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلىٰ العرب بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالق قولهم ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي ﷺ ثم نتكلم علىٰ الوجهين جميعًا، ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن علىٰ صحة دينهم بوجه من الوجوه، ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم ولا فيه تناقض.

وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين التي يحتجون بها هي حجة عليهم ليس في شيء منها حجة لهم ولو لم يبعث محمد ﷺ فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ موافق لسائر كلام الأنبياء -عليهم السلام- في إبطال دينهم وقولهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك، مع العقل الصريح.

فهم احتجوا في كتابهم هذا بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ

مع العقل ونحن نبين أنه لا حجة لهم فيما جاء به محمدﷺ ولا فيما جاءت به الأنبياء قبله ولا في العقل.

بل ما جاء به محمد وما جاءت به الأنبياء قبله مع صريح العقل كلها براهين قطعية علىٰ فساد دينهم، ولكن نذكر قبل ذلك أن احتجاجهم بما جاء عن النبيﷺ لا يصح بوجه من الوجوه وأنه لا يجوز أن يحتج بمجرد المنقول عن محمدﷺ من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به وكذلك سائر الأنبياء -عليهم السلام-.

بخلاف الاحتجاج بكلام غير الأنبياء فإن ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض وأما ما أخبرت به الأنبياء -عليهم السلام- أو من قال إنه نبي فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء قدر صدقهم أو كذبهم.

فيقال لهم علىٰ كل تقدير سواء أقروا بنبوته إلىٰ العرب أو غيرهم أو كذبوه في قوله إنه رسول الله أو سكتوا عن هذا وهذا أو صدقوه في البعض دون البعض، إن احتجاجكم علىٰ صحة ما تخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمدﷺ لا يصح بوجه من الوجوه.

فاحتجاجكم علىٰ أنه لم يرسل إليكم أو علىٰ صحة دينكم بشيء من القرآن حجة داحضة علىٰ كل تقدير مع أنا سنبين -إن شاء الله تعالىٰ- أن الكتب الإلهية كلها مع المعقول لا حجة لكم في شيء منها بل كلها حجة عليكم.

وهذا بخلاف المسلمين فإنه يصح احتجاجهم علىٰ أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ بما جاءت به الأنبياء قبل محمدﷺ وأهل الكتاب لا يصح احتجاجهم بما جاء به محمدﷺ، وذلك أن المسلمين مقرون بنبوة موسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله

وبكل نبي أرسله الله.

وهذا أصل دين المسلمين فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد فهو عندهم كافر بل من سب نبيا من الأنبياء فهو عندهم كافر مباح الدم كما قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله يتناول التوراة والإنجيل كما يتناول القرآن كقوله تعالىٰ سورة الشورىٰ الآية ١٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]. وفي القراءة الأخرىٰ وكتابه.

كقوله تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٥١].

فذكر أن هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والذين يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله وبالآخرة هم يوقنون، ثم أخبر أن هؤلاء هم المفلحون فحصر الفلاح في هؤلاء فلا يكون مفلحا إلا من كان من هؤلاء.

بعض الوسائل التي يسلكها العصرانيون للدعوة إلىٰ تقارب الأديان[1]:

١ - كون أهل الكتاب مشملون باسم الإسلام العام:

وقد تقدم الكلام علىٰ مسألة كون دين الأنبياء واحد، وبيان معناه؛ لكن اليهود والنصارىٰ قد غيروا وبدلوا، ولم يدخلوا في مسمىٰ الإسلام الخاص الذي هو ناسخ لجميع الأديان.

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٠/ ١٥): فابتدعت اليهود والنصارىٰ ما ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به، وهو الإسلام العام، ولهذا أمرنا أن نقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا

(١) «دعوة التقريب بين الأديان» (ص٦٤١ - ٦٧٨).

ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارىٰ ضالون**»، وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام، وغلب عليها أحد ضديه؛ فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك، والنصارىٰ يغلب عليهم الشرك، ويقل فيهم الكبر. اهـ

ومن أبواق هذه العكرة: محمود أبور ية المتجني علىٰ السنة وأهلها، ومحمد سعيد عشماوي، وعبد اللطيف الغزالي، ومحمد عمارة، وفهمي هويدي، ومحمد الطالبي، وسعد غراب، والقرضاوي، وكل هؤلاء ليس فيهم رجل رشيد، ولا ذو رأي سديد؛ بل هم والله هدام الدين، ومعاول اليهود والنصارىٰ في هدمه؛ عاملهم الله بما يستحقون.

٢- التهوين من شأن الإيمان برسالة نبينا محمدﷺ:

وقد تقدم الكلام عليها، وأن لا نجاة، ولا إيمان لمن لم يؤمن بهﷺ.

ومن دعاة هذه الفكرة: العصراني الهالك محمد عبده المصري تلميذ الملحد جمال الدين الأفغاني.

حيث قال: فإذا كان الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين المخلصين والعاملين بالكتاب والسنة، وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما، فيكف يكون أهل الكتاب كالمشركين في حكمه تعالىٰ[1].

ومن دعاتها: محمد حسين فضل الله، ومحمد عمارة، وهؤلاء هم تلاميذ

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده، نقلًا عن «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٦٣).

محمد عبده؛ فلا غرو:

ومن جعل الغراب له دليلًا   يمر به على جِيفِ الكلاب

٣- التلاعب بألفاظ الإيمان:

ومن سالكي هذا السبيل: محمد حسين فضل الله، ومحمد عمارة، وعبد اللطيف غزالي، والقرضاوي، وننقل من أقوالهم:

ما قاله عبد اللطيف غزالي: أما اليوم فلم يعد هنالك شرك ولا وثنية، ولقد أصبح الدين لله وحده في وعي الدينين، ولاشك أن إله المسلمين وإله المسيحين وإله الناس أجمعين؛ هو إلهٌ واحد، أما العداء بين الأديان، هو الذي يعتبر شركًا(١).

٤- الاعتذار لكفر أهل الكتاب بالتأويلات الباطلة وسترىٰ من هذه التأويلات في باب الشبة.

* * *

(١) «نظرات في الدين» (ص ٣٦)، عن: «العصريون معتزلة اليوم»، عن المصدر السابق (٢/ ٦٧١).

الفصل السادس:
فتاوى العلماء في حكم التقارب بين الأديان

يقول الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، ويقول: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

* فتاوىٰ الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع فتاويه (٨ / ١٩٠): تعقيب علىٰ مقالة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر بعنوان: علاقة الإسلام بالأديان الأخرىٰ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ حضرة الأخ سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفقه الله للخير.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فقد اطلعت علىٰ مقالة لسماحتكم نشرتها صحيفة الجزيرة السعودية في عددها الصادر في يوم الجمعة ١٦ / ٥ / ١٤١٥ هـ بعنوان: (علاقة الإسلام

بالأديان الأخرىٰ) ورد في أولها من كلامكم ما نصه: (الإسلام يحرص علىٰ أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرىٰ هو السلام العام والود والتعاون، لأن الإنسان عمومًا في نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله تعالىٰ وفضله علىٰ كثير من خلقه.

يدل لهذا قول الله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.

والتكريم الإلهي للإنسان بخلقه وتفضيله علىٰ غيره يعد رباطًا ساميًا يشد المسلمين إلىٰ غيرهم من بني الإنسان.

فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله تعالىٰ في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أصبح واجبًا عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرىٰ والشعوب غير المسلمة؛ نزولًا عند هذه الأخوة الإنسانية وهذا هو معنىٰ التعارف الوارد في الآية...) إلخ.

ولقد كدرني كثيرًا ما تضمنته هذه الجمل من المعاني المخالفة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ورأيت من النصح لسماحتكم التنبيه علىٰ ذلك.

فإنه لا يخفىٰ علىٰ سماحتكم أن الله سبحانه قد أوجب علىٰ المؤمنين بغض الكفار ومعاداتهم وعدم مودتهم وموالاتهم ما في قوله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن

دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقال سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الآية.

وقال سبحانه في سورة المجادلة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية.

فهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها من الآيات الأخرىٰ كلها تدل علىٰ وجوب بغض الكفار ومعاداتهم وقطع المودة بينهم وبين المؤمنين حتىٰ يؤمنوا بالله وحده.

أما التعارف الذي دلت عليه آية الحجرات فلا يلزم منه المودة ولا المحبة للكفار؛ وإنما تدل الآية أن الله جعل بني آدم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا فيتمكنوا من المعاملات الجائزة بينهم شرعًا، كالبيع والشراء وتبادل السفراء وأخذ الجزية من اليهود والنصارىٰ والمجوس... وغير ذلك من العلاقات التي لا يترتب عليها

مودة ولا محبة.

وهكذا تكريم الله سبحانه لبني آدم لا يدل علىٰ جواز إقامة علاقة المودة والمحبة بين المسلم والكافر؛ وإنما يدل ذلك علىٰ أن جنس بني آدم قد فضله الله علىٰ كثير من خلقه.

فلا يجوز أن يستنبط من الآيتين ما يخالف الآيات المحكمات المتقدمة وغيرها الدالة علىٰ وجوب بغض الكفار في الله ومعاداتهم وتحريم مودتهم وموالاتهم؛ لما بينهم وبين المسلمين من البون العظيم في الدين.

والواجب علىٰ أهل العلم: تفسير القرآن بما يصدق بعضه بعضًا، وتفسير المشتبه بالمحكم كما قال الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ الآية.

مع أن الحكم بحمد الله في الآيات المحكمات المذكورة وغيرها واضح لا شبهة فيه والآيتان اللتان في التعارف والتكريم ليس فيهما ما يخالف ذلك.

وقد ورد في المقال أيضًا ما نصه: (فنظرة المسلمين إذن إلىٰ غيرهم من أتباع اليهودية والنصرانية هي نظرة الشريك إلىٰ شركائه في الإيمان بالله والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة).

وهذا -كما لا يخفىٰ علىٰ سماحتكم- حكم مخالف للنصوص الصريحة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم إلىٰ الإيمان بالله ورسوله، وتسمية من لم يستجب منهم لهذه الدعوة كفارًا.

ومن المعلوم أن جميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء قد نسخت بشريعة

محمد ﷺ؛ فلا يجوز لأحد من الناس أن يعمل بغير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية.

وقال عن اليهود والنصارىٰ في سورة التوبة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والآيتين بعدها.

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة كلها تدل علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارىٰ: المسيح ابن الله، وتكذيبهم لمحمد ﷺ وعدم إيمانهم به إلا من هداه الله منهم للإسلام.

وقد روىٰ مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

والأحاديث الدالة علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ، وأنهم أعداء لنا كثيرة.

وإباحة الله سبحانه للمسلمين طعام أهل الكتاب ونساءهم المحصنات منهن لا تدل علىٰ جواز مودتهم ومحبتهم، كما لا يخفىٰ علىٰ كل من تدبر الآيات وأعطىٰ المقام حقه من النظر والعناية.

وبذلك كله يتبين لسماحتكم خطأ ما ورد في المقال من:

١- القول بأن الود والمحبة من أساسيات العلاقة في الإسلام بين الأديان والشعوب.

٢- الحكم لأتباع اليهودية والنصرانية بالإيمان بالله والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة.

وتواصيًا بالحق كتبت لسماحتكم هذه الرسالة، راجيًا من سماحتكم إعادة النظر في كلامكم في هذين الأمرين، وأن ترجعوا إلىٰ ما دلت عليه النصوص، وتقوموا بتصحيح ما صدر منكم في الكلمة المذكورة؛ براءة للذمة، ونصحًا للأمة، وذلك مما يحمد لكم -إن شاء الله-، وهو يدل علىٰ قوة الإيمان، وإيثار الحق علىٰ غيره متىٰ ظهرت أدلته.

والله المسئول بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يوفقنا وإياكم وسائر علماء

المسلمين لمعرفة الحق واتباعه، وأن يمن علينا جميعًا بالنصح له ولعباده، وأن يجعلنا جميعًا من الهداة المهتدين، إنه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه.

*** فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:**

جاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ١١٨):

الفتوىٰ رقم (٦٣٦٤):

س: هل يجوز اتخاذ معبد للديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام؟

ج: لا يجوز ذلك؛ لأنه باتخاذه مشتركًا بين الثلاث لا يكون مؤسسًا علىٰ التقوىٰ، بل علىٰ الشرك وعبادة غير الله فيه.

وليس هناك دين صحيح غير الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

حكم الدعوة للتقارب بين الأديان:

الفتوىٰ رقم (٧٨٠٧):

س: هل الدعوة للتقارب بين الأديان (الإسلام - المسيحية - اليهودية) دعوة شرعية؟ وهل يجوز للمسلم المؤمن حقًّا أن يدعو لها ويعمل علىٰ تقويتها؟

سمعت أنه هناك مثل ذلك يقوم به علماء في الأزهر وغيره في المؤسسات

الإسلامية، وكذلك هل الدعوة لتقارب بين أهل السنة والجماعة والطوائف الشيعية والدرزية والإسماعيلية والنصيرية وغيرها فيه فائدة للمسلمين؟

وهل ممكن هذا اللقاء وأكثر، بل كل هذه الطوائف تحمل في معتقداتها الشرك بالله والإساءة لرسوله ﷺ والحقد على الإسلام وأهل السنة والجماعة ؟ وهل يجوز هذا اللقاء والتقارب شرعًا؟

ج: أولًا: أصول الإيمان التي أنزل الله بها كتبه على رسله: التوراة، والإنجيل والزبور، والقرآن، والتي دعت إليها رسله -عليهم الصلاة والسلام- إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين - كلها واحدة بشر سابقهم بلاحقهم وصدق لاحقهم سابقهم وأيده.

ونوه بشأنه وإن اختلفت الفروع في الجملة حسب مقتضيات الأحوال والأزمان ومصلحة العباد؛ حكمة من الله وعدلًا، ورحمة منه سبحانه وفضلًا.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨١-٨٥].

وقال تعالىٰ بعد ذكره دعوة خليله إبراهيم إلىٰ التوحيد وذكر من معه من المرسلين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٨٩-٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ الآيات.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**» رواه البخاري (٣٢٥٩).

ثانيًا: حرف اليهود والنصارىٰ الكلم عن مواضعه، وبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، فغيروا بذلك أصول دينهم وشرائع ربهم، من ذلك قول اليهود: عزير ابن الله.

وزعمهم أن الله مسه لغوب، وأصابه تعب من خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فاستراح يوم السبت.

وزعمهم أنهم صلبوا عيسىٰ عليه السلام وقتلوه، ومن ذلك أنهم أحلوا الصيد يوم السبت بحيلة، وقد حرمه الله عليهم، وأنهم ألغوا حد الزنا في حق المحصن.

ومن ذلك قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾.

وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

إلىٰ غير ذلك من التحريف والتبديل القولي والعملي عن علم اتباعًا للهوىٰ.

ومن ذلك زعم النصارىٰ أن المسيح عيسىٰ عليه السلام ابن الله وأنه إله مع الله، وتصديقهم اليهود في زعمهم أنهم صلبوا عيسىٰ عليه السلام وقتلوه، وزعم كل من الفريقين أنهم أبناء الله وأحباؤه، وكفرهم بمحمد ﷺ وبما جاء به، وحقدهم عليه، وحسدهم إياه من عند أنفسهم، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه وأقروا علىٰ أنفسهم بذلك.

إلىٰ غير ذلك من فضائح الفريقين وتناقضهم، وقد حكىٰ الله الكثير من كذبهم وافترائهم وتحريفهم وتبديلهم ما أنزل إليهم من العقائد والشرائع، وفضحهم، ورد عليهم في محكم كتابه.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٩-٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]، الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٥-١٥٨]، الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨]، الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣٠-٣١] الآيات.

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ﴾ [البقرة:١٠٩].

إلىٰ غير ذلك مما لا ينقضي منه العجب من افترائهم وتناقضهم ومخازيهم وفضائحهم، والقصد ذكر نماذج من أحوالهم ليبنىٰ عليها الجواب فيما يأتي.

ثالثًا: مما تقدم يتبين أن أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلىٰ تقريب، كما يتبين أن اليهود والنصارىٰ قد حرفوا وبدلوا ما نزل إليهم من ربهم حتىٰ صارت دياناتهم زورًا وبهتانًا وكفرًا وضلالًا.

ومن أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمدﷺ ولغيرهم من الأمم عامة؛ ليبين ما كانوا يخفون من الحق، ويكشف لهم عما كتموه، ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام ويهديهم وغيرهم إلىٰ سواء السبيل.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٥-١٧].

لكنهم صدوا وأعرضوا عنه؛ بغيًا وعدوانًا وحسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين الحق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، الآيات.

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١]، الآيات.

وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة:١-٢]، الآيات.

فكيف يرجو عاقل يعرف إصرارهم علىٰ الباطل وتماديهم في غيهم عن بينة وعلم حسدًا من عند أنفسهم، واتباعًا للهوىٰ التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] الآيات.

وقال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة:١١٩].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الآيات.

بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفرًا وعداوة لله ورسوله والمؤمنين فهم مثلهم، وقد قال الله تعالىٰ لرسوله في المشركين : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٨-٩]، الآيات.

وقال له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[الكافرون:١-٦].

إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل بين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

رابعًا: لو قال قائل: هل تمكن الهدنة بين هؤلاء أو يكون بينهم عقد صلح حقنًا للدماء واتقاء لويلات الحروب، وتمكينًا للناس من الضرب في الأرض والكد في الحياة لكسب الرزق وعمارة الدنيا والدعوة إلىٰ الحق وهداية الخلق؛

إقامة للعدل بين العالمين لو قيل ذلك قولًا متجها وكان السعي في تحقيقه سعيًا ناجحًا، والقصد إليه قصدًا نبيلًا له مكانه، وعظيم أثره.

لكن مع المحافظة علىٰ إحقاق الحق ونصره فلا يكون ذلك علىٰ سبيل مداهنة المسلمين للمشركين وتنازلهم عن شيء من حكم الله، أو شيء من كرامتهم وهوانهم علىٰ أنفسهم، بل مع الإبقاء علىٰ عزتهم، والاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهمﷺ؛ عملًا بهدي القرآن، واقتداء بالرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

وقد فسر ذلك النبي ﷺ عمليًّا، وحققه بصلحه مع قريش عام الحديبية، ومع اليهود في المدينة قبل الخندق وفي غزوة خيبر، ومع نصارىٰ الروم في غزوة تبوك.

فكان لذلك الأثر العظيم والنتائج الباهرة من الأمن وسلامة النفوس ونصرة الحق والتمكين له في الأرض ودخول الناس في دين الله أفواجًا، واتجاه الجميع للعمل في الحياة لدينهم ودنياهم، فكان الرخاء والازدهار وقوة السلطان وانتشار الإسلام والسلام، وفي التاريخ.

وواقع الحياة أقوىٰ دليل وأصدق شهيد علىٰ ذلك لمن أنصف نفسه أو ألقىٰ سمعه واعتدل مزاجه وتفكيره، وبرئ من العصبية والمراء، إن في ذلك

لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

خامسًا: إن الدروز والنصيرية والإسماعيلية، ومن حذا حذوهم من البابية والبهائية قد تلاعبوا بنصوص الدين، وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله، وسلكوا مسلك اليهود والنصارىٰ في التحريف والتبديل؛ اتباعًا للهوىٰ، وتقليدًا لزعيم الفتنة الأول عبد الله بن سبأ الحميري رأس الابتداع والإضلال والإيقاع بين جماعة المسلمين، وقد عم شره وبلاؤه وافتتن به جماعات كثيرة فكفروا بعد إسلام، وتمكنت بسببه الفرقة بين المسلمين.

فكانت الدعوة إلىٰ التقارب بين هذه الطوائف وجماعة المسلمين الصادقين دعوة غير مفيدة، وكان السعي في تحقيق اللقاء بينهم وبين الصادقين من المسلمين سعيا فاشلا؛ لأنهم واليهود والنصارىٰ تشابهت قلوبهم في الزيغ والإلحاد والكفر والضلال والحقد علىٰ المسلمين والكيد لهم، وإن تنوعت منازعهم ومشاربهم واختلفت مقاصدهم وأهواؤهم، فكان مثلهم في ذلك مثل اليهود والنصارىٰ مع المسلمين.

ولأمر ما سعىٰ جماعة من علماء الأزهر المصريين مع القمي الإيراني الرافضي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وجدوا في التقارب المزعوم، وانخدع بذلك قلة من كبار العلماء الصادقين ممن طهرت قلوبهم ولم تعركهم الحياة، وأصدروا مجلة سموها: (مجلة التقريب) .

سرعان ما انكشف أمرهم لمن خدع بهم فباء أمر جماعة التقريب بالفشل، ولا عجب فالقلوب متباينة والأفكار متضاربة والعقائد متناقضة، وهيهات هيهات

أن يجتمع النقيضان أو يتفق الضدان.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

وفي الفتوىٰ رقم (١٩٤٠٢):

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلىٰ (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارىٰ.

وما تفرع عن ذلك من دعوة إلىٰ بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلىٰ طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلىٰ غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولًا: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد علىٰ وجه الأرض دين حق سوىٰ دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق علىٰ وجه الأرض دين يتعبد الله به سوىٰ الإسلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ والإسلام بعد بعثة محمدﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالىٰ (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولًا وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوىٰ القرآن الكريم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾.

ثالثًا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوىٰ ذلك فهو محرف أو مبدل.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأىٰ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾.

فلم يبق رسول يجب اتباعه سوىٰ محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

ونبي الله عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام- إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ، وحاكمًا بشريعته.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ

لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام: أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وتسميته كافرًا ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار.

كما قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الآية، وغيرها من الآيات.

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارىٰ فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر).

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلىٰ (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلىٰ ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

وقوله -جل وعلا-: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾.

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله.

والله جل وتقدس يقول: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

ويقول جل وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ثامنًا: إن الدعوة إلىٰ (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة

صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضىٰ بالكفر بالله ﷻ ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء علىٰ ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وبناء علىٰ ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا الدعوة إلىٰ هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلًا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلىٰ محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟ فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره علىٰ الدين كله، ودعوة مادية إلىٰ أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها علىٰ قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان.

ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن

تحريفات اليهود والنصارىٰ من عند الله، تعالىٰ الله عن ذلك.

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة علىٰ غير دين الإسلام، والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوىٰ (٢٢ / ١٦٢):

(ليست البيع والكنائس بيوتًا لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار).

عاشرًا: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلىٰ الإسلام واجبة علىٰ المسلمين بالنصوص لصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلىٰ قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

قال الله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرىٰ الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون والله المستعان علىٰ ما يصفون.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾.

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوىٰ الله تعالىٰ ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلىٰ بلاد المسلمين، وترويجها بينهم.

نسأل الله سبحانه، بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام علىٰ هدىٰ ونور من ربنا حتىٰ نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

*** فتوىٰ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وقال الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان: يجب علىٰ المسلمين الكفر بهذه النظرية: «وحدة كل دين محرف منسوخ مع دين الإسلام الحق المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل الناسخ لما قبله».

وهذا من بدهيات الاعتقاد والمسلمات في الإسلام، وأن الدعوة إلىٰ هذه النظرية كفر، ونفاق، ومشاقة، وشقاق، وعمل علىٰ إخراج المسلمين من الإسلام. وأن حال الدعاة إليها من اليهود، والنصارىٰ مع المسلمين هم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران:١١٩].

ويجب على أهل الأرض اعتقاد توحد الملة والدين في دعوة جميع الأنبياء والمرسلين في التوحيد، والنبوات، والمعاد، كما مضى التقرير مفصلًا، وأن هذا الأصل العقدي لم يسلم إلا لأهل الإسلام، وأن اليهود والنصارى ناقضون له، متناقضون فيه، لاسيما في الإيمان بالله، وكتبه، ورسله.

ويجب على أهل الأرض اعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها وأن شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع، ناسخة لكل شريعة قبلها، فلا يجوز لبشر من أفراد الخلائق أن يتعبد الله بشريعة غير شريعة الإسلام.

وإن هذا الأصل لم يسلم لأحد إلا لأهل الإسلام، فأمة الغضب اليهود كافرون بهذا الأصل؛ لعدم إيمانهم بشريعة عيسى -عليه السلام- ولعدم إيمانهم بشريعة محمد ﷺ، وأمة الضلال: النصارى، كافرون بهذا الأصل؛ لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ وبشريعته، وبعموم رسالته.

والأمتان كافرتان بذلك، وبعدم إيمانهم بمحمد ﷺ ومتابعته في شريعته، وترك ما سواها، وبعدم إيمانهم بنسخ شريعة الإسلام لما قبلها من الشرائع، وبعدم إيمانهم بما جاء به من القرآن العظيم، وأنه ناسخ لما قبله من الكتب والصحف.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويجب على جميع أهل الأرض من الكتابيين وغيرهم الدخول في الإسلام بالشهادتين، والإيمان بما جاء في الإسلام جملة وتفصيلا، والعمل به واتباعه، وترك ما سواه من الشرائع المحرفة والكتب المنسوبة إليها، وأن من لم يدخل في

الإسلام فهو كافر مشرك.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ [آل عمران:٧٠].

يجب علىٰ أمة الإسلام أمة الاستجابة، أهل القبلة: اعتقاد أنهم علىٰ الحق وحدهم في الإسلام الحق وأنه آخر الأديان، وكتابه القرآن آخر الكتب، ومهيمن عليها، ورسوله آخر الرسل وخاتمهم، وشريعته ناسخة لشرائعهم، ولا يقبل الله من عبد دينا سواه.

فالمسلمون حملة شريعة إلهية خاتمة خالدة سالمة من الانحراف الذي أصاب أتباع الشرائع السابقة، ومن التحريف الذي داخل التوراة والإنجيل مما ترتب عليه تحريف الشريعتين المنسوختين: اليهودية والنصرانية.

ويجب علىٰ أمة الاستجابة لهذا الدين إبلاغه إلىٰ أمة الدعوة من كل كافر من يهود ونصارىٰ وغيرهم، وأن يدعوهم إليه حتىٰ يسلموا، ومن لم يسلم فالجزية أو القتال.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

ويجب علىٰ كل مسلم يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا رسولًا: أن يدين الله تعالىٰ بِبُغضِ الكفار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، ومعاداتهم في الله تعالىٰ وعدم محبتهم، ومودتهم، وموالاتهم، وتوليهم حتىٰ يؤمنوا بالله وحده ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا رسولًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

ولهذا صار من آثار قطع الموالاة بيننا وبينهم: أنه لا توارث بين مسلم وكافر أبدًا.

يجب علىٰ كل مسلم اعتقاد كفر من لم يدخل في هذا الإسلام من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وتسميته كافرًا، وأنه عدو لنا، وأنه من أهل النار.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارىٰ فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «من لم يكفر الكافر فهو كافر».

ونقول لأهل الكتاب كما قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [النساء: ١٧١].

ولا يجوز لأحد من أهل الأرض اليوم أن يبقىٰ علىٰ أي من الشريعتين اليهودية والنصرانية فضلًا عن الدخول في إحداهما، ولا يجوز لمتبع أي دين غير الإسلام وصفُهُ بأنه مسلم، أو أنه علىٰ ملة إبراهيم، لما يأتي:

١- لأن ما كان فيهما -أي اليهودية والنصرانية- من شرع صحيح فهو منسوخ بشريعة الإسلام فلا يقبل الله من عبد أن يتعبده بشرع منسوخ.

٢- ولأن ما كان منسوبًا إليهما من شرع محرف مبدل، فتحرم نسبته إليهما، فضلًا عن أن يجوز لأحد اتباعه، أو أن يكون دين أحد من الأنبياء لا موسىٰ ولا عيسىٰ، ولا غيرهما.

٣- ولأن كل عبد مأمور بأن يتبع الدين الناسخ لما قبله، وهو بعد مبعث محمد ﷺ دين الإسلام الذي جاء به بعبادة الله وحده لا شريك له وتوحيده بالعبادة، فمن كان كذلك كان عبدًا حنيفًا مسلمًا علىٰ ملة إبراهيم، ومن لم يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ويخص نبيه ورسوله محمدًا ﷺ بالاتباع دون سواه فلا يجوز وصفه بأنه حنيف ولا مسلم ولا علىٰ ملة إبراهيم، بل هو كافر في مشاقة وشقاق.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٥-١٣٧].

فبطلت بهذه نظرية الخلط بين دين الإسلام الحق، وبين غيره من الشرائع الدائرة بين التحريف والنسخ، وأنه لم يبق إلا الإسلام وحده، والقرآن وحده، وأن محمدًا ﷺ لا نبي بعده، وأن شريعته ناسخة لما قبله، ولا يجوز اتباع أحد سواه.

وأنه لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل وتوزيعهما ونشرهما، وأن

نظرية طبعهما مع القرآن الكريم في غلاف واحد من الضلال البعيد، والكفر العظيم، لما فيها من الجمع بين الحق: القرآن الكريم، والباطل: في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، وأن ما فيهما من حق فهو منسوخ.

وأنه لا تجوز الاستجابة لدعوتهم ببناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في مجمع واحد؛ لما فيها من الدينونة والاعتراف بدين يعبد الله به سوى الإسلام، وإخفاء ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة على أهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قَدَم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله.

وهذه المردودات السالبة فيها من الكفر والضلال ما لا يخفى، فعلى المسلمين بعامة، ومن بسط الله يده عليهم بخاصة الحذر الشديد من مقاصد الكفرة من اليهود والنصارى في إضلال المسلمين والكيد لهم فإن بيوت الله في أرض الله هي المساجد وحدها.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾ [الأعراف:٢٩].

وهذه المساجد من شعائر الإسلام، فواجب تعظيمها ورعاية حرمتها وعمارتها، ومن تعظيمها ورعايتها عدم الرضا بحلول كنائس الكفرة ومعابدهم في حرمها وفي جوارها، وعدم إقرار إنشائها في بلاد الإسلام، ورفض مساجد المضارة بالإسلام، والضّرار بالمسلمين في بلاد الكافرين.

فإن المسجد والحال هذه مسجد مُضَارّة للإسلام، ولا يجوز إقراره، ولا التبرع بمال أو جهد لبنائه، ولا الصلاة فيه، ويجب على من بسط الله يده من ولاة المسلمين هدم هذا المجمع، فضلًا عن السكوت عنه، أو المشاركة فيه، أو

السماح به، وإن كان -والحال ما ذكر- في بلاد كفر، وجب إعلان عدم الرضا به، والمطالبة بهدمه، والدعوة إلىٰ هجره.

وانظر كيف تشابهت أعمال المنافقين ومقاصدهم في قديم الدهر وحديثه؛ إذ بنىٰ المنافقون مسجدًا ضرارًا بالمؤمنين، أما عملهم اليوم، فهو أشد ضرارًا بالإيمان والمؤمنين، والإسلام والمسلمين.

وقد أنزل الله سبحانه قرآنًا يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، فقال الحكيم الخبير سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٧-١١٠].

ثم رأيت أن الفرق الباطنية التي أسست من قِبَلِ الاستعمار الروسي والإنجليزي واليهودية العالمية منسوبة إلىٰ الإسلام ظلمًا لهدمه، والعدوان عليه، ومنها: البابية نسبة إلىٰ: المرزا علي محمد الشيرازي، الملقب باب المهدي المولود سنة ١٢٣٥ والهالك سنة ١٢٦٥.

والبهائية نسبة إلىٰ البهاء حسين ابن الميرزا المولود بإيران سنة ١٢٣٣، والهالك سنة ١٣٠٩.

والقاديانية نسبة إلىٰ: مرزا غلام أحمد القادياني الهالك سنة ١٣٢٥.

المحكوم بكفرها -أي هذه الفرق- بإجماع المسلمين، وقد صدرت بكفرها قرارات شرعية دَولية.

هذه الفِرق تدعو إلىٰ هذه النظرية: «نظرية الخلط»، ومنها قول بهاء المذكور: «يجب علىٰ الجميع ترك التعصبات، وأن يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض؛ لأن اسم الله في جميع هذه المعابد مادام الكل يجتمعون لعبادة الله، فلا خلاف بين الجميع، فليس منهم أحد يعبد الشيطان، فيحق للمسلمين أن يذهبوا إلىٰ كنائس النصارىٰ، وصوامع اليهود، وبالعكس يذهب هؤلاء إلىٰ المساجد الإسلامية». انتهىٰ. كتاب: أهمية الجهاد في الإسلام للشيخ علي العلياني (ص٥٠٨-٥٠٩).

ما أشبه الليلة بالبارحة، فإن عمل منافقي اليوم ضِرار بالإيمان والمؤمنين بوجه أشد نكاية وأذىٰ للإسلام والمسلمين.

ألا إِنَّه واجب علىٰ المسلمين، الحذر والتيقظ من مكايد أعدائهم، وواجب علىٰ المسلمين الحذر من ارتداء الكفرة مُسُوحَ الحوار، وجَلب الشخصيات المتميعة ونحو ذلك من أساليبهم، التي هي بحق رجس من عمل الشيطان.

وليعلم كل مسلم أنه لا لقاء ولا وفاق بين أهل الإسلام والكتابيين وغيرهم من أمم الكفر إلا وفق الأصول التي نصت عليها الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهي توحيد الله تعالىٰ ونبذ الإشراك به وطاعته في الحكم والتشريع واتباع

خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ الذي بشرت به التوراة والإنجيل.

فيجب أن تكون هذه الآية هي شعار كل مجادلة بين أهل الإسلام وبين أهل الكتاب وغيرهم وكل جهد يُبذل لتحقيق غير هذه الأصول فهو باطل باطل باطل.

وإن إفشال تلك المؤتمرات التي هي في حقيقتها مؤامرات على المسلمين، مؤكد بوعد الله تعالى للمسلمين في قوله -جل وعز-: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران:١١١].

وقد ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**».

وثبت أيضًا عن النبيﷺ أنه قال: «**سألت ربي ألا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها...**». الحديث.

ولكن هذا -وايم الله - لابد له من موقفين: موقف رفع راية الجهاد، وتوظيف القدرات بصد العاديات، وموقف للبناء وتحصين المسلمين بإسلامهم على وجهه الصحيح.

ولا تلتفت أيها المسلم إلى غلط الغالطين، ولا إلى من خدعتهم دعوة إخوان الشياطين، ولا إلى المأجورين، ولا إلى أفراد من الفرق الضالة من المنتسبين إلى الإسلام للمناصرة، والترويج لهذه النظرية، فيتسنمون الفتيا وما هم بفقهاء، ولا بصيرة لهم في الدين، وإنما حالهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨]. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن هذه الدعوة بجذورها، وشعاراتها، ومفرداتها هي من أشد ما ابتلي به المسلمون في عصرنا هذا، وهي أكفر آحاد نظرية الخلط بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والهدىٰ والضلالة، والمعروف والمنكر، والسنة والبدعة، والطاعة والمعصية.

وهذه الدعوة الآثمة، والمكيدة المهولة، قد اجتمعت فيها بلايا التحريف والانتحال وفاسد التأويل، وإن هذه الأمة المرحومة أمة الإسلام لن تجتمع علىٰ ضلالة، ولا يزال فيها -بحمد الله- طائفة ظاهرة علىٰ الحق حتىٰ تقوم الساعة من أهل العلم والقرآن، والهدىٰ والبيان، تنفي عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فكان حقًّا علينا وعلىٰ جميع المسلمين: التعليم، والبيان، والنصح، والإرشاد، وصد العاديات عن دين الإسلام، ومن حذر فقد بشر.

هذا جواب علىٰ سبيل الإجمال يطوّق هذه النظرية الخطرة ويكشف مخططاتها القريبة والبعيدة في الهدم والتدمير، وقفزهم إلىٰ السلطة بلا مقاوم.

وخلاصته: أن دعوة المسلم إلىٰ توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام: ردة ظاهرة، وكفر صريح؛ لما تعلنه من نقض جريء للإسلام أصلًا، وفرعًا، واعتقادًا، وعملًا، وهذا إجماع لا يجوز أن يكون محل خلاف بين أهل الإسلام.

وإنها دخول معركة جديدة مع عُبَّاد الصليب، ومع أشد الناس عداوة للذين آمنوا، فالأمر جد وما هو بالهزل.

والآن أقيم الأدلة مفصلة علىٰ هذه الخلاصة الحكمية، لأن النفوس تطمع

بإقامة الدليل، وإظهار البراهين، وتوضيح الحجة للسالكين، فإلىٰ البيان مفصلًا حتىٰ لا تخفىٰ الحال علىٰ مسلم يقرأ القرآن، ولتنقذه من التيه في ضباب الشعارات الكاذبة ونقول لكل مسلم: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:٦].

*** فتوىٰ العلامة الإمام محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهىٰ قطعة من خطبة فضيلة الشيخ يوم الجمعة الموافق ١٥/ ١/ ١٤٢٠هـ:**

إني لأعلم أن من الناس من انخدع وظن أن دين اليهود والنصارىٰ دين قائم، ولكنه ليس بشيء، إن هذا الدين عليه اليهود والنصارىٰ دين منسوخ، نسخه الذين شرعه لهم، وهو أحكم الحاكمين.

فمن زعم أنهم اليوم علىٰ دين يرضاه الله، وأن أديانهم كالدين الإسلامي، وحاول أن يقول أن هذه الأديان الثلاثة كلها صحيحة، فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام، يجب عليه أن يبادر بالتوبة إلىٰ الله؛ لأنه مكذب لقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

ولقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

هؤلاء المخدوعون الذين يريدون أن يداهنوا أعداء الله، إنما هم مغرورون، سفهاء في العقول، ضلال في الدين، إنه لا يمكن أن يجتمع دين صحيح مع أديان باطلة أبدًا.

أيها الإخوة: إنه قد سمع ما بين حين وآخر كلمة: الأديان الثلاثة»، حتىٰ

يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة، ولكن هذا خطأ عظيم، إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارىٰ والمسلمين، إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار.

إن دين اليهود ليس بشيء، ولا ينفعهم، بل مصيرهم إلىٰ النار إن تمسكوا به، وإن دين النصارىٰ ليس بشيء، ولن ينفعهم، وإنما يقودهم إلىٰ النار إن تمسكوا به؛ لأن الواجب علىٰ الجميع أن يؤمنوا بالنبي ﷺ، وقد أقسم ﷺ وهو البار الصادق بدون قسم، فقال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به، إلا كان من أصحاب النار**».

ومن المعلوم أن النصارىٰ واليهود ولاسيما كبراؤهم من علمائهم وأمرائهم ورؤسائهم، لا شك أنهم قد سمعوا بهذا الدين الإسلامي، فإذا لم يؤمنوا به كانوا من أصحاب النار، بشهادة أصدق الشهداء من الخلق رسول الله ﷺ.

وقال فضيلته في فوائد حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم، ما نصه:

إن اليهود والنصارىٰ الآن أكثرهم سامع ببعثه الرسول ﷺ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل باسمه صلوات الله وسلامه عليه، قد بشر به عيسىٰ -عليه الصلاة السلام- ومع ذلك لم يؤمنوا وعاندوا، فهم كفار.

موسىٰ بريء من اليهود، وعيسىٰ بريء من النصارىٰ، ومحمد بريء من الجميع، ولا علاقة بيننا وبينهم، ولا صلة بيننا وبينهم، ومن ادعىٰ أن دينهم مقبول عند الله فهو كافر مرتد، إما أن يرجع عن قوله، وإما أن تضرب عنقه، وإذا ضربت عنقه، فإنه يرىٰ في حفرة بعيد عن المباني؛ لأنه مكذب لله ﷻ .

فالله ﷻ يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، فقط.

فالذي يدعي أن اليهود اليوم علىٰ دين، والنصارىٰ علىٰ دين، ويحاول أن يجمع بين الأديان الثلاثة، لاشك أنه كافر وإن صلىٰ وإن صام وحج، كافر لأنه مكذب لله ورسوله، فلا تغتروا عباد الله بما لوث هؤلاء الصحف، بما كتبوا من سوادهم الذي سود وجوههم، بمحاولة التقريب بين الأديان[١].

ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه نزل الفرقان، وهو هذا القرآن العظيم علىٰ عبده وهو محمدﷺ، لأجل أن يكون للعالمين نذيرًا، أي منذرًا، هو الإعلام المقترن بتهديد وتخويف وأن كل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذارًا كما أوضحناه في أول سورة الأعراف.

وهذه الآية الكريمة تدل علىٰ عموم رسالته ﷺ للأسود والأحمر والجن والإنس لدخول الجميع في قوله تعالىٰ: ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وهذا المعنىٰ الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً ﴾ [سبأ:٢٨] الآية أي: أرسلناك

(١) من تسجيل صوتي محفوظ لدىٰ المؤلف.

للناس كافة أي جميعًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام:١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٣٣-٣٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢] الآية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢ / ١٤١): قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأنه ﷺ رسول إلىٰ جميع الناس، وصرح بذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ [هود:١٧].

وقيد في موضع آخر عموم رسالته ببلوغ هذا القرآن، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام:١٩].

وصرح بشمول رسالته لأهل الكتاب مع العرب بقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ [آل عمران:٢٠] إلىٰ غير ذلك من الآيات. اهـ

*** فتاوىٰ العلامة فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء -حفظه الله- :**

دعوىٰ التقارب بين الأديان هي جمع بين الكفر والإيمان:

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء، وعضو هيئة كبار العلماء، في رده علىٰ سؤال (للرسالة) عقب درسه بالمسجد الحرام حول الدعوة للتقارب بين الأديان من أجل خلق جو من التسامح والألفة بين الشعوب:

بعد بعثة النبي ﷺ لا دين إلا دين هذا الرسول ﷺ (انتبهوا) بعد بعثة هذا النبي ﷺ لا أديان إلا دين هذا الرسول ﷺ الذي أمرهم الله باتباعه أمر الجن والإنس واليهود والنصارىٰ والأميين وسائر البشر أن يتبعوا هذا الرسول.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

فلا دين بعد بعثة هذا الرسول ﷺ إلا دين الإسلام الذي جاء به؛ فلا يهودية ولا نصرانية ولا أي دين لا يقبله الله سبحانه وتعالى فكيف نجمع بين كفرٍ وإيمان؟

كيف تجمع بين من يقول الله ثالث ثلاثة أو الله هو المسيح ابن مريم ومن يقول (لا إله إلا الله) كيف تجمع بين هذا وهذا؟

كيف تجمع بين من يقول إن الله فقير ونحن أغنياء كما قالت اليهود ومن يقول يدُ الله مغلولة كيف تجمع بينه وبين مسلم موحد لله ﷻ؟

فعلىٰ هؤلاء أن يتقوا الله وأن يعرفوا دينهم وأن يتركوا هذه الدعوات المُضللة وأن ينشروا في الناس أنه لا دين إلا دين محمدﷺ.

قالﷺ: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا دخل النار**».

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لو كان أخي موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**» لو كان موسىٰ عليه السلام حيًّا ما وسعه إلا اتباع الرسولﷺ فكيف بغيره.

فكيف يُجمع بين الأديان الكفرية والدين الصحيح هذا مستحيل؟

وأما زيارتهم للدعوة إلىٰ الله لعلهم يسلمون فلا بأس أن يزاروا لأجل الدعوة إلىٰ الله وشرح الإسلام لهم لعلهم يسلمون فلا بأس بذلك.

أما زيارتهم للاستئناس معهم وإقرارهم علىٰ ما هم عليه من الكفر وموافقتهم فهذا محرم لا يجوز.

المصدر: (صحيفة المدينة) الجمعة ١٨ شعبان ١٤٢٨ الموافق ٣١ أغسطس ٢٠٠٧ - العدد ١٦٢٠٠.

حوارنا مع من يخالفنا في العقيدة:

وقال -حفظه الله-:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد خاتم النبيين وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فقد ظهرت في هذا العصر ظاهرة الحوار بين الطوائف المختلفة،

والحوار في ذاته مع المخالف إذا كان القصد منه بيان الحق ورد الباطل فهو مطلوب ومشروع.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فندعوهم إلىٰ التوحيد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

ولا يكفي الاعتراف بالربوبية فقط ثم بعد بيان الحق تطلب المباهلة من المخالف المصر علىٰ الباطل وهي الدعوة باللعنة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

وأما إن كان القصد في الحوار بيننا وبين من يخالفنا في العقيدة أننا نقبل شيئًا من باطله أو أن نتنازل عن شيء من الحق الذي نحن عليه فهذا باطل لأنه مداهنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾.

لكن لا مانع أن نتعامل مع المخالف في العقيدة بالعدل في حدود المصالح الدنيوية، وأن نحسن إلىٰ من لم يسيء إلينا منهم كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.

وأن نفي للمعاهد بعهده والمستأمن بأمانه ونحترم دمه وماله كما نحترم دماء المسلمين وأموالهم.

قال النبي ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين سنة**».

وهذا أمر متقرر في الشريعة الإسلامية لا ينكره إلا جاهل أو مكابر.

وأردت بهذه الكلمة الرد علىٰ طائفتين من الناس: الطائفة الأولىٰ التي تنكر التعامل مع المخالف في العقيدة مطلقًا، والطائفة الثانية: هي الطائفة المتميعة التي ترىٰ أنه لا فارق بين أصحاب العقيدة الصحيحة وأصحاب العقيدة الباطلة وهي اعتبار (الرأي الآخر).

والواجب الحذر من هذه المبادئ الباطلة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾، وهو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وسار عليه الصحابة والتابعون وأهل السنة والجماعة من بعدهم، وليس المراد الإسلام المصطنع المخالف لما جاء به الرسول.

ونقصد بمن يخالفنا في العقيدة كل من يريد غير الإسلام دينًا سواء، كان من الكفار أو كان من الفرق الضالة المخالفة لعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا نرضىٰ بغير القرآن والسنة بديلًا ولا بغير الرسول محمد ﷺ قدوة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لا نقبل التلفيق ولا التملق والنفاق.

هذا ما أوردت بيانه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

(الرسالة) الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥ الموافق ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤ - العدد (١٥١٦٤).

التسامح إلىٰ أين:

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء:

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن ديننا مبني علىٰ السماحة ورفع الحرج.

قال النبي ﷺ: «**وبعثت بالحنيفية السمحة**».

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾.

فالتسامح ورفع الحرج من سمات هذا الدين العظيم. عكس ما في الشرائع السابقة من الآثار والأغلال التي جعلها الله علىٰ أهلها بسبب تعنتهم ومخالفتهم لأوامر الله واختلافهم علىٰ أنبيائهم.

والتسامح والتيسير في الشريعة الإسلامية يكمنان في أوامرها ونواهيها وتشريعاتها، وليس بالتنازل عن شيء من أحكام الشريعة؛ لأن هذا من المداهنة في دين الله وليس من التسامح قال تعالىٰ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

والكفار لن يرضيهم إلا أن نتنازل عن ديننا كله قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾.

والجدال معهم بالتي هي أحسن أمر مطلوب شرعًا لإقناعهم بالحق، إلا إذا صار الجدال معهم لا يجدي، أو صاروا يقصدون به منا التنازل عن ديننا فحينئذٍ لا تلين معهم حتىٰ يطمعوا، بل نغلظ عليهم القول حتىٰ ييأسوا من مطلبهم.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾.

لأن اللين معهم في تلك الحالة يكون من وضع الشيء في غير موضعها علىٰ مد قول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندىٰ في موضع السيف ... مضر كوضع السيف في موضع الندىٰ

وكثيرًا ما نسمع ونرىٰ ونقرأ من متكلمينا وخطبائنا الحث علىٰ التسامح مع الأعداء، وأن ديننا دين التسامح والمحبة. وهذا الكلام لا يصلح علىٰ إطلاقه؛ لما يترتب عليه من استغلال سيئ وإيهام للسامع والقارئ.

فالواجب التنبه لهذا الأمر ووضع الأمور في مواضعها وكم رددنا مثل هذه العبارات ولم يتحول الكفار عن طبيعتهم نحونا ونحو ديننا، وما حادث تمزيق المصاحف وإلقائها في المراحيض وسب نبينا محمدﷺ عنا ببعيد ﴿وَمَا تُخْفِي

﴿صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ وأفعالهم مع المسلمين أبلغ من أقوالهم كما وقع في أفغانستان والعراق والبوسنة والهرسك.

وصدق الله تعالىٰ إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

ويقول: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

هذا ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه.

صحيفة المدينة (ملحق الرسالة) الجمعة ٤ محرم ١٤٢٧هـ العدد (١٥٦٢٦).

جمع الكلمة لا يتحقق بترك الناس علىٰ مذاهبهم المخالفة للكتاب والسنة

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء:

إن المؤتمرات والندوات تعقد الآن لجمع كلمة المسلمين ونبذ الخلاف بينهم وهذا شيء طيب دعا الله ورسولهﷺ إليه وأجمع المسلمون عليه.

ولكن ما هي الوسيلة التي تحققه ؟

إنها الوسيلة الوحيدة التي نص الله تعالىٰ عليها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

وقال الرسولﷺ: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء**

الراشدين من بعدي. تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فدلت الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف علىٰ أنه سيكون هناك اختلاف بين الأمة وأن هذا الاختلاف لا يحسم إلا بأربعة أمور:

الأمر الأول: اجتماع الكلمة تحت طاعة ولي أمر المسلمين وعدم الخروج عليه إلا إذا ارتكب كفرًا بواحًا عندنا عليه من الله سلطان أي حجة قاطعة.

الأمر الثاني: أن نرد ما اختلفنا فيه إلىٰ كتاب الله وسنة رسولهﷺ فما شهد له الكتاب والسنة من الأقوال والآراء فهو الحق الذي يجب اتباعه، وما خالف الكتاب والسنة من الأقوال والآراء فهو الباطل الذي يجب نبذه وتجنبه.

الأمر الثالث: أن نعمل بالسنة لأنها هداية ونترك البدع لأنها ضلالة.

الأمر الرابع: ما لم تتبين مخالفته ولا موافقته من الآراء الفقهية الاجتهادية فلنا معه حالات:

الأولىٰ: أن يأخذ به ولي أمر المسلمين ويفتي به العلماء المعتبرون فإنه يؤخذ به لأن القاعدة: أن حكم الحاكم يرفع الخلاف ولأن جمع الكلمة مطلوب.

الثانية: إذا لم يؤخذ به من قبل ولي الأمر وأهل الفتوىٰ أن نتوقف فيه عملًا بقول النبي ﷺ: **«من اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».**

وقولهﷺ: **«دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك».**

الثالثة: إذا ما أخذ بأحد الأقوال في هذه المسألة بعض العلماء فإنه لا ينكر عليه كما هي القاعدة: (لا إنكار في مسائل الاجتهاد).

وأما من يزعمون بأن جمع الكلمة يتحقق بترك الناس علىٰ مذاهبهم وأقوالهم ولو كانت مخالفة للكتاب والسنة فهؤلاء في الحقيقة يدعون إلىٰ الفرقة والتناحر بين الأمة.

لأنه لا يجمع المسلمين إلا اتباع الكتاب والسنة كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾.

إن الواجب علىٰ هذه الندوات والمؤتمرات التي تعقد لجمع كلمة المسلمين أن تبحث عن سبب الاختلاف فتزيله لأنه إذا زال السبب زال المسبب، أما أن يحاولوا جمع المسلمين علىٰ خلاف التضاد بينهم فهو لا يمكن وهو كما قال:

إذا ما الجرح رم علىٰ فساد   تبين فيه إهمال الطبيب

وشر من هؤلاء من ينادون بنبذ الإسلام عقيدة وشريعة والإبقاء علىٰ اسمه فقط والرجوع بالمسلمين إلىٰ أخذ ما عليه الكفار من الكفر والإلحاد بحجة الحرية في الرأي.

وهؤلاء في الحقيقة يريدون الرجوع بالناس إلىٰ أمر الجاهلية التي كان عليها الناس قبل الإسلام.

وهم ينفذون رغبة الكفار الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

هذه كلمات أحببت إبداءها لعلها تكون إضاءات في الطريق إلىٰ التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا حتىٰ تعود لنا عزتنا، فنحن كما قال عمر ﷺ:

نحن أمة أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما أصلح به أولها.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

(صحيفة الوطن) الجمعة ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ١٢ مايو ٢٠٠٦م العدد (٢٠٥١) السنة السادسة.

ما هذا التناقض ؟

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء:

كثيرًا ما نسمع ونقرأ الحث علىٰ اجتماع الكلمة ووحدة الأمة من خلال ما يقام من مؤتمرات وندوات بهذا الصدد.

وهذا عمل طيب حث عليه الله جل وعلا في القرآن وحث عليه الرسول ﷺ في سنته وأجمع عليه العلماء وضمنوه مؤلفاتهم في العقيدة وغيرها لو بقينا عليه.

ولكننا نسمع كثيرًا -وهذا هو العجيب في الأمر- الحث علىٰ التجاوز علىٰ حرية الكلمة والسماح للأديان والنحل بالظهور والممارسة!

وهذا في الحقيقة جمع بين الأضداد، ومعروف أن الضدين لا يجتمعان وسينشأ عن ذلك تفرق الأمة وتشتتها وتناحرها كما قال تعالىٰ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

ولذلك نجد الأعداء من الكفار والمنافقين يشجعون هذه الفكرة ويدعمون النحل الضالة ويبرزونها ويشجعون أهلها ليدحضوا بها الحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

فيجب علينا أن نتنبه لما يحاك ضدنا ولا نسمح لهذه الأفكار لتروج بيننا، وأن نعلم تمام العلم أنه لا يجمع الأمة ويوحد الكلمة إلا تحكيم الشرع المنزل علىٰ النبي المرسل.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

إنه لا يجمع الأمة ويوحد كلمتها إلا التمسك بالحق ورد الباطل وتحكيم الشرع لا تحكيم الأهواء والعقول والعواطف والرغبات.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها).

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

(صحيفة المدينة ملحق الرسالة) الجمعة ٣ صفر ١٤٢٧ - الموافق ٣ مارس ٢٠٠٦ - العدد ١٥٦٥٤.

وقال -حفظه الله- في شرح الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (٢٠٨):

التقريب بين الأديان لا يمكن أن تُقرب بين ما فرقه الله عَزَّ وَجَلَّ ما يمكن تجمع بين ما فرقه الله ولا أن تفرق بين ما جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا مستحيل مهما حاولت فرق بين المؤمن والكافر لا يتفقان آبدًا ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

هذا لا يمكن أبدًا فلا يمكن التقريب بين الكفر والإيمان أبدًا. اهـ

*** فتاوىٰ العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

للإمام الوادعي أقوال كثيرة في رد هذه البدعة وغيرها من البدع المنكره متفرقة في كتبه وأشرطته منها هذه الفتوىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي (١٨٤): الطوام التي وقع فيها الزنداني: حضوره مؤتمر وحدة الأديان المسمىٰ تمويهًا حوار الأديان. اهـ

وقال (١٨٥): ذكر بعض طوام القرضاوي دعوته للتقارب بين أهل الأديان. اهـ

وله أقوال وفتاوىٰ متفرقه في كتبه وأشرطته عند هذه المسألة.

*** فتاوىٰ العلامة يحيىٰ بن علي الحجوري -حفظه الله- خليفة الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قال -حفظه الله- في الصبح الشارق في ضلالات عبد المجيد الزنداني في توحيد الخالق (٦٦):

دعوة الزنداني إلىٰ محبة أهل الكتاب ودعوته إلىٰ توحيد الأديان:

قال عبد المجيد الزنداني (ص١٠٤): فالإيمان بالكتب السابقة ينقي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات وضد المؤمنين بالديانات ما داموا علىٰ

الطريق الصحيح.

وقال قبل هذا: وثمرة هذا الإيمان هي الشعور بوحدة البشرية ووحدة دينها ووحدة رسلها ووحدة معبودها. اهـ

قلت: هذا كلام خطير جدًّا، معناه أن روح المؤمن ترضىٰ بالديانات كلها ولا تتعصب لدين الإسلام وأن الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين هذا تعصب مذموم عنده، وهذه دعوة جلية واضحة إلىٰ وحدة الأديان، وربنا ﷻ يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

فأعلمنا سبحانه أن أي دين غير الإسلام ليس بمقبول، وأن صاحبه سيكون من الخاسرين: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾.

وأعلمنا سبحانه أن الدين الحق عند الله في السموات والأرض وفي جميع الكون هو الإسلام.

وأعلمنا سبحانه أنه الدين الذي رضيه لنا فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾.

وأمرنا أن نموت عليه فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

وسمانا مسلمين فقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي

هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وأخبر ﷻ أنه لا يرغب عن الإسلام إلا من سفه نفسه فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾.

ولا يمكن لأحد الحصول علىٰ الفلاح والرشد إلا بالإسلام قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾.

ولا إيمان إلا بإسلام، وقال النبي ﷺ: **«قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه»**. رواه مسلم في صحيحه (١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

أخي المسلم: إن هذا القول الخطير يناقض العروة الوثقىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾.

مفهوم الآية الكريمة أن من لم يكفر بالطاغوت فليس بمستمسك بالعروة الوثقىٰ وهي كلمة التوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾.

ففي هذه الآية بيان شاف أنه لا يصح إيمان من واد المحادين لله ورسوله من اليهود والنصارىٰ ولا تجد مؤمنًا يفعل ذلك ولو مع أقرب قريب إليه.

وقد تناكد هذا الرجل وأمثاله من المدسوسين فصحح طريقة اليهود والنصارىٰ بقوله ما داموا علىٰ الطريق الصحيح، ووالله إن هذا لقول يتضمن

تكذيب كلام رب العالمين فهو سبحانه يقول: هم ضالون، والزنداني يقول: هم علىٰ الطريق الصحيح، ومعناه أن الذي علىٰ الطريق الصحيح ليس بضال بل هو علىٰ الجادة وإليك الأدلة من القرآن والسنة علىٰ ضلال اليهود والنصارىٰ وتبيين كذب المذبذبين الحيارىٰ.

بداية من أول سورة في كتاب الله ﷻ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارىٰ بنص القرآن والسنة قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

فتبين بهذه الآية أن المغضوب عليهم هم اليهود لأنهم هم الذين جعل منهم القردة والخنازير، قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

ووصف الله النصارىٰ بأنهم ضالون فقال سبحانه: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح

بين فيما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة. قال: سمعت سماك بن حرب يقول: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم في حديث طويل وفيه فقال لي رسول الله ﷺ: «**إن المغضوب عليهم هم: اليهود، والضالين هم: النصارىٰ**».

فمحمد بن جعفر هو ربيب شعبة معروف بغندر ثقة كان من أثبت الناس في شعبة وشعبة هو ابن الحجاج ثقة حافظ متقن أمير المؤمنين في الحديث. وسماك بن حرب صدوق حسن الحديث وعباد بن حبيش وثقه ابن حبان.

وقد تابعه مري بن قطري متابعة تامة عن عدي بن حاتم به عند أحمد ذكر ابن كثير في تفسيره (ج١ ص٣٠) ومري وثقه ابن حبان أيضًا، وقد رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به.

قال ابن كثير: وقد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها ثم ساق منها طريق عبد الرزاق عن معمر عن بديل العقيلي عن عبد الله ابن شقيق عمن سمع رسول الله ﷺ وطرقًا أخرىٰ وبعدها نقل عن ابن أبي حاتم أنه قال: لا أعلم خلافا بين المفسرين في هذا أن المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارىٰ. اهـ

وقد حكم الله عليهم بأنهم كفار فقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾.

فقد أخبر الله سبحانه في هذه الآيات أن اليهود والنصارىٰ كفار وأنهم مخلدون في النار، وأنهم ملعونون، وأنهم ممسوخون قردة وخنازير، وأنهم مشركون، وأنهم ضالون، وأنهم مغضوب عليهم، وأنهم عبدة الطاغوت، وأنهم شر البرية، وأنهم خاسئون، وأنهم معتدون، وأن فعلهم بئيس، وأنهم يحسدون الإسلام وأهله ويكرهون أن ينزل عليهم أدنىٰ خير، وأنهم أعداء لله ولرسله ودين الإسلام.

ومع هذا كله فالزنداني يطالب بتنقية الأرواح عليهم وألا نحمل عليهم غيظًا، وأن التعصب ضدهم هذا عنده تعصب ذميم، بل ينبغي أن يكون المسلمون معهم متحابين متآخين ولن ينته إلىٰ هذا القدر بل صحح مذهبهم وطريقتهم التي يسيرون عليها، فمن المصيب يا زنداني أنت أم الله ورسوله ﷺ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾.

أين عقلك أيها الرجل الذي طالما جعلته حجة مقدمة علىٰ نصوص القرآن والسنة وهنا لا يكاد يفرق بين المؤمن الذي يقول: لا إله إلا الله، وبين النصراني الذي يقول: إن الله سبحانه كان في أحشاء مريم عليها السلام عند الفرث والبول وبين دم الحيض والنفاس، وبعد خروجه منها صار آكلًا شاربًا نائمًا متغوطًا تجري عليه الآلام والأوجاع والأسقام كسائر الأنام سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

استغفر الله العظيم من حكاية هذا القول الوخيم[١].

طامة كبرىٰ وجريمة عظمىٰ

قال الزنداني ص (١٠٤): فالمؤمن يعتقد أن أي طائفة من أهل الكتاب يملكون أساسًا وأصلًا لدينهم.

انظر أخي المسلم: ما أفحش هذا الكلام، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**». متفق عليه، من حديث أبي هريرة ﷺ.

ويترتب عليها هذا الخطر إذا لم يتأملها ولم يعلم معناها، فكيف بمن يقول هذا الكلام عن عقيدة جازمة أن أهل الكتاب يملكون أساسًا وأصلًا لدينهم، وأن دينهم غير منسوخ بالإسلام، وأنهم غير ملزمين أن يكونوا مسلمين لأنهم علىٰ أصل وأساس صحيح ودين.

وإذا كانوا علىٰ أصل وأساس وطريق صحيح فهم علىٰ حق حقيق ﴿فَمَاذَا

---

(١) وانظر رد شيخ الإسلام علىٰ ادِّعاء النصارىٰ أن القرآن سوَّىٰ بين الأديان. «التفسير الكبير» (ج٤ ص١٣٦).

بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾.

والله إن ابن سلول ورءوس المنافقين علىٰ عهد رسول الله ﷺ لم يجسروا علىٰ هذا القول الذي جهر به هذا الرجل وشاكلته كالقرضاوي والترابي والغزالي ونحوهم من المدسوسين.

ويحمل من أوزار هؤلاء الببغاوات كلهم شيخ الضلالة وزعيم العمالة في عصره حسن البنا فهو الذي رسم لهم هذه الفكرة المنحرفة وخط تلك الطريق المعوجة حيث يقول: إن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض علىٰ مصافاتهم ومصادقتهم[1].

وقد توالوا علىٰ هذا الضلال البعيد وليس منهم رجل رشيد ولو لم يكن في كتاب الله ﷻ إلا هذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

لو لم تكن إلا هذه الآية لكانت كافية ومقنعة أن أهل هذا القول قد ضلوا سواء السبيل كما حكم الله ﷻ عليهم بذلك فقال: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال (ص١٠٤) من كتاب التوحيد طبع مؤسسة الكتب الثقافية (١-٣): إن الإيمان بالكتب السابقة ينقي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات وضد المؤمنين بالديانات ما داموا علىٰ الطريق الصحيح؛ فالمؤمن يعتقد أن أي

---

(١) قرر هذا عنه عباس السيسي في كتاب «حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية» (ص٣١٩).

طائفة من أهل الكتاب يملكون أساسًا وأصلًا لدينهم مما يجعل أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفوا. اهـ

اللهم يا رب إن الزنداني يتهم كتابك وسنة نبيك محمد ﷺ ودين الإسلام الحق وجميع المسلمين بعدم الإنصاف وأنت أحكم الحاكمين.

وأنا ذاكر لك أيها القارئ اللبيب بعض الأدلة من القرآن الكريم أن دين أهل الكتاب محرف ومتبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

وأبان الله سبحانه أن الذين اشتروا به ثمنا قليلًا هم أهل الكتاب فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

ثم قال الزنداني ص (١٠٤): والإيمان بالكتب السابقة يؤكد للناس أن دين الله واحد، وأن الإسلام جامع لكل الديانات السماوية.

واستدل علىٰ هذا الباطل بقول الله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

فهو كما ترىٰ يؤكد للناس أن جميع الديانات واحدة يجمعها الإسلام ويقرها ولا ينفيها، وأن أصحاب جميع الديانات الإسلام واليهودية والنصرانية وغيرها يجب عليهم أن يتعاونوا جميعًا ويقيموا الدين السماوي ولا يتفرقوا فيه وأنا لا أدري هل الزنداني يؤمن أن جميع الأديان منسوخة بدين الإسلام كما قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

وقال النبي ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**.

وقوله ﷺ: **«والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»**. عن جابر بن عبد الله حسن لغيره انظر السنة لابن أبي عاصم (١/ ٦٧)، ومسند أحمد (٣/ ٣٨٧)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر رقم (١٤٨٧).

وقوله ﷺ: **«تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**[١].

وقد أجمع[٢] المسلمون علىٰ أن جميع الديانات منسوخة لا يجوز إقامتها ولا التعبد لله بها وأنها غير مقبولة من صاحبها وأن أصحابها خاسرون وفي النار خالدون كما دلت علىٰ ذلك نصوص القرآن والسنة.

---

(١) تقدم أنه حسن.

(٢) قال ابن قدامة في «روضة الناظر» (١/ ٢٩٣): أجمعت الأمة علىٰ أن شريعة محمد ﷺ قد نسخت ما خالفه من شرائع الأنبياء..

فإن كان الزنداني يؤمن أنها منسوخة وباطلة فلماذا يطالب بإقامتها والله سبحانه لم يقبلها ويخلد صاحبها في النار، وإن كان لا يؤمن بنسخها وأنها حق ومحكمة ويجب علىٰ الناس أن يقيموها كما هو ظاهر تقريراته، فعظم الله الأجر فيه.

إنه يطالب المسلمين إن كان عندهم إنصاف أن يقيموا دينًا مزيجًا من اليهودية والنصرانية والإسلام ويكون أضل وأبعد من ياسا[1] جنكيزخان.

أما معنىٰ الآية التي ذكرها الزنداني في سياق دعوته إلىٰ توحيد الأديان وإقامتها كلها فإليك ما ذكره أئمة التفسير في معناها.

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾، قال: فمعلوم أن الذي أوصىٰ به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة وهي إقامة الدين الحق ولا تتفرقوا فيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال أبو الفداء ابن كثير الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

وفي الحديث: «**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**»، أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم

---

(١) ألف جنكيزخان كتابًا مزيجًا من الإسلام وغيره من الملل والأهواء وسمَّاه الياسق، انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (ج١٣ ص١٢٨)، طبعة الريان، فقد كفره ابن كثير لذلك.

كقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

وقال القرطبي عند الآية: بين ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلمًا.

ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم علىٰ حسن أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة، قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. اهـ

قلت: هذه الآية كغيرها من الآيات التي تخبر أن الأنبياء جميعًا يدعون إلىٰ توحيد الله ﷻ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

والآية نفسها ترد علىٰ الزنداني قال تعالي في آخرها: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

فجميع المشركين سواء كونوا يهودا أو نصارىٰ أو غيرهم يكبر عليهم توحيد الله، ويحاولون جادين أن يزيغوا المسلمين عن توحيد الله ﷻ.

ثم هل اليهود والنصارىٰ امتثلوا أمر الله ﷻ بإقامة توحيده أم أنهم مشركون كما أخبر الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، وهذا شرك أكبر بالله العظيم.

ثم كيف يطالبنا بإقامة دين باطل منسوخ ومغير ومبدل ولن يقبله الله ومن مات عليه كان من المخلدين في نار جهنم بنص قواطع الأدلة التي سبق ذكرها وربنا سبحانه يقول لنا: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ويقول لنبيه محمد -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾.

فعلم أن معنىٰ الآية عند جميع المفسرين من سلف الأمة أن أقيموا الدين الحق وأن دين اليهود والنصارىٰ ليس بحق فلا تجوز الدعوة إلىٰ إقامته فإن ذلك يعتبر ردة عن الإسلام كما تقدمت فتوىٰ أهل العلم علىٰ ذلك.

*** فتوىٰ الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٩/ ٢٦٠): إن في هذه الآية ردًّا صريحًا علىٰ أولئك الذين ينادون بدون علم إلىٰ دعوة لا تخلو من تشكيك، حيث لم تسلم من لبس، وهي دعوة وحدة الأديان، ومحل اللبس فيها أن هذا القول منه حق، ومنه باطل.

أما الحق فهو وحدة الأصول، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة:٥].

وأما الباطل فهو الإبهام، بأن هذا ينجر علىٰ الفروع مع الجزم عند الجميع، بأن فروع كل دين قد لا يتفق كلها مع فروع الدين الآخر، فلم تتحد الصلاة فلي جميع الأديان ولا الصيام، ونحو ذلك.

وقد أجمع المسلمون علىٰ أن العبرة بما في القرآن من تفصيل للفروع والسنة، تكمل تفصيل ما أجمل.

وهنا النص الصريح بأن ذلك الذي جاء به القرآن هو دين القيمة، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، وهي أفعل تفضيل، فلا يمكن أن يعادل ويساوي مع

غيره أبدًا مع نصوص القرآن، بأن الله أخذ العهد علىٰ جميع الأنبياء لئن أدركوا محمدًاﷺ ليؤمنن به، ولينصرنه وليتبعنه، وأخذ عليهم العهد بذلك.

وقد أخبر الرسل أممهم بذلك، فلم يبق مجال في هذا الوقت ولا غيره لدعوة الجاهلية بعنوان مجوف وحدة الأديان، بل الدين الإسلامي وحده ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، وبالله تعالىٰ التوفيق.

وفي مجلة البحوث الإسلامية (٢٣/ ٢٢١): أما غير المعلن من النوايا، فهو ما يهدف دعاة هذه المبادئ من ورائه إلىٰ زعزعة الإسلام من النفوس، ومحاولة تقويض دعائمه لتثبيط الهمم عنه خوفًا وحسدًا: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ خاصة بعد أن أحسوا بعودة جديدة من المسلمين ولاسيما الشباب لدينهم، ورغبة من بعض المفكرين الغربيين الانتماء للإسلام عقيدة أو فكرًا أو دراسة.

إن وحدة الأديان التي يدعون إليها ليست جديدة، وإن تغيرت مسمياتها بما يحاول به دعاتها الخداع والمراوغة.

ولعل هذا مما يتضح لنا من استقراء الحوار الفكري في القرآن، ومجادلة أهل الكتاب مع رسول اللهﷺ، وإن أخذت التسمية الجديدة نمطًا خاصًا فهي في جوهرها تلتقي مع الأصل في الهدف والغاية، كما مر في الآيات السابقة قولهم: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾.

إن مشاركة المسلمين في أمثال هذه اللقاءات يجب أن ينطلق من العقيدة الإيمانية والحجة الداحضة، والفهم العميق لما يراد الدخول فيه، مع النية الصادقة.

وأن تكون الدعوة إلىٰ كلمة سواء، أبانها الله لرسولهﷺ في دعوة أهل

الكتاب للحق بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وفي مجلة جامعة أم القرىٰ:

ومن المسائل المعاصرة التي تتبع المسألة السابقة في تحريمها والمنع

منها: تحريم ما سُمّي بـ (زمالة الأديان)؛ لأن الأديان منسوخة بدين الإسلام، كما أن اليهودية والنصرانية وغيرها مبدلة، والزمالة تقتضي الندية والمساواة، والإسلام أعلىٰ.

ومثلها تحريم وحدة الأديان، وهو الخلط بينها، ولا يجوز خلط الإسلام وشرائعه بغيره من الشرائع والأديان، فالإسلام أعلىٰ.

ومنها: تحريم بناء مسجدٍ وكنيسة في موضع واحد.

وكذا: تحريم طبع المصحف والتوراة أو الإنجيل في كتاب واحد.

ويجب دعوة أهل الكتاب والمشركين من سواهم إلىٰ ترك الشرك وإلىٰ كلمة سواء، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، وأن أديانهم منسوخة به، وأن أهل الكتاب وغيرهم من المشركين علىٰ عبادة غير الله، وأن ما عندهم هو الباطل، وما عندنا هو الحق، ولا يجتمع الحق والباطل، لا في زمالةٍ ولا وحدة ولا كتاب.

بل يُدعىٰ أهل الكتاب وغيرهم من المشركين إلىٰ ترك الشرك والدخول في الإسلام، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤].

الفصل السابع: نتيجة القول بوحدة وتقارب واتحاد الأديان وحوارها بالصورة التي يريدونها يلزم منها ويترتب عليها إبطال لأبواب عظيمة وأحكام جسيمة وشرائع جليلة قويمة من هذا الدين الحنيف الصحيح

تقدم معنا الإشارة إلىٰ حرص الإسلام علىٰ تأدية الحقوق من المسلم إلىٰ من له حق عليه.

ومعلوم أن ديننا الإسلامي الذي ارتضاه الله ﷻ وشرعه وأحبه فيه أحكام ومعاملات مضبوطة ليست معرضة للتغيرات الحاصلة ولا قابلة للأفكار الحائرة.

فانظر أخي المسلم وفقك الله تعالىٰ إلىٰ نتائج القول بهذه الأفكار البائرة وهي:

أولًا: إلغاء حق الله سبحانه وتعالى:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟

ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل:٣٦].

والطاغوت هو: كل ما تجاوز حده من متبوع أو معبود أو مطاع، ورءوس الطواغيت خمسة: الشيطان، ومن لم يحكم بما أنزل الله، ومن عُبِدَ من دون الله وهو راض، ومن دعا إلىٰ عبادة نفسه، ومن أدعىٰ علم الغيب.

والله يقول: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد تقدمت أدلة كثيرة لا داعي لتكرارها، والذي يهمُّنا أن يُعرف أن القول بتقارب النصرانية واليهودية مع الإسلام علىٰ حد زعم أصحاب وحدة الأديان الصغرىٰ ما يسمىٰ بالإبراهيمية فيه الرضا بكون المسيح يُعبد من دون الله أو يُشرك مع الله مع أن الله قال في كتابه: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة:٧٢].

ويعترف أو يرضىٰ بكون أن الله ثالث ثلاثة والله يقول: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي

دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٣-٧٦].

ويرضىٰ بكون المسيح ابن الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٤-٣٦].

فهل يرضىٰ مسلم عنده مزعة من فهم و محبة للدين بمثل هذه الأقوال البائرة والأفكار الحائرة؟ لا والله ولا يرضىٰ بهذا إلَّا من مسخت فطرته وتغيرت حالته، فاللهم سلم.

وكذلك القول بالوحدة أو الإتحاد أو التقارب أو الحوار بمعنىٰ التنازل، كل هذا يؤدي إلىٰ الرضا بما هم عليه من الكفر والعناد والزندقة وضياع الدين والعياذ بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

مفهوم الآية أن اليهود والنصارىٰ أهل شرك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٦].
وصفهم الله بالنقائص والمعائب ثم تأتي أنت تتقارب معهم ياالله العجب هل يعقل هذا ممن لديه مزعة من دين وعقل ؟ لا والله.

وأما أصحاب القول بالوحدة الإنسانية فقولهم أظهر ضلالًا وأعظم بطلانًا وحكايته تغني عن رده؛ لأن هذا التقارب يعني دعوة الرسل من زمن نوح عليه السلام وإلىٰ يومنا هذا وذلك لاجتماع كل البشر في الإنسانية.

ثانيًا: الطعن في الله ﷻ وحكمته وعدله وعلمه والطعن في رسوله ﷺ:

من المعلوم أن الله أرسل محمدًا ﷺ وشرع له الجهاد وأباح له دماء اليهود والنصارىٰ وأعراضهم وأموالهم وجميع من خالفه في هذه الملة وهذه الشريعة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**وجعل رزقي تحت ضل رمحي**»، وفي بعض الأحاديث: «**بعثت بالسيف**».

ومعلوم: أن رسول الله ﷺ قد قاتل اليهود وسبىٰ منهم وقتّل وشرّد ونكّل إذلالًا لهم ولدينهم الباطل المخالف.

قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى

ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٢-٧].

وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢٥-٢٧].

وأخرج البخاري (٤٠٢٨) ومسلم (١٧٦٦): عَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيظَةُ، فَأَجلَىٰ بني النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيظَةَ وَمَنَّ عَلَيهِم، حَتَّىٰ حَارَبَت قُرَيظَةُ فقتَلَ رِجالَهُم وَقَسَمَ نِساءَهُم وَأَولادَهُم وَأَموالَهُم بينَ المُسلِمينَ إِلَّا بَعضَهُم لَحِقُوا بالنبي ﷺ فَآمَنَهُم وَأَسلَمُوا، وَأَجلَىٰ يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُم بني قَينُقَاعَ وَهُم رَهطُ عَبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وَيَهُودَ بني حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ.

وقد تقدم إرسال رسول الله ﷺ من يقتل كعب بن الأشرف، وقتل أبي رافع تاجر الحجاز، وغيرها من القصص التي تؤكد قتال النبي ﷺ لليهود بسبب حرابهم ونقضهم للعهود والمواثيق.

وقد تقدم حديث أبي هريرة عند الشيخين وفيه: «**يا معشر اليهود اسلموا تسلموا**».

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة الخندق جاءه جبريل عليه السلام وقد وضع سلاحه واغتسل فقال للنبي ﷺ: قد وضعت سلاحك ؟ والله ما وضعناه فأخرج إليهم قال: «**فإلىٰ أين**» قال: هاهنا وأشار إلىٰ بني قريضة فخرج النبي ﷺ إليهم، وكان الحكم العظيم فيهم من سعد بن معاذ رضي الله عنه كما في الصحيح عن أبي سَعِيدٍ الخُدرِيَّ ﷺ يَقُولُ نَزَلَ أَهلُ قُرَيظَةَ عَلَىٰ حُكمِ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ، فَأَرسَلَ النبي ﷺ إِلَىٰ سَعدٍ، فَأَتَىٰ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسجِدِ قَالَ لِلأَنصَارِ: «**قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُم أَو خَيرِكُم**». فَقَالَ: «**هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكمِكَ**». فَقَالَ تَقتُلُ مُقَاتِلَتَهُم وَتَسبِىٰ ذَرَارِيَّهُم. قَالَ: «**قَضَيتَ بِحُكمِ اللهِ**». وَرُبَّمَا قَالَ «**بِحُكمِ المَلِكِ**».

وغزا رسول الله ﷺ خيبر قال أنس كما عند البخاري (٤٢٠٠) صلىٰ رسول الله ﷺ الصُّبحَ قَرِيبًا مِن خَيبَرَ بِغَلَسٍ ثُمَّ قَالَ: «**اللهُ أَكبَرُ خَرِبَت خَيبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلنَا بِسَاحَةِ قَومٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرِينَ**». فَخَرَجُوا يَسعَونَ فِي السِّكَكِ، فَقَتَلَ النبي ﷺ المُقَاتِلَةَ، وَسَبَىٰ الذُّرِّيَّةَ، وَكَانَ فِي السبي صَفِيَّةُ، فَصَارَت إِلَىٰ دِحيَةَ الكَلبِيِّ، ثُمَّ صَارَت إِلَىٰ النبي ﷺ، فَجَعَلَ عِتقَهَا صَدَاقَهَا.

وفي حديث سهل بن سعد ﷺ المتفق عليه دلالة صريحة علىٰ كفرهم لمن كان في شك من أمره، قال: قَالَ النبي ﷺ يومَ خَيبَرَ: «**لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفتَحُ عَلَىٰ يَدَيهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**». فَبَاتَ النَّاسُ لَيلَتَهُم أَيُّهُم يُعطَىٰ فَغَدَوا كُلُّهُم يَرجُوهُ فَقَالَ: «**أَينَ عَلِيٌّ**». فَقِيلَ يَشتَكِىٰ عَينَيهِ، فَبَصَقَ فِي عَينَيهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَن لَم يَكُن بِهِ وَجَعٌ، فَأَعطَاهُ فَقَالَ أُقَاتِلُهُم حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثلَنَا. فَقَالَ:

«انفُذ عَلَىٰ رِسلِكَ حَتَّىٰ تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادعُهُم إِلَىٰ الإِسلاَمِ، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم، فَوَاللهِ لأَن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكُونَ لَكَ حُمرُ النَّعَمِ».

وكذلك بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة علىٰ رأس جيش إلىٰ الشام لمقاتلة النصارىٰ في تلك الجهة حتىٰ يدخلوا في الإسلام، وذلك لما ظهر مكرهم وبغيهم وحرابهم للدين الحق.

وبعث عمرو بن العاص في معركة ذات السلاسل.

ثم بعد موته ﷺ توالت وتتابعت البعوث والفتوحات حتىٰ فتحت الشام ومصر، وغيرها من بلدان الله ﷻ، ولم يرضىٰ المسلمون من اليهود والنصارىٰ بغير ما في حدث بريدة رضي الله عنه إمَّا الإسلام والجزية أو الحرب.

وذكر الإمام ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢ / ٦٥٧ -٦٦١): قال عبد الله بن الإمام أحمد: كتب أهل الجزيرة إلىٰ عبد الرحمن بن غنم إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، علىٰ أنا شرطنا لك علىٰ أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرًا ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين، وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوسًا.

وألا نكتم غشًّا للمسلمين وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضربًا خفيًّا في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبًا ولا ترفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليبًا ولا كتابًا في سوق المسلمين،

وألا نخرج باعوثًا قال والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحىٰ والفطر ولا شعانين، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق لمسلمين.

وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور ولا نظهر شركا ولا نرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحدًا ولا نتخذ شيئًا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين وألا نمنع أحدًا من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام.

وأن نلزم زينا حيثما كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم، وأن نجز مقادم رءوسنا ولا نفرق نواصينا ونشد الزنانير علىٰ أوساطنا.

ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن.

ولا يشارك أحد منا مسلمًا في تجارة إلا أن يكون إلىٰ المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد ضمنًا لك ذلك علىٰ أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا علىٰ أنفسنا وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق.

كتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلىٰ عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إليه عمر أن أمض لهم ما سألوا وألحق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا علىٰ

أنفسهم ألا يشتروا من سبايانا شيئا ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده.

فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام علىٰ هذا الشرط. اهـ

فانظر هداك الله كيف يفرق هؤلاء بين المسلمين واليهود والنصارىٰ علىٰ أن اليهود والنصارىٰ يعاملون معاملة المشركين لأنهم كذلك أصلًا، وما نُظر إلىٰ مواطن الاشتراك والإتلاف أبدًا.

فعُلم أن ينادي إلىٰ هذه الأفكار قد أتهم الله في حكمته وعدله حيث شرع لنا قتال هؤلاء الناس علىٰ حد تعبير المتقاربين وهم ليسوا بكفار وإن لم يلتزموا ذلك فليقروا بكفرهم ويريحوا المسلمين من شرهم.

ثالثًا: هذا القول منهم يؤدي إلىٰ الطعن في كتاب الله المنزل علىٰ محمدﷺ؛ وهو القرآن:

لما في هذا الكتاب من الدعوة إلىٰ مباينتهم ومخالفتهم ومقاتلتهم وعدائهم وعدم محبتهم ومودتهم وموالاتهم، فوصفهم بأقبح الأوصاف بالحسد والبغي والبهت، وأنهم مغضوب عليهم وضالون وملعونون كما تقدم معنا.

فمعناه إما أن يكون القرآن وصفهم بغير ما يستحقون كما هو لازم كلام هؤلاء وهذا باطل، وإما أن يكون الدعاة إلىٰ هذه الأفكار في عقولهم لَوَث، وما أحوجهم إلىٰ مثل درة عمر رضي الله عنه حتىٰ يراجعوا دينهم، والله المستعان وعلىٰ قولهم يجب أهدار القرآن والعمل به والدعوة إليه.

رابعًا: في هذه الدعوة طعن في رسالة محمدﷺ من أُسها إلىٰ رأسها:

حيث وهو الذي جاء بالقرآن وحذر من مولاتهم ومن التشبه بهم حتىٰ قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ومواقفهﷺ معهم معلومة، وما مر معك في كيفية حوارهم كاف في الباب، ولكن طُمِست البصائر وتنكست الفطر، والله المستعان

وهذا القول يؤدي إلىٰ إبطال رسالته وعموم دعوتهﷺ، وغير ذلك من لوازم أقوال هؤلاء المبطلين وأفعالهم.

خامسًا: في هذه الدعوة إلغاء أحكام أهل الذمة:

وقد تقدم الإشارة إلىٰ بعضها ولازم هذه الدعوة إلىٰ أن أهل الذمة لا يدفعون جزية، ولا يمنعون من إظهار شعائرهم ودينهم المغير المبدل، وإذا حصل منهم ما ينقض العهد لا يُنقض عهدهم لأنهم ليسوا بكافرين، أو قل علىٰ حق فيما هم فيه وزد علىٰ ذلك جواز بناء الكنائس والدير واظهار الشعائر وهذا خلاف إجماع المسلمين .

سادسًا: في هذه الفكرة دعوة إلىٰ إلغاء أحكام المواريث في الكتاب والسنة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن النبيﷺ قال: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**»، وهؤلاء ليس عندهم تفريق بين أهل الأديان.

قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة ٢ / ٤٥٢): وأما توريث الكافر من المسلم فلم يختلف فيه أحد من الفقهاء أنه لا يرثه.

سابعًا: القول بهذه الفكرة دعوة إلىٰ إلغاء أحكام نكاح المسلمين:

الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١].

ولا يكون الكافر وليًّا للمسلمة ولا محرمًا لها بأي حال، وهؤلاء عندهم كلنا علىٰ دين سماوي زعموا وهم علىٰ دين الإلحاد والزندقة والعناد والكفر والجحود.

ثامنًا: هذا القول يؤدي بل قد أدىٰ في بعض البلدان إلىٰ الدعوة إلىٰ إلغاء أحكام الردة بين المسلمين:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال ﷺ كما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

وفي الصحيحين عن أبي موسىٰ رضي الله عنه لما قدم عليه معاذ رضي الله عنه ووجد رجلًا مربوطًا، فقال ما شأنه؟ قال: هذا يهودي أسلم ثم راجع دينه دين السوء، فقال معاذ رضي الله عنه لا أنزل حتىٰ يُقتل قضاء الله ورسوله.

قال النووي رحمه الله (٢٠٨-٢٠٩): قوله فِي اليَهُودِيّ الَّذِي أَسلَمَ ثُمَّ اِرتَدَّ فَقَالَ: لا أَجلِس حَتَّىٰ يُقتَل فَأَمَر بِهِ فَقُتِلَ.

فِيهِ: وُجُوب قَتل المُرتَدّ، وَقَد أَجمَعُوا عَلَىٰ قَتله، لَكِن اِختَلَفُوا فِي اِستِتَابَته، هَل هِيَ وَاجِبَة أَم مُستَحَبَّة ؟ وَفِي قَدرهَا وَفِي قَبُول تَوبَته، وَفِي أَنَّ المَرأَة كَالرَّجُلِ فِي ذَلِكَ أَم لا ؟

فَقَالَ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَحمَد وَالجَمَاهِير مِن السَّلَف وَالخَلَف: يُستَتَاب، وَنَقَلَ اِبن القَصَّار المَالِكِيّ إِجمَاع الصَّحَابَة عَلَيهِ.

وَقَالَ طاوس وَالحَسَن وَالمَاجِشُون المَالِكِيّ وَأَبُو يُوسُف وَأَهل الظَّاهِر: لا يُستَتَاب، وَلَو تَابَ نَفَعَتهُ تَوبَته عِند الله تَعَالَىٰ، وَلا يَسقُط قَتله لِقَولِهِ ﷺ: «**مَن بَدَّلَ دِينه فَاقتُلُوهُ**».

وَقَالَ عَطَاء: إِن كَانَ وُلِدَ مُسلِمًا لَم يُستَتَب، وَإِن كَانَ وُلِدَ كَافِرًا فَأَسلَمَ ثُمَّ اِرتَدَّ يُستَتَاب.

وقَالَ ابنُ عُمَرَ والزهري وَإِبرَاهِيمُ: تُقتَلُ المُرتَدَّةُ وَاستِتَابَتِهِم.

وَاختَلَفُوا فِي أَنَّ الاستِتَابَة وَاجِبَة أَم مُستَحَبَّة؟ وَالأَصَحّ عِند الشَّافِعِيّ

وَأَصحَابه أَنَّهَا وَاجِبَة، وَأَنَّهَا فِي الحَال، وَلَهُ قَول إِنَّهَا ثَلاثَة أَيَّام، وَبِهِ قَالَ مَالِك وَأَبُو حَنِيفَة وَأَحمَد وَإِسحَاق، وَعَن عَلِيّ أَيضًا أَنَّهُ يُستَتَاب شَهرًا.

قَالَ الجُمهُور: وَالمَرأَة كَالرَّجُلِ فِي أَنَّهَا تُقتَل إِذَا لَم تَتُب، وَلا يَجُوز اِستِرقَاقهَا، هَذَا مَذهَب الشَّافِعِيّ وَمَالِك وَالجَمَاهِير، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَة وَطَائِفَة: تُسجَن المَرأَة وَلا تُقتَل، وَعَن الحَسَن وَقَتَادَة أَنَّهَا تُستَرَقّ. اهـ

والراجح قتل المرتد ذكرًا كان أم أنثًا، حرًّا كان أم عبدًا، للحديث السابق، وقد تكلمت عن المسألة بحمد الله في كتابي «تحذير أولي النهىٰ والمدارك لما في سفك الدم المحرم من المهالك».

ومن المعلوم أن طاعة أهل الكتاب سبب للردة والعياذ بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠].

فلترجع لأحكام المرتدين في كتب الفقه.

لكن ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن الردة قد تحصل من الشخص بعدة أوجه منها:

- عمل السحر، فإن الساحر كافر ولو أدعىٰ أنه مسلم، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[البقرة:١٠٢].

- الرضا بما عليه اليهود والنصارىٰ من الدين المحرف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

ويقول: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

- اعتقاد أنهم علىٰ شيء، والله ﷻ قد كفرهم في عدة مواطن من القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المائدة:٦٨].

- التحاكم إلىٰ غير شرع الله ﷻ رغبة عن شرعه وحكمه سبحانه، قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]. وقد تقدم معنا تعريف الطاغوت.

- زعم أن هذا الدين لا يصلح لهذا الزمان، والله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ويقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٣-١٥].

- الدعوة إلىٰ وحدة الأديان، وهو موضوع بحثنا هذا.

وفي فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ٨) السؤال الثاني والثالث من الفتوىٰ رقم (٧١٥٠).

س٢: يقال: إن الردة قد تكون فعلية أو قولية، فالرجاء أن تبينوا لي باختصار واضح أنواع الردة الفعلية والقولية والاعتقادية ؟

ج٢: الردة هي الكفر بعد الإسلام، وتكون: بالقول، والفعل، والاعتقاد، والشك، فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة من صفاته أو بعض كتبه أو رسله، أو سب الله أو رسوله.

أو جحد شيئًا من المحرمات المجمع علىٰ تحريمها أو استحله، أو جحد وجوب ركن من أركان الإسلام الخمسة، أو شك في وجوب ذلك أو في صدق محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء، أو شك في البعث، أو سجد لصنم أو كوكب ونحوه فقد كفر وارتد عن دين الإسلام.

وبهذا تعلم من الأمثلة السابقة الردة القولية والعملية والاعتقادية وصورة الردة في الشك، وعليك بقراءة أبواب حكم الردة من كتب الفقه الإسلامي فقد اعتنوا به رحمهم الله. اهـ

وقالوا في (٢/ ٣٠): السؤال الثالث من الفتوىٰ رقم (٩٤٣٨):

س٣: لقد صرح القرآن الكريم بتكفير أهل الكتاب إلا الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ (القرآن)، أما الذين قالوا من اليهود: إن عزير ابن الله، وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، والعياذ بالله وصرح القرآن الكريم بتكفيرهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]، ولكن مع هذه الحجة القطعية وجدنا بعض العلماء يقولون: إن أهل الكتاب ليسوا كفارًا، وإنما كانوا أهل الكتاب فقط. أفيدونا عن هذه المسائل.

ج٣: من قال ذلك فهو كافر؛ لتكذيبه بما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٠-٧٤].

وقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ

ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٠-٧٤].

وقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]، وقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]... إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تاسعًا: القول بهذه الدعوة يضعف جانب الولاء والبراء:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الممتحنة:١].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

قال ابن كثير في تفسيره: وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من

الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة علىٰ كل خير دنيوي و أخروي، يتخذونها ﴿هُزُوًا﴾ يستهزئون بها ﴿وَلَعِبًا﴾ يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد كما قال القائل:

وَكَم مِن عائبٍ قولا صَحِيحًا   وآفَتُهُ مِن الفَهمِ السَّقِيمِ

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾، (من) هاهنا لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠] وقرأ بعضهم: ﴿وَالكُفَّارِ﴾ بالخفض عطفًا، وقرأ آخرون بالنصب علىٰ أنه معمول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تقديره: ولا الكفار أولياء، أي: لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ينهىٰ تعالىٰ عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارىٰ الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطىٰ ذلك فقال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويقول سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

ويقول تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

وإنما موالاة المسلم تكون لأخيه المسلم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما ذكر الله تعالىٰ صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضًا**»، وشبك بين أصابعه.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**مثل المؤمنين**

في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر».

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقوله تعالىٰ:﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: يطيعون الله ويحسنون إلىٰ خلقه،﴿ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿أُولَئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللهُ﴾ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ﴿حَكِيمٌ﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالىٰ. اهـ

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

قال ابن كثير في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله والمؤمنون. اهـ

وفي فتوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ٦٤)، السؤال الثامن من الفتوىٰ رقم (٤٢٤٦):

س٨: ما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:١٣]، وما معنىٰ الولاية معهم؟ وهل تكون الولاية أن تذهب إليهم وتحدثهم وتكلمهم وتضحك معهم؟

ج٨: نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين أن يوالوا اليهود وغيرهم من الكفار ولاء ود ومحبة وإخاء ونصرة، وأن يتخذوهم بطانة ولو كانوا غير محاربين للمسلمين؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال: وما في معناها من نصوص الكتاب والسنة، ولم ينه الله تعالىٰ المؤمنين عن مقابلة معروف غير الحربيين بالمعروف أو تبادل لمنافع المباحة معهم من بيع وشراء وقبول الهدايا والهبات.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اهـ

وأوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله ﷻ، فإذا ضيع هذا

الجانب ضاعت الكثير من شعائر الدين ومئاثره واختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين والكفر بالإسلام، فيارب سلم.

عاشرًا: القول بهذه الدعوة يُضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين وقوائمه العظيمة، وبه تظهر الشعائر وتقل المنكرات من الكبائر والصغائر، واستحقت هذه الأمة الخيرية لتطبيقه والعمل به.

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

ولعن الله اليهود والنصارىٰ، ولُعِنوا علىٰ لسان داود وعيسىٰ -عليهما السلام- بسبب تركِه هذه الشعيرة، قال الله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة:٧٨].

قال ابن كثير: يُخبِرُ تعالىٰ أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل علىٰ داود نبيه عليه السلام، وعلىٰ لسان عيسىٰ بن مريم عليه السلام، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم علىٰ خلقه.

قال العَوفِيّ، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة وفي الإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩] أي: كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم علىٰ ذلك ليحذر أن يُركَبَ مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسند (١/ ٣٩١): حدثنا يزيد حدثنا شَرِيك ابن عبد الله، عن علي بن بَذيمة عن أبي عُبَيدة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم -قال يزيد: وأحسبه قال: وأسواقهم- وواكلوهم وشاربوهم. فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم علىٰ لسان داود وعيسىٰ ابن مريم عليهما السلام، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**»، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس فقال: «**لا والذي نفسي بيده حتىٰ تأطروهم علىٰ الحق أطرًا**». اهـ قول ابن كثير.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عند مسلم (٤٩) قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا فَليُغَيِّرهُ بِيَدِهِ فَإِن لَم يَستَطِع فَبِلِسَانِهِ فَإِن لَم يَستَطِع فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ**».

وبهذه الفكرة يُضعف هذا الجانب بل ربما يموت، لا تنكر علىٰ مشرك ولا مثلِث ولا يهودي ولا نصراني ولا بوذي ولا مجوسي، ولا تنكر زنا ولا فجور ولا سكر ولا خمور، بل الكل في دينهم مباح، فهل بعد هذا الضلال من ضلال ؟ وهل بعد هذا الانحراف من انحراف ؟ اللهم سلم.

وقد تكلمت بحمد الله علىٰ هذه الشعيرة بتوسع في كتاب «الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية».

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجر إلىٰ تمييع المسلمين عن دينهم والدعوة إلىٰ رفع أحكام الإسلام، وظهور أحكام عُبَّاد الطواغيت والأصنام والأوثان والأزلام.

وخلاصة الكلام: أن هذه الفكرة تمجها العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولا يتأثر بها إلَّا من كان كالأنعام بل هم أضل: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]. وماذا يُرجىٰ ممن هذا حاله وكيف سيكون مآله.

الحادي العشر: ويلزم من هذا القول إلغاء شعيرة دعوة الكفار إلىٰ الله مع أنها من الشعائر العظيمة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[يوسف:١٠٨].

ورسول الله ﷺ كما تقدم كان يدعو اليهود والنصارىٰ والمجوس ومشركي العرب إلىٰ الإسلام، إما إذا حكمنا أن هؤلاء علىٰ شيء فلا دعوة، والله المستعان.

الثاني عشر: ويلزم من هذا القول تعطيل منهج الجرح لأهل الباطل والتعديل لأهل الحق:

جرح أهل الباطل جهاد في سبيل الله، بل من أعظمه قال رسول الله ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**». أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه.

وإذا كان منهج اليهود المُحرّف المُبدّل منهج القبول علىٰ حد زعمهم، والنصارىٰ كذلك، فمن باب أولىٰ السكوت عن أهل البدع من المسلمين لأنهم أقرب من هؤلاء.

الثالث عشر: فيه الطعن في الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله:

فيه الطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم من حيث أنهم ما تقاربوا مع اليهود والنصارىٰ، بل قاتلوهم، وأجلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تبقىٰ من يهود خيبر، ولم يكن لهم نكير في ذلك.

وأيضًا استباحوا أموالهم وسبوا نسائهم وأخذوهم رقيق، وهذا علىٰ حد تعبير هؤلاء المقاربين لا يجوز وكانوا يأخذون منهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون كما تقدم بيان ذلك.

الرابع عشر: فيه تكريم العُصاة والملحدين وإقصاء المستقيمين:

وهذا يظهر جليًّا، لأن المستقيم المتمسك بالكتاب والسنة يعرف فساد هذه الدعوة وهم أنما يقربون من يرضىٰ بشرهم ويتقبل أقوالهم وأفعالهم.

الخامس عشر: فيه الطعن في رسل الله ﷺ:

حيث وجميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يدعون إلىٰ عبادة الله الحق: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ وهؤلاء يقربون هؤلاء المشركين من عباد عزيز والمسيح عليه السلام وغيرهم.

وأيضًا اليهود قتلوا كثيرًا من الأنبياء عليهم السلام وكذبوهم، قال تعالىٰ: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ ومع ذلك يُرضىٰ عنهم: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدثر:٣٥].

السادس عشر: فيه الرضا بالطعن في الله ﷻ:

اليهود يزعمون أن يد الله مغلولة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة:٦٤].

ويزعمون أن الله فقير قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران:١٨١].

ويزعمون أن الله لما خلق السموات والأرض أرتاح في اليوم السابع، مع أن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨].

والنصارىٰ يزعمون لله الصحابة والولد، تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا، والله يقول: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

ويقول: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٩٢].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٨٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ وَلَم يَكُن لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَم يَكُن لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقدِرُ أَن أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتمُهُ إِيَّايَ فَقَولُهُ لِي وَلَدٌ، فسبحاني أَن أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَو وَلَدًا».

وبعد هذا فإذا نحن تقاربنا مع هؤلاء الكفرة وتوحدنا فقد رضينا بالطن في ربنا ﷻ، ونحن مسلمون لله منقادون لشرعه طائعين له سبحانه وتعالى، منزهين له عن كل نقص وعيب، مثنين عليه بالكمال والإحسان والخير.

فشتان ما بين اليزيدين في الندىٰ ... يزيد سليم والمثنىٰ بن عامر

السابع عشر: فيه الرضىٰ بالطعن في جبريل والملائكة عليهم السلام:

اليهود عدوهم اللدود جبريل عليه السلام وقد تقدم حوارهم مع النبي ﷺ، وبيان ذلك عنهم، وإذا تم التقارب مع أبناء القردة والخنزير لابد من الرضا بما هو كفر.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

الثامن عشر: فيه الرضا بالكتب المحرفة تفصيلًا:

حيث ومن لوازم التقارب مع هؤلاء القوم الرضىٰ بما هم فيه من الاعتقادات والمعاملات المأخوذة من الكتب المحرفة لأنها عند هؤلاء المتقاربين علىٰ شيء، والله سبحانه يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

التاسع عشر: فيه تعطيل أحكام جنائز الكافرين وإلحاقهم بالمسلمين:

لأنه علىٰ حد تعبيرهم يجوز الصلاة عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين، وغُسلِهم، وتكفينهم، مع أن هذا كرامة للمسلم، دون غيره إذ أن غير المسلم يُلقىٰ كإلقاء الكلاب، كما فعل رسول الله ﷺ بالمشركين في غزوة بدر، ويغيبون من أجل أن لا يتأذىٰ المسلمون بنتنهم.

وقد قال رسوله الله ﷺ لعي بن أبي طالب رضي الله عنه حين مات أبو طالب: «**اذهب فواره ولا تُحدثنَّ شيئًا**».

بل قد بهم الحد إلىٰ السعي لجعل القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه المحفوظ بحفظ الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ المهيمن علىٰ غيره من الكتب في دفة واحدة مع التوراة المحرفة والمبدلة والمغيرة والإنجيل المحرف المبدل.

قال تعالىٰ: ﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فإلىٰ أين إلىٰ أين النجاة ببغلتي أتاكِ أتاكِ احبسي احبسي

العشرون: فيه جواز الدعاء للكافرين:

لأنهم إخوان للمسلمين، علىٰ حد تعبير أصحاب الحوارات التقاربية.

الحادي والعشرون: فيه الرضا بالشركيات والبدع والخرافات:

لما تقدم من بيان شركهم وبعدهم عن الحق.

الثاني والعشرون: فيه أيضًا: جواز بدائهم بالسلام وعدم التضييق عليهم في الطريق، وهذا خلاف ما عليه ديننا الإسلامي، وقد مر معنا هذا.

الثالث والعشرين: فيه إهدار الكتب والعلم والتعليم:

لأن هذا الباب سبب للتفقه في دين الله ﷻ، ومعرفة الحق من الباطل، وعلىٰ حد تعبيرهم إذا كان ما عليه اليهود والنصارىٰ حق، فمن باب أولىٰ ما عليه جُهال المسلمين، وأهل بدعهم ولا حاجة للعلم والفقه

الرابع والعشرون: فيه تعطيل أحكام الكافرين في الآخرة:

حيث إذا حُكِمَ لليهود والنصارىٰ بالإيمان يحكم لهم بالجنة، وربُّنا يقول: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة:١-٢].

وفي حديث أبي سعيد ﷺ عند الشيخين عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ أَنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النبي ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، هَل نَرىٰ رَبَّنَا يوم القِيَامَةِ ؟ قَالَ النبي ﷺ: «**نَعَم، هَل تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ الشَّمسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوءٌ لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ**».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «**وَهَل تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، ضَوءٌ لَيسَ فِيهَا سَحَابٌ**».

قَالُوا: لَا.

قَالَ النبي ﷺ: «**مَا تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ اللهِ ﷻ يومَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تتبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَت تعبُدُ. فلَا يَبقَىٰ مَن كَانَ يَعبُدُ غَيرَ اللهِ مِنَ الأَصنَامِ وَالأَنصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يبقَ إِلَّا مَن كَانَ يَعبُدُ اللهَ، بَرٌّ أَو فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهلِ الكِتَابِ.**

فَيُدعَىٰ اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُم مَن كُنتُم تَعبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعبُدُ عُزَيرَ ابنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُم كَذَبتُم، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ ولَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبغُونَ فَقَالُوا عَطِشنَا رَبَّنَا فَاسقِنَا. فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحطِمُ بَعضُهَا بَعضًا فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ.

ثُمَّ يُدعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُم مَن كُنتُم تَعبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعبُدُ المَسِيحَ ابنَ

اللهِ. فَيُقَالُ لَهُم كَذَبتُم، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ ولَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُم مَاذَا تَبغُونَ فَكَذَلِكَ مِثلَ الأَوَّلِ.

حَتَّىٰ إِذَا لَم يَبقَ إِلَّا مَن كَانَ يَعبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ أَو فَاجِرٍ، أَتَاهُم رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدنَىٰ صُورَةٍ مِنَ التي رَأَوهُ فِيهَا، فَيُقَالُ مَاذَا تَنتَظِرُونَ تَتبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَت تَعبُدُ. قَالُوا فَارَقنَا النَّاسَ فِي الدُّنيَا عَلَىٰ أَفقَرِ مَا كُنَّا إِلَيهِم، وَلَم نُصَاحِبهُم، وَنَحنُ نَنتَظِرُ رَبَّنَا الذي كُنَّا نَعبُدُ. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُم، فَيَقُولُونَ لَا نُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا. مَرَّتَينِ أَو ثَلاثًا». وفيه أنهم يحشرون إلىٰ النار، ويتساقطون فيها.

وأخرج الإمام مسلم، عَن أَبِىٰ هُرَيرَةَ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يهوديٌّ ولَا نصرانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤمِن بالذي أُرسِلتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِن أَصحَابِ النَّارِ».

الخامس والعشرون: فيه احترام الرأي والرأي والآخر:

إذا كنت اليهود علىٰ حق، والنصرانية علىٰ حق، والإسلام علىٰ حق، فلكل من هؤلاء احترام أفكار بعضهم بعضًا، وهذا فيه من الفساد ما الله به عليم.

السادس والعشرون: فيه تقديم الكتاب والسنة للمفاوضات، ومعارضته بالكتب المحرفة والأرآء الهدامة والعقول الكاسدة:

وهذا هو الواقع، وغالبًا يتركون حكم الكتاب والسنة، ويأخذون بما تلقيه عليهم عقولهم، وإن ناقض المعقول والمنقول.

السابع والعشرون: فيه إلغاء عزة المؤمنين وإعزاز من أذلهم الله من اليهود والنصارىٰ الكافرين:

يقول ربنا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

وهؤلاء جعلوا المسلمين كالكافرين في هذا الباب وغيره، والله المستعان، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

الثامن والعشرون: المساواة بين المساجد والكنائس في الأحكام:

المساجد هي أحب البقاع إلىٰ الله، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، والكنائس والبيع فيها ما الله به عليم من الشرك والإلحاد والبغي والعناد والفساد والإفساد، ومع ذلك يساوون بينها والله يقول: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾.

التاسع والعشرون: الرضا بالصلاة الباطلة المخالفة لصلاة المسلمين:

معنىٰ هذا أن اليهودي والنصراني يصلي بصلاته المعروفة عنده مع أنها تخالف صلاة المسلمين جملة وتفصيلًا، مع أنك تجد أن صلاة المسلم تبطل إما بنقض الوضوء، أو مس الذكر بدون حائل، أو عدم قراءة الفاتحة، أو عدم إتمام الركوع والسجود فيها، ودواليك، وهؤلاء علىٰ حد تعبير أهل الوحدة صلاتهم حقه.

الثلاثون: فيه الرضا بحج الكفار إلىٰ المشاهد والأماكن المبتدعة الشركية، ومساواة ذلك بحج المسلمين إلىٰ البلد الأمين.

الحادي والثلاثون: فيه المساواة بين طهارة المسلمين التي فيها الخير العظيم في الدنيا والآخرة ونجاسة الكافرين التي فيها الشر العظيم في الدنيا والآخرة.

الثاني والثلاثين: فيه جواز عتق رقبة من اليهود والنصارىٰ في الكفارات:

مع أنه لا تجزئ في الكفارات إلَّا رقبة مؤمنة علىٰ الراجح من أقوال أهل العلم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[النساء:٩٢].

الثالث والثلاثون: فيه القول بالمساواة مع المسلمين:

والله ﷻ يقول: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

ويقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:١٠٠].

ويقول تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

ويقول: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

الرابع والثلاثون: فيه جواز دفع الزكاة إلىٰ الكافرين:

مع أن مصارفها ثمانية معروفة في قول الله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٠].

ورسول الله ﷺ، يقول: «فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً في أَموَالِهِم، تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِم». متفق عليه، عن معاذ رضي الله عنه.

الخامس والثلاثون: فيه جواز الإمارة فيهم:

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١].

ورسول الله ﷺ يقول: «اسمعوا وأطيعوا إِلَّا أَن تَروا كُفرًا بَوَاحًا عِندَكُم مِنَ اللهِ فِيهِ بُرهَانٌ»، أخرجاه، من حديث عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه.

السادس والثلاثون: فيه عدم الخروج علىٰ الحاكم الكافر:

السابع والثلاثون: فيه جواز الأمر بالنصرة لهم:

والله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٢-٧٣].

والآية ظاهرة الدلالة أن النصرة إنما تكون للمؤمنين.

الثامن والثلاثون: فيه تولي من حاد الله ورسوله ﷺ:

وربُّنا يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٥-٥٧].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١].

ويقول أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة:١٣].

ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

التاسع والثلاثون: فيه إثبات الإيمان لهم:

والله يقول: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:١٣٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عبد الله بن صُوريا الأعورُ لرسول الله ﷺ: ما الهدىٰ إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارىٰ مثل ذلك. فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ ﴾. وقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ﴾ أي: لا نريد ما دعوتم إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ﴾. اهـ

والحنفية هي: ملة الإسلام التي كان عليها إبراهيم عليه السلام والأنبياء عليهم السلام.

وقد أمر الله عز وجل نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- والمؤمنين باتباعها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٩٥].

والحنيف هو المسلم، سمي بذلك لميله وعدوله عن الشرك وأمور الجاهلية إلى توحيد الله تعالى وأخلاق أهل الحنيفية السمحة.

فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إليك ؟ قال: «**الحنيفية السمحة**».

ونحن نثبت أنَّ منهم مؤمنون، كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٩].

لكن منهم هؤلاء هؤلاء أمثال عبد الله بن سلام وغيره ممن دخل في الإسلام.

الأربعون: فيه القود بينهم وبين المسلمين:

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يقتل مسلم بكافر**»، كما عند البخاري: عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟

قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلت وما في الصحيفة قال: «**العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر**».

الحادي والأربعون: فيه التكافؤ بين دماء المسلمين ودمائهم:

أخرج الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين عن قيس بن عبادة قال: دخلت أنا و الأشتر علىٰ علي بن أبي طالب ﷺ يوم الجمل فقلت: هل عهد إليك رسول الله ﷺ عهدًا دون العامة ؟ فقال: لا إلا هذا و أخرج من قراب سيفه فإذا فيها: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم و يسعىٰ بذمتهم أدناهم و هم علىٰ من سواهم لا يقتل مؤمن بكافر و لا ذو عهد في عهده**» وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وقال أيضًا: و له شاهد عن أبي هريرة و عمرو بن العاص ﵄.

أما حديث أبي هريرة ﷺ: فقد علق الذهبي في التلخيص: علىٰ شرط البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يجير علىٰ أمتي أدناهم**».

و أما حديث عمرو بن العاص ﷺ: فمعروف في قتله محمد بن أبي بكر لما دخل عليه قال له: محمد بن أبي بكر ؟ قال: نعم قال: بأمان جئت ؟ قال: لا، قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم**» الحديث.

الثاني والأربعون: فيه جعل ديتهم كدية المسلم:

وفي الحديث: «**دية الكافر نصف دية المسلم**».

الثالث والأربعون: فيه أمضاء أمانهم وعهدهم:

وفي الحديث: «**ذمة المسلمين واحدة يسعىٰ بها أدناهم**».

وفي حديث قيس بن عبادة السابق في حق المؤمنين: «**ويسعىٰ بذمتهم أدناهم وهم علىٰ من سواهم**».

الرابع والأربعون: فيه إبرار أقسامهم:

وهذا إنما هو في حق المسلمين.

الخامس والأربعون : عيادة مريضهم غاية ما فيه الجواز أو الاستحباب إن كان للدعوة، وعلىٰ القول بإيمانهم تجب عيادتهم واتباع جنائزهم وجوبًا كفائيًّا.

السادس والأربعون: في إلغاء فوراق اللباس وجواز التشبه بهم:

وقد تقدم الكلام في وجوب مخالفتهم.

السابع والأربعون: فيه قبول شهادتهم وتعديلهم:

والله يقول: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢].

الثامن الأربعون: فيه جواز دخولهم المسجد الحرام:

وربُّنا يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٢٨].

التاسع والأربعون: فيه جواز استطانهم في جزيرة العرب:

بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجعُهُ فَقَالَ: «**ائتُونِي بِكَتِفٍ أَكتُب لَكُم كِتابًا لَا تَضِلُّوا بَعدهُ أَبَدًا**». فَتَنَازَعُوا ولَا يَنبَغِي عِندَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ فقَالُوا مَا لَهُ أَهَجَرَ استَفهِمُوهُ. فَقَالَ: «**ذَرُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيرٌ مِمَّا تَدعُونِي إِلَيهِ**» فَأَمَرَهُم بِثَلَاثٍ قَالَ: «**أَخرِجُوا المُشرِكِينَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفدَ بِنَحوِ مَا كُنتُ أُجِيزُهُم**»، وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ.

قَالَ الأصمَعِيّ جَزِيرَة العَرَب مَا بَين أَقصَىٰ عَدَن أَبيَن إِلَىٰ رِيف العِرَاق طُولًا وَمِن جدَّة وَمَا وَالاهَا إِلَىٰ أَطرَاف الشَّام عَرضًا، وَسُمِّيَت جَزِيرَة العَرَب لِإحَاطَةِ البِحَار بِهَا، يَعنِي بَحر الهِند وَبَحر القُلزُم وَبَحر فَارِس وَبَحر الحَبَشَة، وَأُضِيفَت إِلَىٰ العَرَب لأَنَّهَا كَانَت بِأَيدِيهِم قَبل الإسلام وَبِهَا أَوطَانهم وَمَنَازِلهم. وَقَالَ الخَلِيل بن أَحمَد وَهِيَ أَرض العَرَب وَمَعدِنُهَا.

الخمسون: فيه الرضا بجميع معاملاتهم:

لأنه قد تم الاعتراف بهم أنهم على شيء، وربُّنا يقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [المائدة:٦٨].

الحادي والخمسون: فيه قبول أخبارهم ورواياتهم:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهلَ الكِتَابِ، ولَا تُكَذِّبُوهُم**». وَقُولُوا: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦]. هذا إذا نقلوا من

كتبهم المحرفة، فكيف بغيرها.

الثاني والخمسون: فيه لا يقتل جريحهم في الحرب ولا يجوز سبيهم ولا أخذ غنائمهم:

لأن هذه الأحكام إنما هي في حق المؤمنين، والواقع خلاف ذلك.

الثالث والخمسون: إلغاء باب الغزو والجهاد:

لأن الجهاد إنما يكون ضد الكافرين، وهؤلاء شهد لهم محبوهم بالإيمان، والحق أنهم كافرون، والله أمر بقتالهم، قال تعالىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

وقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

فهم في حراب حتىٰ يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون ذليلون.

الرابع والخمسون: فيه أن التقارب مع الأديان رغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام:

والله يقول: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠].

فمن رام القرب من اليهودية والنصرانية، فضلًا عن سائر الملل الوثنية، فقد رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام التي هي الحنيفية المسلمة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]. أي فالزموها.

وقال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

قال قتادة كما في (جامع البيان ١/ ٥٨٨): رغب عن ملته اليهود والنصارىٰ، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وتركوا ملة إبراهيم. اهـ

ومع ذلك حاولوا انتحاله، فقال الله مكذبًا لهم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧]. أفاده القاضي في دعوة التقريب (٤ / ١٤٢٧).

الخامس والخمسون: فيه الرضا بالصلاة إلىٰ غير القبلة:

قال الله تعالىٰ عن المشركين واليهود ومن وافقهم من المنافقين: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٢-١٤٥].

السادس والخمسون: فيه الرغبة عن الصراط المستقيم:

وربُّنا يقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارىٰ.

وعن النواس بن سمعان ﷺ صاحب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا علىٰ كتفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة**» أخرجه أحمد، والحاكم في (المستدرك) وهو في صحيح الترغيب والترهيب و مشكاة المصابيح للألباني، عن ابن مسعود ﷺ.

فإذا كان الاعوجاج حاصل بين أبناء الأمة الواحدة، حتىٰ قال الرسول ﷺ: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: «**الجماعة**» وفي رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

وكما دل عليه حديث النواس ﷺ، فما بالك بمن يزعم التوافق بين أهل الدين الحق وهم المسلمون، وبين اليهود والنصارىٰ الكافرين.

السابع والخمسون: فيه لبس الحق بالباطل:

والحق هو الإسلام، والله ﷻ قد وبخ الله أهل الكتاب بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

وروىٰ بن جرير (٣/ ٣١١) عن سعيد بن أبي عروة عن قتادة ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ يقول لما تلبسون اليهودية بالنصرانية بالإسلام وقد علمتم أن دين الله لا يقبل غيره الإسلام ، وأخرج عن ابن جريج ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الإسلام باليهودية والنصرانية

الثامن والخمسون: فيه ابتغاءٌ لدينٍ غير الإسلام:

وهو دين مخلط من الحق وهو الإسلام، والباطل وهو تأليه المسيح عليه السلام وعزير، والإيمان بالإنجيل والتوراة المحرفتين، وجمع الحق مع الباطل من التناقضات، وربُّنا يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ في سياق كلامه علىٰ اليهود والنصارىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

التاسع والخمسون: تميع دين الإسلام ومفهوم الإيمان:

حيث زعموا أن الإيمان يشمل خصالًا ثلاث: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح.

مع أن هذا وحده لا يكفي حتىٰ يتم الإيمان بجميع أركان الإيمان، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وبيانها في حديث جبريل عليه السلام،، فأخبرني عن الإيمان. قال ﷺ: **«أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤمِنَ بِالبَعثِ وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ كُلِّهِ»**،

متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ودليل الإيمان بنبوة ورسالة محمدﷺ، لقول الله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ولحديث أبي هريرة ﷺ وغيره في الباب: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار**»، أخرجه مسلم.

الستون: فيه طمس الخصائص المميزة للدين الإسلامي:

وذلك في جميع العقائد والأحكام كما تقدم.

الحادي والستون: تقدم أنها طعن في النبيﷺ، وزد علىٰ ذلك أنها طعن في رسالتهﷺ:

والله يقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

ويقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

الثاني والستون: فيه الاعتقاد أن القرآن غير مهيمن علىٰ الكتب السابقة:

وربُّنا يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨].

الثالث والستون: فيه ما ذكره القاضي عنهم في دعوة التقريب (٤ / ١٤٣٩):

قال: المناداة بإخضاع النص القرآني لمعاول النقد التاريخي، ورفع الحصانة الربانية عنه. اهـ

قولهم هذا من الكفر البواح، حيث إن الله قد قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

الرابع والستون: فيه أن هذا القرآن غير صالح لهذا الزمن، كما ينادون بذلك وبهذه الحوارات هم يريدون طمس هويته:

وربُّنا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١-٤٢].

ويقول: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧].

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٤].

ويقول: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص:٤٩].

ويقول: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود:١٤].

وغيرها من الأدلة التي تبين لجميع الناس أن القرآن العظيم هو الصالح النافع لكل زمان ومكان، وكذلك سنة محمدﷺ الصحيحة.

الخامس والستون: التحاكم إلىٰ الطاغوت:

حيث ومن المعلوم أن الله قد حكم علىٰ التوراة والإنجيل بالتحريف والتغير والتبديل، وما سَلِمَ منها فهو منسوخ، وهؤلاء يزعمون أنهم مؤمنون بهذا الكتاب، وهم يحكّمون غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٠-٦٢].

السادس والستون: فيه خرم لإجماع المسلمين:

علىٰ أن كل دين سوىٰ دين الإسلام فهو باطل، ومن اعتقد صحة دين غير

الإسلام فقد كفر، وبأن من لم يؤمن برسالة محمدﷺ فهو كافر. ومن اعتقد أن القرآن غير كلام الله وغير صالح لكل زمان ومكان فهو كافر، ومن اعتقد أن التوراة والإنجيل غير محرفة ومبدلة فهو كافر.

السابع والستون: فيه تصحيح دين اليهود والنصارىٰ تحت مسمىٰ الاعتراف الآخر.

أفاده القاضي (٤ / ١٤٤٩).

وقد ذكرنا لك أخي المسلم أن الدين الصحيح هو الإسلام وبينابطلان جميع الأديان غيره، لقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

الثامن والستون: فيه المداهنة في دين الله ﷻ :

قال الله تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٩]. بعد نهيه عن طاعتهم فقال: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

قال ابن جرير معنىٰ ذلك: ودَّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلىٰ الركون إلىٰ ألهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك. اهـ

التاسع والستون: فيه المحبة لليهود والنصارىٰ قاتلهم الله:

مع أن من أوثق عُرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وفي حديث أَنَسٍ ﷺ عند الشيخين، عَنِ النبيﷺ قَالَ: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ**» وذكر منها «**وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**».

السبعون: فيه الفتنة عن بعض ما أنزل الله:

وربُّنا يقول: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠]. أفاده القاضي.

الحادي والسبعون: فيه إمضاء للقاعدة الباطلة:

نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلافنا فيه، كيف يكون هذا والله يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [المائدة:٦٨].

ويقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ويقول: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

وغيرها من الأدلة التي تبين أن اليهود والنصارى لن يرضوا بالإسلام دينًا، وإنما يتبعون أهواهم وكفرهم وزندقتهم، فكيف نتعاون بيننا ويعذر بعضنا بعضًا. والله المستعان

الثاني والسبعون: فيه رفع الأحكام الشرعية من القرآن والسنة بكفر اليهود والنصارى.

أفاده القاضي.

وهذا لا يكون مادام أن كفرهم جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، إلَّا من دخل منهم في الإسلام وأمن، ونحن واجب علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

الثالث والسبعون: فيه عدم التفريق بين حكم الله ﷻ وحكم غيره:

وربُّنا يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٨-٤٩].

ويقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقد تقدم قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

الرابع والسبعون: فيه التفرق من أجل الكفار:

ولما حصل ذلك من المسلمين بالنسبة للمنافقين أنزل الله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَمَا

لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٨٨].

الخامس والسبعون: فيه الدفاع عن الخائنين من يهود ونصارىٰ ومارقين، والمجادلة من أجلهم:

والله يقول: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[النساء:١٠٥].

ويقول: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء:١٠٧].

السادس والسبعون: فيه إلغاء لمنهج الهجر للمخالف في المعتقد:

لأنه إذا تم التواصل بين اليهود والنصارىٰ وعدم هجرهم من قبل المسلمين، فمن باب أولىٰ عدم هجر المبتدعة.

السابع والسبعون: فيه الإلغاء لأحكام الشهادة في قتال المسلمين مع الكفار:

ووجه ذلك: أن المسلمين علىٰ حق واليهود والنصارىٰ علىٰ حق وكلهم يشملهم الإسلام العام علىٰ حد تعبير القوم ويكون القاتل والمقتول في النار كما في حديث أبي بكر المتفق عليه.

الثامن والسبعون: فيه الحكم بالنار للقتيلين من المسلمين واليهود والنصارىٰ:

علىٰ حد زعمهم أنهم مسلمون، ورسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقىٰ المسلمان**

بسيفيهما فالقتل والمقتول في النار» متفق عليه عن أبي بكرة ﷺ.

هذا حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ في المسلمين، ومن عداهم فهم أهل النار.

التاسع والسبعون: فيه هدم لأُسس الدين ودعائمه العظام:

حتىٰ لا يبقىٰ له كيان، و يحدث له انصهار مع غيره من الأديان المحرفة وتكون النتيجة إلحاقه بهم، فأخبر الله عنهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

ويقول أيضًا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٨-٩].

فأخبر سبحانه عباده المؤمنين بما يفعلون مع أعدائه هؤلاء، فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

الثمانون: فيه الاعتراف بأعياد الكفار كعيد الميلاد والكرسمس وعيد الحب وغيرها من الأعياد المبنية علىٰ معتقدات فاسدة وآراء كاسدة.

ورسولنا ﷺ قد بين لنا بوحيٍ من الله أعياد المسلمين؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: **«ما هذان اليومان؟»**، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله قد**

أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحىٰ ويوم الفطر»، رواه أبو داود بهذا اللفظ، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه. فهذان عيدا المسلمين.

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) تحريم التقليد والاعتراف بأعياد الكفار من ثمانية وجوه، وهي:

١- أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلىٰ الكفر في الجملة بشروطه.

وأما مبدؤها فأقل أحواله: أن تكون معصية، وإلىٰ هذا الاختصاص أشار النبي ﷺ بقوله: «**إن لكل قوم عيدًا، وإن هذا عيدنا**»، وهذا أقبح من مشاركتهم في لبس الزنار، ونحوه من علاماتهم؛ لأن تلك علامة وضعية ليست من الدين، وإنما الغرض منها مجرد التمييز بين المسلم والكافر، وأما العيد وتوابعه، فإنه من الدين الملعون هو وأهله، فالموافقة فيه موافقة فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه.

٢- أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله؛ لأنه إما محدث مبتدع، وإما منسوخ، وأحسن أحواله -ولا حسن فيه- أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلىٰ بيت المقدس.

٣- نه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدىٰ إلىٰ فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتىٰ يصير عادة للناس، بل عيدًا، حتىٰ يضاهىٰ بعيد الله، بل قد يزيد عليه، حتىٰ يكاد أن يفضي إلىٰ موت الإسلام وحياة الكفر.

٤- أن الأعياد والمواسم في الجملة، لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم، كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والحج، ولهذا جاءت بها كل شريعة، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾.

وقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.

ثم إن الله شرع علىٰ لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق علىٰ أتم الوجوه، وهو الكمال المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية؛ فإنه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان، وهو عيد النحر، ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله ﷺ بعامة المسلمين، وقد نفىٰ الله تعالىٰ الكفر وأهله.

٥- أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من

الباطل، خصوصا إذا كانوا مقهورين تحت ذل الجزية والصغار، فرأوا المسلمين قد صاروا فرعًا لهم في خصائص دينهم، فإن ذلك يوجب قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص، واستذلال الضعفاء.

وهذا أيضًا أمر محسوس، لا يستريب فيه عاقل، فكيف يجتمع ما يقتضي إكرامهم بلا موجب مع شرع الصغار في حقهم؟

٦- أن مما يفعلونه في عيدهم ما هو كفر، وما هو حرام وما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة.

٧- ما قررته في وجه أصل المشابهة، وذلك أن الله تعالىٰ جبل بني آدم بل سائر المخلوقات علىٰ التفاعل بين الشيئين المتشابهين، ولأجل هذا الأصل: وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة.

وقد رأينا اليهود والنصارىٰ الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارىٰ هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضًا مناسبة وائتلافًا، وإن بعد المكان والزمان، فهذا أيضًا أمر محسوس.

فمشابهتهم في أعيادهم -ولو بالقليل- هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط؛ علق الحكم به، وأدير التحريم عليه.

فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر

زواله بعد حصوله، ولو تفطن له، وكل ما كان سببًا إلىٰ مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.

٨- المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم؛ فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟

فإن اقتضاءها إلىٰ نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ (٥٣) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

وقال تعالىٰ فيما يذم بها أهل الكتاب: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾.

فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرًا؛ فمن واد الكفار فليس بمؤمن، والمشابهة الظاهرة مظنة الموادة، فتكون محرمة، كما تقدم تقرير مثل ذلك.

واعلم أن وجوه الفساد في مشابهتهم كثيرة، فلنقتصر علىٰ ما نبهنا عليه.

الثاني والثمانون: الرضا بجميع البدع والرد لمثل حديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وعدم المبالاة بمثل حديث: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**».

الثالث والثمانون: فيه جواز الصلاة علىٰ أي صورة كانت؛ لأنها بزعمهم كلها صحيحة.

الرابع والثمانون: فيه جواز الصيام علىٰ أي صورة كانت.

الخامس والثمانون: فيه عدم التفريق بين قراءة القرآن وبين قراءة التوراة والإنجيل المحرفين.

السادس والثمانون: فيه عدم التفريق بين ما هو من طعام المسلمين، وما هو من طعام المشركين.

السابع والثمانون: فيه جواز الحلف بمربوبات القوم.

الثامن والثمانون: فيه إجراء وقبول وصاية اليهودي والنصراني علىٰ

المسلم مع أنها لا تجوز شرعًا.

التاسع والثمانون: إلغاء أحكام الهجرة من بلاد اليهود والنصارىٰ إلىٰ بلاد الإسلام.

التسعون: جواز التجنس بجنسيات اليهود والنصارىٰ.

قال العلامة الفوزان كما في شرح الدلائل (٢٠٦) في جوابه علىٰ هذا السؤال هل التجنس بجنسية الدولة الكافرة تعتبر من موالاة الكفار.

فقال: نعم هذا من سريان أحكامهم عليه وإنه نوع من الدخول تحت حكمهم وطاعتهم.

الحادي والتسعون: جواز التحاكم إلىٰ محاكمهم.

وهذا من المحرمات شرعًا لأنه من التحاكم إلىٰ غير شرع الله

الثاني والتسعون: جواز الركون إليهم مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

الثالث والتسعون: فيه جواز التعاون مع اليهود والنصارىٰ في إحياء أعيادهم مع أن شيخ الإسلام وغيره ينقلون عدم الجواز.

الرابع والتسعون: فيه جواز الصلاة علىٰ أي وجه كان من الأوجه الثلاثة؛ لأنه علىٰ حد زعمهم: «كل من عند الله»، وهذا معلوم بطلانه بالضرورة.

الخامس والتسعون: فيه إغلاق باب النصيحة لله ﷻ ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

السادس والتسعون: فيه المخالفة الصريحة لتوحيد الألوهية حيث ومن أمرهم أصول النصارىٰ القول بألوهية عيسىٰ، تعالىٰ الله عن قولهم.

الثامن والتسعون: فيه المخالفة الصريحة لتوحيد الأسماء والصفات، حيث وهم يسمون الله بالأب والابن وروح القدس، وغير ذلك.

التاسع والتسعون: فيه خفض الجناح لهم مع أن هذا لا يكون إلا للمؤمنين: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

المائة: فيه لا فرق بين حفظ القرآن العظيم الناسخ والمهيمن علىٰ غيره المحفوظ من التبديل والتحريف وبين حفظ التوراة والإنجيل المحرفين المبدلين.

الواحد بعد المائة: يلزم منه دخولهم في الشفاعة في أهل الكبائر والشفاعة في دخولهم الجنة، وهذا مما يعلم خلافه لعقيدة المسلمين.

الثاني بعد المائة: فيه جواز التفضيل بين لغتهم وبين العربية جواز التحدث بلغتهم بغير حاجة مع أن شيخ الإسلام وغيره يعد ذلك من النفاق.

الثالث بعد المائة: العهود التي بين المسلمين واليهود والنصارىٰ إذا كانوا كلهم أصحاب حق سيكون تحصيل حاصل لأنه في هذه الحالة يجب الكف عنهم في كل حال، والله المستعان، وعليه التكلان.

الرابع بعد المائة: القول به يقتضي دخول اليهود والنصارىٰ في أمة محمدﷺ.

وقد قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٤/ ١٣-١٤): ط عالم الفوائد: قال أبو طالب سألته عن اليهود والنصارىٰ من أمة محمدﷺ؟ قال: لا، النبيﷺ يقول: «أمتي أمتي»، لا يقع علىٰ اليهود والنصارىٰ.

الخامس بعد المائة: وفيه محاولة تعطيل قدر الله الكوني في كون الناس لا يزالون مختلفين.

السادس بعد المائة: هذه الدعوة تقريب بين ما فرق الله ﷻ وتجميع ما

فرقه، والواجب علىٰ المسلمين في هذا الباب أن يفرقوا بين المتفرقات ويجمعوا بين المتماثلات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التدمرية (٢١٩): ولو منعوا النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات كما تقتضيه المعقولات، ولكانوا من أهل أتوا العلم الذين يرون أن ما أنزل إلىٰ الرسول هو الحق من ربه ويهدي إلي صراط العزيز الحميد، ولكنهم من أهل المجهولات المشتبه بالمعقولات يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات، إلىٰ غير ذلك.

وملخص ما تقدم أن القول بوحدة الأديان أو اتحادها أو تقاربها أو غير ذلك من الاصطلاحات المؤدية إلىٰ هذه المعاني الباطلة، هو أن هذه الدعوات تقويض للدين الحق الذي رضيه الله ﷻ وأحبه وأتمه وحفظه وأحياء للدين الجاهلي والوثنية والشرك والإلحاد والكفر والعناد، والحمد لله رب العالمين، علىٰ إنعامه وله الشكر علىٰ إحسانه، ونعوذ به من الإلحاد والشرك والمهانة.

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان: إن الدعوة إلىٰ هذه النظرية الثلاثية تحت أي من هذه الشعارات إلىٰ توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارىٰ من دين دائر كل منهما بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارىٰ بجامع علتهم المشتركة: «بغض الإسلام والمسلمين»، وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، ذات مصير مروع مخوف.

فهي في حكم الإسلام: دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة

لهم إلىٰ ردة شاملة عن الإسلام؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد -عليه الصلاة والسلام-.

فهي نظرية مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان.

لهذا فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدﷺ رسولًا الاستجابة لها، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلىٰ محافلها.

بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب لطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها عن ديار المسلمين، وعزلها عن شعورهم، ومشاعرهم والقضاء عليها، ونفيها، وتغريبها إلىٰ غربها، وحجرها في صدر قائلها.

ويجب علىٰ الوالي المسلم إقامة حد الردة علىٰ أصحابها، بعد وجود أسبابها، وانتفاء موانعها، حماية للدين، وردعًا للعابثين، وطاعة لله، ولرسولهﷺ وإقامة للشرع المطهر وأن هذه الفكرة إن حظيت بقبول من يهود، ونصارىٰ، فهم جديرون بذلك؛ لأنهم لا يستندون إلىٰ شرع منزل مؤبد، بل دينهم إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام، أما المسلمون فلا والله، لا يجوز لهم بحال الانتماء إلىٰ هذه الفكرة؛ لانتمائهم إلىٰ شرع منزل مؤبد كله حق، وصدق، وعدل، ورحمة.

وليعلم كل مسلم عن حقيقة هذه الدعوة أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تبرز في لباس جديد لأخذ ثأرهم من المسلمين عقيدة، وأرضًا، وملكًا.

فهي تستهدف الإسلام والمسلمين في:

١- إيجاد مرحلة التشويش علىٰ الإسلام والبلبلة في المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات والشهوات؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة.

٢- قصر المد الإسلامي، واحتواؤه.

٣- تأتي علىٰ الإسلام من القواعد، مستهدفة إبرام القضاء علىٰ الإسلام واندراسه، ووهن المسلمين، ونزع الإيمان من قلوبهم، وَوَأْدِه.

٤- حل الرابطة الإسلامية بين العالم الإسلامي في شتىٰ بقاعه؛ لإحلال الأخوة البديلة اللعينة: «أخوة اليهود والنصارىٰ».

٥- كف أقلام المسلمين وألسنتهم عن تكفير اليهود والنصارىٰ وغيرهم، ممن كفرهم الله، وكفرهم رسوله ﷺ إن لم يؤمنوا بهذا الإسلام، ويتركوا ما سواه من الأديان.

٦- وتستهدف إبطال أحكام الإسلام المفروضة علىٰ المسلمين أمام الكافرين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم من أمم الكفر ممن لم يؤمن بهذا الإسلام، ويترك ما سواه من الأديان.

٧- وتستهدف كف المسلمين عن ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله، ومنه: جهاد الكتابيين، ومقاتلتهم علىٰ الإسلام، وفرض الجزية عليهم إن لم يسلموا.

والله ﷻ يقول: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وكم في مجاهدة الكافرين أعداء الله ورسوله والمؤمنين، من إرهاب لهم، وإدخال للرعب في قلوبهم، فينتصر به الإسلام، ويذل به أعداؤه، ويشفي الله به صدور قوم مؤمنين.

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

فواعجبًا من تفريط المسلمين بهذه القوة الشرعية؛ لظهور تفريطهم في مواقفهم المتهالكة موقف اغتيال الجهاد، ووأده، وموقف تأويل الجهاد للدفاع، لا للاستسلام علىٰ كلمة الإسلام أو الجزية إن لم يسلموا. وموقف تلقيب الجهاد باسم الإرهاب للتنفير منه.

حتىٰ بلغت الحال بالمسلمين إلىٰ تآكل موقفهم في فرض الجزية علىٰ الكافرين في تاريخهم اللاحق، وإن فرض الجزية علىٰ اليهود، والنصارىٰ، إن لم يسلموا عزة للمسلمين وصغار علىٰ الكافرين.

لهذا كانت لهم محاولات منذ القرن الرابع الهجري لإبطال الجزية، وإسقاطها عنهم، وكان أول كتاب زوره اليهود في أوائل القرن الرابع الهجري، فعرضه الوالي علىٰ العلماء، فحكم الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري المتوفىٰ سنة ٣١٠ رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه مزور موضوع؛ لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو إنما أسلم عام الفتح بعد عام خيبر سنة ٧، وهم يزعمون أن هذا الكتاب

وضع عنهم الجزية عام خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ ﷺ وقد توفي عام الخندق قبل خيبر، فثبت تزويره.

وما زال اليهود يخرجونه من وقت إلىٰ آخر، وفي كل مرة يحكم العلماء بتزويره، فكان في عصر الخطيب البغدادي المتوفىٰ سنة (٤٦٣) فأبطله.

وأخرجوه في القرن السابع في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفىٰ سنة (٧٢٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأبطله، وهكذا، وشرح ذلك مبسوط في كتاب: أحكام أهل الذمة (١/ ٥ - ٨) لابن القيم المتوفىٰ سنة (٧٥١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وزور النصارىٰ وثيقة سانت كاترين المعلقة في دير طور سيناء سانت كاترين، وكاترين اسم زوجة أحد الرهبان، وقد سميت كنيسة دير الطور باسمها؛ لأنها دفنت فيها في القرن التاسع، وهي وثيقة مكذوبة وضعها النصارىٰ.

وفي مجلة الدارة العدد / ٣ لعام ١٤٠٠(ص١٢٤-١٣٠) بحث مهم في بيان بعض الوثائق التي زورها اليهود والنصارىٰ، ومنها هذه الوثيقة، والكاتب هو عبد الباقي فصه. الجزائر. جامعة قسنطينة.

ويزاد عليه: أن من أدلة تزويرها، ذكر شهادة أبي هريرة ﷺ عليها، وهو إنما أسلم عام خيبر سنة ٧، وهي مؤرخة في العام الثاني من الهجرة.

وانظر عن دير طور سيناء، والذي سمي في القرن التاسع باسم دير سانت كاترين الموسوعة العربية الميسرة (١ / ٨٣٠) والمنجد مادة: سيناء. دير طور. ومعجم البلدان مادة: دير طور سيناء.

٨- وتستهدف هدم قاعدة الإسلام، وأصله: الولاء والبراء، والحب والبغض في الله، فترمي هذه النظرية الماكرة إلىٰ كسر حاجز براءة المسلمين من

الكافرين، ومفاصلتهم، والتدين بإعلان بغضهم وعداوتهم، والبعد عن موالاتهم، وتوليهم، وموادتهم، وصداقتهم.

٩- وتستهدف صياغة الفكر بروح العداء للدين في ثوب وحدة الأديان، وتفسيخ العالم الإسلامي من ديانته، وعزل شريعته في القرآن والسنة عن الحياة، حينئذٍ يسهل تسريحه في مجاهل الفكر، والأخلاقيات الهدامة، مفرغا من كل مقوماته، فلا يترشح لقيادة أو سيادة، وجعل المسلم في محطة التلقي لِمَا يملىٰ عليه من أعدائه، وأعداء دينه، وحينئذٍ يصلون إلىٰ خسة الغاية: القفز إلىٰ السلطة العالمية بلا مقاوم.

١٠- وتستهدف إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميزه، بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل، في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرىٰ.

١١- وترمي إلىٰ تمهيد السبيل للتبشير بالتنصير والتقديم لذلك بكسر الحواجز لدىٰ المسلمين، وإخماد توقعات المقاومة من المسلمين؛ لسبق تعبئتهم بالاسترخاء والتبلد.

١٢- ثم غاية الغايات بسط جناح الكفرة من اليهود، والنصارىٰ، والشيوعيين، وغيرهم علىٰ العالم بأسره والتهامه، وعلىٰ العالم الإسلامي بخاصة، وعلىٰ العالم العربي بوجه خاص، وعلىٰ قلب العالم الإسلامي وعاصمته الجزيرة العربية بوجه أخص في أقوىٰ مخطط تتكالب فيه أمم الكفر وتتحرك من خلاله؛ لغزو شامل ضد الإسلام والمسلمين بشتىٰ أنواع النفوذ الفكري، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي.

وإقامة سوق مشترك لا تحكمه شريعة الإسلام، ولا سمع فيه ولا طاعة لخلق فاضل ولا فضيلة، ولا كسب حلال، فيفشو الربا، وتنتشر المفسدات، وتدجن الضمائر والعقول، وتشتد القوىٰ الخبيثة ضد أي فطرة سليمة وشريعة مستقيمة.

وما مؤتمر السكان والتنمية المعقود بالقاهرة في ٢٩ / ٣ / ١٤١٥ والمؤتمر العالمي للمرأة المعقود في بكين عام ١٤١٦ إلا طروحات لإنفاذ هذه الغايات البهيمية.

هذا بعض ما تستهدفه هذه النظيرة الآثمة، وإن من شدة الابتلاء أن يستقبل نزر من المسلمين ولفيف من المنتسبين إلىٰ الإسلام هذه النظرية ويركضوا وراءها إلىٰ ما يُعقد لها من مؤتمرات ونحوها، وتعلو أصواتهم بها، مسابقين هؤلاء الكفرة إلىٰ دعوتهم الفاجرة وخطتهم الماكرة.

حتىٰ فاه بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام بفكرته الآثمة: إصدار كتاب يجمع بين دفتيه: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل.

وإنا لنتلوا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف:١٥٥].

ومن المعلوم أن باب التأويل والاجتهاد باب واسع قد يؤول بصاحبه إلىٰ اعتقاد الحلال حرامًا، والحرام حلالًا، هذا إذا كان في أصله سائغًا فكيف إذا كان غير سائغ بل هو اجتهاد آثم؛ لمصادمته أصول الدين المعلومة منه بالضرورة.

وعلىٰ كلا الحالين فلا يجوز ترك بيان السنة والهدىٰ، ويجب رد الاجتهادات والتأويلات الخاطئة، فضلًا عن الفاسدة أصلًا، بل يجب البيان لحفظ هذا الدين، وكف العدوان عليه، وهذا من إعطاء الإسلام حقه، والوفاء بموجب العلم والإيمان.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: البيان لبطلان دين اليهود والنصارى وما فيه من البهتان

الفصل الثالث : دعوة الحوار والتقارب والتوحد والاتحاد بين الأديان - أفكار- حركات

الفصل الرابع: كيفية الحوار مع الكفار والمعرضين والمخالفين

الفصل الخامس: الشبهات التي يستدل بها أصحاب هذه الدعوة الكاسدة التي هي للحق محايدة، وهذه الشبه هي التي يستدل بها اليهود والنصارى وبعض العصريين المتأثرين بهذه الأفكار وبيان أن الشبهات يبتلي الله بها من علم زيغ قلبه

الفصل السادس: فتاوى العلماء

في حكم التقارب بين الأديان

الفصل السابع: نتيجة القول بوحدة وتقارب واتحاد الأديان وحوارها بالصورة التي يريدونها يلزم منها ويترتب عليها إبطال لأبواب عظيمة وأحكام جسيمة وشرائع جليلة قويمة من هذا الدين الحنيف الصحيح